میکروفیلم تهیه شد

کتابخانه آستان قدس

اسم کتاب مقامات حریری – عربی

مصنف / مؤلف ابومحمد قاسم بن علی حریری

خطی / چاپی نسخ ۱۲ سطری

سال چاپ یا تحریر ۱۲۵۴ ق عدد اوراق ۱۸۸

جزء کتب ادبیات شماره ۹۹۳

شماره عمومی ۴۹۷۵ شماره قبض

واقف میرزا رضا خان نائینی تاریخ وقف مرداد – ۱۳۱۱

طول ۳۳ عرض ۲۰ سانتیمتر گنجه

بازبینی شد ۱۳۵۳ ع

سال ۱۳۴۸ خورشیدی بازبینی شد

LIBRAIRIE.REZVAN

تأسیس میرزا رضا خان نائینی قاضی نور

وقف مرحوم میرزا رضا خان نائینی قاضی نور تقی‌زاده
۱۵ مرداد ۱۳۱۱

شناسنامه آسیب شناسی

نسخه شناسی

عنوان	مقامات حریری
درجه نفاست	عادی
تعداد اوراق	۱۸۸
قطع	وزیری بزرگ
خطی / چاپ سنگی	خطی
اندازه	۲۰×۳۳
شماره اموالی	۴۹۷۵

آسیب شناسی و اقدامات مرمتی

درصد تخریب اوراق	۱۰ ۲۰ ۵۰ ۸۰
نیاز به جعبه	دارد / ندارد: ندارد
نیاز به جلد سازی	دارد / ندارد: ندارد
نیاز به مرمت اوراق	دارد / ندارد: ندارد
نیاز به لکه گیری	دارد / ندارد: ندارد
نیاز به آفت زدایی	دارد / ندارد: ندارد
از هم پاشیدگی عطف	دارد / ندارد: ندارد
نوع آفت	شیمیایی / زیستی / فیزیکی
نیاز به مرمت جلد	دارد / ندارد: ندارد
نیاز به دوخت عطف	دارد / ندارد: ندارد
نیاز به گردگیری	دارد / ندارد: ندارد
نیاز به اسیدزدایی	دارد / ندارد: ندارد

بررسی کنندگان: ۱. ۲. ۳.

اقدامات انجام شده:

تاریخ بررسی: ۱۳۸۷/۹/۱۲

تاریخ اقدام:

كتابخانه آستان قدس

وقفنامه

قال احمد بن محمد بن المظفر الرازي مادحاً للمقامات وشرحه للمطرزي
كتاب مقامات الحريري آية ❊ وصاحبه ابدى به كل معجز ❊ ولكنه
مع ما له شرح ابلج ❊ فابهك من سحر حلال محرز ❊ واوضح برهان الائمة
غوامضه اعجب به من مبرز ❊ اراه حريرا فالحريري حاكه ❊ وطرزه الشيخ
الامام المطرزي

كتاب المقامات الحريري من مصنفات ابو محمد القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك على ما علمتنا من البيان والهمت من التبيان كما نحمدك
على ما اسبغت من العطاء واسبلت من الغطاء ونعوذ بك من شرة
اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة اللكن وفضوح الحصر و
نستكفي بك الافتتان باطراء المادح واغضاء المسامح كما نستكفي
بك الانتصاب لازراء القادح وهتك الفاضح ونستغفرك من
سوق الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل الخطوات
الى خطط الخطيئات ونستوهب منك توفيقا قائدا الى الرشد
وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق ونطقا مؤيدا

بالحجة

سال ۱۳۴۸ خورشيدى

بالحجة واصابة ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة
ندرك بها عرفان القدر وان تسعدنا بالهداية الى الدراية وتعضدنا
بالاعانة على الابانة وتعصمنا من الغواية في الرواية وتصرفنا
عن السفاهة في الفكاهة حتى نامن حصائد الالسنة ونكفى
غوائل الزخرفة فلا نرد مورد ماثم ولا نقف موقف مندمة ولا
نرهق بتبعة ولا معتبة ولا نلجى الى معذرة عن بادرة اللهم فحقق
لنا هذه المنية وانلنا هذه البغية ولا تضحنا عن ظلك السابغ
ولا تجعلنا مضغة للماضغ فقد مددنا اليك يد المسئلة وبخعنا
بالاستكانة لك والمسكنة واستنزلنا كرمك الجم ومنك الذي عم
بضراعة الطلب وبضاعة الامل ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر
والشفيع المشفع في المحشر الذي ختمت به النبيين واعليت درجته
في عليين ووصفته في كتابك المبين فقلت وانت اصدق القائلين

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين انه لقول رسول كريم ذي قوة
عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين اللهم صل عليه وعلى
اله الهادين واصحابه الذين شادوا الدين واجعلنا لهديهم وهديهم
متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين انك على كل شيء قدير وبالاجابة
جدير اما بعد فانه قد جرى ببعض اندية الادب الذي ركدت في هذا
العصر ريحه وخبت مصابيحه ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان
وعلامة همذان رحمه الله وعزا الى ابي الفتح الاسكندري نشأتها والى عيسى بن هشام
روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف فاشار من اشارته
حكم وطاعته غنم الى ان انشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع وان لم
يدرك الظالع شأو الضليع فذاكرته بما قيل فيمن الف بين كلمتين
ونظم بيتا او بيتين واستقلت من هذا المقام الذي فيه يحار الفهم
ويفرط الوهم ويسبر غور العقل وتتبين فيه قيمة المرء ويضطر صاحبه

الى

الى ان يكون كحاطب ليل او جالب رجل وخيل وقلما سلم مكثار او اقيل
له عثار فلما لم يسعف بالاقالة ولا اعفى من المقالة لبيت دعوته
تلبية المطيع وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع وانشأت على ما اعانيه
من قريحة جامدة وفطنة خامدة وروية ناضبة وهموم ناصبة
خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله
وغرر البيان ودرره وملح الادب ونوادره الى ما وشحتها به من
الايات ومحاسن الكنايات ورصعته فيها من الامثال العربية واللطائف
الادبية والاحاجي النحوية والفتاوي اللغوية والرسائل المبتكرة
والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والاضاحيك الملهية مما امليت
جميعه على لسان ابي زيد السروجي واسندت روايته الى الحارث بن
همام البصري وما قصدت بالاحماض فيه الا تنشيط قارئيه وتكثير
سواد طالبيه ولم اودعه من الاشعار الاجنبية الا بيتين فذين

أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية وآخرين توأمين ضمنتهما
خواتم المقامة الكرجية وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره ومقتضب
حلوه ومره هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات وصاحب
آيات وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة ولو أوتي بلاغة قدامة
لا يغترف إلا من فضالته ولا يسري ذلك المسرى إلا بدلالته ولله در
القائل شعر فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس
قبل التندم ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم
وأرجو أن لا أكون في الهذر الذي أوردته والمورد الذي توردته كالباحث
عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه فألحق بالأخسرين أعمالا
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا على أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي ونضح عني المحب المحابي لا أكاد
أخلص من غمر جاهل أو ذي غمر متجاهل يضع مني لهذا الوضع ويندد

بأنه من مناهي الشرع ومن نقد الأشياء بعين المعقول وأنعم النظر في
مباني الأصول نظم هذه المقامات في سلك الإفادات وسلكها
الموضوعات عن العجماوات والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه عن
تلك الحكايات أو أثم رواتها في وقت من الأوقات ثم إذا كانت
الأعمال بالنيات وبها انعقاد عقود الدينيات فأي حرج على
من أنشأ ملحا للتنبيه لا للتمويه ونحا بها منحى التهذيب لا الأكاذيب
وهل هو في ذلك إلا بمنزلة من انتدب لتعليم أو هدى إلى
صراط مستقيم فرد على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه
لا علي ولا ليا وبالله أعتضد فيما أعتمد وأعتصم مما يصم وأسترشد
إلى ما يرشد فما المفزع إلا إليه ولا الاستعانة إلا به ولا التوفيق
إلا منه ولا الموئل إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب المقامة
الأولى وتعرف بالصنعانية حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب

کتابخانه آستان قدس

الاغتراب وأنأتني المتربة عن الأتراب طوّحت بي طوائح الزمن
إلى صنعاء اليمن فدخلتها خاوي الوفاض بادي الإنفاض لا أملك
بلغة ولا أجد في جرابي مضغة فطفقت أجوب طرقاتها مثل
الهائم وأجول في حوماتها جولان الحائم وأرود في مسارح لمحاتي
ومسايح غدواتي وروحاتي كريماً أخلق له ديباجتي وأبوح إليه
بحاجتي أو أديباً تفرّج رؤيته غمّتي وتروي روايته غلّتي حتى أدّتني
خاتمة المطاف وهدتني فاتحة الألطاف إلى نادٍ رحيب محتوٍ على
زحام ونحيب فولجت غابة الجمع لأسبر مجلبة الدمع فرأيت في بهرة
الحلقة شخصاً شخت الخلقة عليه أهبة السياحة وله رنّة النياحة
وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه
وقد أحاطت به أخلاط الزمر إحاطة الهالة بالقمر والأكمام بالثمر
فدلفت إليه لأقتبس من فوائده وألتقط بعض فرائده فسمعته

يقول

يقول حين خبّ في مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله أيها السادر
في غلوائه السادل ثوب خيلائه الجامح في جهالاته الجانح إلى خزعبلاته
إلام تستمر على غيّك وتستمرئ مرعى بغيك وحتّام تتناهى في زهوك
ولا تنتهي عن لهوك تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ
بقبح سيرتك على عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك وأنت بمرأى
رقيبك وتستخفي من مملوكك وما تخفى خافية على مليكك أتظن
أن ستنفعك حالك إذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين توبقك
أعمالك أو يغني عنك ندمك إذا زلّت قدمك أو يعطف
عليك معشرك يوم يضمّك محشرك هلّا انتهجت محجّة اهتدائك
وعجّلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك وقدعت نفسك
وهي أكبر أعدائك أما الحمام ميعادك فما إعدادك وبالمشيب إنذارك
فما إعذارك وفي اللحد مقيلك فما قيلك وإلى الله مصيرك فمن

تصبّ لطالما أيقظك الدهر فتناعست وتجلّت لك العبر فتعاميت
وجذبك الوعظ فتقاعست
وحصحص لك الحق فتماريت وأذكرك الموت فتناسيت وأمكنك أن
تواسي فما آسيت تؤثر فلساً توعيه على ذكر تعيه وتختار قصراً تعليه
على برّ توليه وترغب عن هادٍ تستهدي به إلى زادٍ تستهديه وتغلّب
حبّ ثوبٍ تشتهيه على ثوابٍ تشتريه يواقيت الصلات أعلق بقلبك
من مواقيت الصلاة ومغالاة الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات
وصحاف الألوان أشهى إليك من صحائف الأديان ودعابة الأقران
آنس لك من تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنتهك حماه وتحمي عن النكر
ولا تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله أحق أن
تخشاه ثم أنشد شعراً تبّاً لطالب دنيا ثنى إليها انصبابه ما يستفيق
غراماً بها وفرط صبابة ولو درى لكفاه مما يروم صبابة ثم إنه لبّد
عجاجته وغيّض مجاجته واعتضد شكوته وتأبّط هراوته فلما رأت

الجماعة إلى تحفّزه ورأت تأهّبه لمزايلة مركزه أدخل كل منهم يده
في جيبه فأفعم له سجلاً من سيبه وقال اصرف هذا في نفقتك
أو فرّقه على رفقتك فقبله منهم مغضياً وانثنى عنهم مثنياً
وجعل يودّع من يشيّعه ليخفى عليهم مهيعه ويسرّب من يتبعه
لكي يجهل مربعه قال الحارث بن همام فاتبعته موارياً عنه عياني
وقفوت أثره من حيث لا يراني حتى انتهى إلى مغارة فانساب فيها على
غرارة فأمهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه
فوجدته محاذياً لتلميذ على خبز سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما خابية
نبيذ فقلت له يا هذا أيكون ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة
القيظ وكاد يتميّز من الغيظ ولم يزل يحملق إليّ حتى خفت أن يسطو عليّ
أبغي الخبيصة
فلما أن خبت ناره وتوارى أواره أنشد شعراً لبست الخميصة
وأنشبت شصّي في كل شيصة وصيّرت وعظي أحبولة أريغ القنيص

بها القنيصة وألجأني الدهر حتى ولجت بلطف احتيالي على الليث
عيصه على أني لم أهب صرفه ولا نبضت لي منه فريصة ولا شرعت
بي على مورد مدية نفس حريصة ولو أنصف الدهر في حكمه
لما ملك الحكم أهل النقيصة ثم قال لي ادن فكل وإن شئت فقم وقل
فالتفت إلى تلميذه وقلت له عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى
لتخبرني من ذا فقال هذا أبو زيد السروجي سراج الغرباء وتاج الأدباء
فانصرفت من حيث أتيت وقضيت العجب مما رأيت **المقالة الثانية**

تعرف بالحلوانية حكى الحارث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم
ونيطت بي العمائم بأن أغشى معان الأدب وأنضي إليه ركاب الطلب
لأعلق منه بما يكون لي زينة بين الأنام ومزنة عند الأوام وكنت
لفرط اللهج باقتباسه والطمع في تقمص لباسه أباحث كل من جل وقل
وأستسقي الوبل والطل وأتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان

وقد

وقد بلوت الإخوان وسبرت الأوزان وخبرت ما شان وزان
ألفيت بها أبا زيد السروجي يتقلب في قوالب الانتساب ويخبط
في أساليب الاكتساب فيدعي تارة أنه من آل ساسان ويعتزي مرة إلى
أقيال غسان ويبرز طورا في شعار الشعراء ويلبس حينا كبر الكبراء
بيد أنه مع تلون حاله وتبين محاله يتحلى برواء ورواية ومداراة
ودراية وبلاغة رائعة وبديهة مطاوعة وآداب بارعة وقدم
لأعلام العلوم فارعة فكان لمحاسن آلاته يلبس على علاته و
لسعة روايته يصبى إلى رؤيته ولخلابة عارضته يرغب عن معارضته
ولعذوبة إيراده يسعف بمراده فتعلقت بأهداب خصائص آدابه
ونافست في مصافاته لنفائس صفاته فكنت به أجلو همومي وأجتلي
ثماني طلق الوجه ملتمع الضياء أرى قربه قربة ومغناه غنية
ورؤيته ربحا ومحياه لي حبا ولبثنا على ذلك برهة ينشئ لي

كل يوم نزهة ويدرؤ عن قلبي شبهة الى ان جدحت له يد الاملاق
كأس الفراق واغراه عدم العراق بتطليق العراق ولفظته معاوز الارفاق
الى مفاوز الآفاق ونظمه في سلك الرفاق خفوق رايات الاخفاق
فشحذ للرحلة غرار عزمته وظعن يقتاد القلب بازمته فما
داناني من لاقني بعد بعده ولا شاقني من ساقني لوصاله ولا لاح
لي مذ ندّ بفضله ولا ذو خلال حاز مثل خلاله واستمر غيبه
حينا لا اعرف له عرينا ولا اجد عنه مبينا فلما ابت من غربتي
الى منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين وملتقى
القاطنين منهم والمتغربين فدخل ذو لحية كثة وهيئة رثة فسلم
على الجلاس وجلس في اخريات الناس ثم اخذ يبدي ما في وطابه ويعجب
الحاضرين بفصل خطابه فقال لمن يليه ما الكتاب الذي تنظر فيه
فقال ديوان ابي عبادة المشهود له بالاجادة فقال هل عثرت له فيما

لمحه

لمحته على بديع استملحته فقال نعم قوله كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد
او برد او اقاح فانه ابدع في التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب
لضيعة الادب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت في غير ضرم اين
انت عن البيت الجامع مشبهات الثغر وانشد شعرا نفسي الفداء
لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب يفتر عن لؤلؤ
رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب فاستجاده من حضر
واستحلاه واستعاده منه واستملاه وسئل لمن هذا البيت وهل
حي قائله ام ميت فقال ايم الله للحق احق ان يتبع وللصدق
حقيق بان يستمع انه يا قوم لنجيكم منذ اليوم قال فكأن الجماعة
ارتابت بعزوته وابت تصديق دعوته فتوجس ما هجس في افكارهم
وفطن لما بطن من استنكارهم وخاف ان يفرط اليه ذم فقرأ ان
بعض الظن اثم ثم قال يا رواة القريض واساة القول المريض ان خلاصة

الجوهر يظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل
فيما غبر من الزمان عند الامتحان يكرم الرجل او يهان وها انا قد
عرضت خبيئتي للاختبار وعرضت حقيبتي على الاعتبار فابتدر احد
من حضر وقال اعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة
بمثاله فان آثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب وانشد
فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد
فلم يكن الا كلمح البصر او هو اقرب حتى انشد واغرب سألتها حين
زارت نضو برقعها القاني وايداع سمعي اطيب الخبر فزحزحت شفقا
غشى سنا قمر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر فحار الحاضرون لبداهته
واعترفوا بنزاهته فلما آنس استئناسهم بكلامه وانصياعهم الى
شعب اكرامه اطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين آخرين
وانشد واقبلت يوم جد البين في حلل سود تعض بنان النادم الحصر

ليل

ليل على صبح اقلهما غصن وضرست البلور بالدرر فاستغلى القوم
قيمته واستغزروا ديمته واجملوا عشرته وجملوا قشرته قال
المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته
امعنت النظر في توسمه وسرحت الطرف في ميسمه فاذا هو شيخنا
السروجي وقد اقمر ليله الدجوجي فهنأت نفسي بمورده وابتدرت
استلام يده وقلت له ما الذي احال صفتك حتى جهلت معرفتك
واي شيء شيب لحيتك حتى انكرت حليتك فانشأ يقول وقع
الشوائب شيب والدهر بالناس قلب ان دان يوما لشخص ففي
غد يتغلب فلا تثق بوميض من برقه فهو خلب واصبر اذا هو اضرى
بك الخطوب والب فما على التبر عار في النار حين يقلب ثم نهض مفارقا
موضعه ومستتبعا القلوب معه **المقامة الثالثة تعرف بالدينارية** روى
الحارث بن همام قال نظمني واخدان لي ناد لم يخب فيه مناد ولا

قدح زنادٍ ولا ذكت نار عنادٍ فبينا نحن نتجاذب أطراف الأناشيد
ونتوارد طُرف الأسانيد وقف بنا شخص عليه سَمَل وفي مشيته
قزل فقال يا أخاير الذخاير وبشاير العشاير عموا صباحا وانعموا اصطباحا
وانظروا إلى من كان ذا ندِيٍّ ونَدًى وجِدَةٍ وجَدًى وعقارٍ وقِرًى
ومَقارٍ وقِرًى فما زال به قُطوب الخطوب وحروب الكروب وشرر
شرّ الحسود وانتياب النُّوب السود حتى صفرت الراحة وقرعت الساحة
وغار المنبع ونبا المربع وأقوى المجمع وأقضّ المضجع واستحالت الحال
وأعول العيال وخلت المرابط ورحم الغابط وأودى الناطق والصامت
ورثى لنا الحاسد والشامت وآلنا اللهم الموقع والفقر المدقع
إلى أن احتذينا الوجى واغتذينا الشجى واستبطنا الجوى وطوينا
الأحشاء على الطوى واكتحلنا السهاد واستوطنا الوهاد واستوطأنا
القتاد وتناسينا الأقتاد واستطبنا الحين المجتاح واستبطأنا اليوم

المتاح

المتاح فهل من حرٍّ آسٍ أو سمحٍ مواسٍ فوالذي استخرجني من قَيلة لقد أمسيت
أخا عيلةٍ لا أملك بيت ليلةٍ قال الحارث بن همام فأويت لمفاقره
ولويت إلى استنباط فِقَره فأبرزت له دينارا وقلت له اختبارا إن
مدحته نظما فهو لك حتما فانبرى ينشد في الحال من غير انتحال أكرم
به أصفر راقت صفرته جوّاب آفاقٍ ترامت سفرته مأثورة سمعته
وشهرته قد أودعت سرّ الغنى أسرته وقارنت نجح المساعي خطرته
وحبّبت إلى الأنام غرته كأنما من القلوب نقرته كم آمرٍ به استتبت
إمرته ومترفٍ لولاه دامت حسرته وجيش همٍّ هزمته كرته وبدر تمٍّ
أنزلته بدرته ومستشيطٍ تتلظى جمرته أسرّ نجواه فلانت شرته
وكم أسيرٍ أسلمته أسرته أنقذه حتى صفت مسرته وحقّ مولى
أبدعته فطرته لولا التقى لقلت جلّت قدرته ثم بسط يده بعد
ما أنشد وقال أنجز حرٌّ ما وعد وسحّ خالٌ إذ رعد فنبذت الدينار

اللهم

اليه وقلت خذه غير ماسوف عليه فوضعه في فيه وقال بارك

الله فيه ثم شمر للانثناء بعد توفية الثناء فنشات لي من فكاهته

نشوة غرام سهلت علي ائتناف اغترام فجردت دينارا اخر وقلت

هل لك في ان تذمه ثم تضمه فانشد مرتجلا وشدا مستعجلا تبا له

من خادع مماذق اصفر ذي وجهين كالمنافق يبدو بوصفين لعين

الرامق زينة معشوق ولون عاشق وحبه عند ذوي الحقائق يدعو

الى ارتكاب سخط الخالق لولاه لم تقطع يمين سارق ولا بدت

مظلمة من فاسق ولا اشماز باخل من طارق ولا شكا الممطول

مطل العائق ولا استعيذ من حسود راشق وشر ما فيه من الخلائق

ان ليس يغني عنك في المضائق الا اذا فر فرار الآبق واها لمن يقذفه

من حالق ومن اذا ناجاه نجوى الوامق قال له قول المحق الصادق

لا راي في وصلك لي ففارق فقلت له ما اغزر وبلك فقال

والشرط

والشرط املك فنفحته بالدينار الثاني وقلت له عوذهما بالمثاني

فالقاه في فيه وقرنه بتوامه وانكفا يحمد مغداه ويمدح النادي

ونداه قال الحارث بن همام فناجاني قلبي بانه ابو زيد وان تعارجه

لكيد فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم في مشيك فقال

ان كنت ابن همام فحييت باكرام وحييت بين كرام فقلت انا الحارث

فكيف حالك والحوادث قال اتقلب في الحالين بؤس ورخاء وانقلب

مع الريحين زعزع ورخاء فقلت له كيف ادعيت القزل وما مثلك

من هزل فاستسر بشره الذي كان تجلى ثم انشد حين ولى تعارجت

لا رغبة في العرج ولكن لاقرع باب الفرج والقي حبلي على غاربي

واسلك مسلك من قد مرج فان لامني القوم قلت اعذروا فليس على

الاعرج من حرج **المقامة الرابعة تتضمن مكارم الاخلاق** (تعرف بالدمياطية) اخبر الحارث بن همام قال

ظعنت الى دمياط عام هياط ومياط وانا يومئذ مرموق الرخاء موفور

الإخاء أسمح مطارف الثراء وأحلى معارف السرّاء فرافقت صحبا
قد شقّوا عصا الشقاق وارتضعوا أفاويق الوفاق حتى لاحوا كأسنان
المشط في الاستواء وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء وكنّا مع ذلك
لا نرحل إلا كلّ هوجاء وإذا نزلنا منزلا أو وردنا منهلا
اختلسنا اللبث ولم نطل المكث فعنّ لنا إعمال الركاب في ليلة فتيّة
الشباب غدافيّة الإهاب فأسرينا إلى أن نضا الليل شبابه وسلت
الصبح خضابه فحين مللنا السرى وملنا إلى الكرى صادفنا أرضا
مخضلّة الربى معتلّة الصبا فتخيّرناها مناخا للعيس ومحطّا للتعريس
فلمّا حلّها الخليط وهدأ بها الأطيط والغطيط سمعت صيّتا من
الرجال يقول لسميره في الرحال كيف حكم سيرتك مع جيلك وجيرتك
فقال أرعى الجار ولو جار وأبذل الوصال لمن صال وأحتمل الخليط
ولو أبدى التخليط وأودّ الحميم ولو جرّعني الحميم وأفضّل الشفيق على

الشقيق

الشقيق وأفي للعشير وإن لم يكافِ بالعشير وأستقلّ الجزيل للنزيل
وأغمر الزميل بالجميل وأنزل سميري منزلة أميري وأُحلّ أنيسي محلّ
رئيسي وأودع معارفي عوارفي وأولي مرافقي مرافقي وألين مقالي للقالي
وأديم تسآلي عن السالي وأرضى من الوفاء باللفاء وأقنع من الجزاء
بأقلّ الأجزاء ولا أتظلّم حين أُظلم ولا أنقم ولو لدغني الأرقم فقال
له صاحبه ويك يا بنيّ إنّما يُضنّ بالضنين ويُنافَس في الثمين
لكن أنا لا أُبين غير المواتي ولا أسيم العاني بمراعاتي ولا أصافي من
يأبى إنصافي ولا أواخي من يلغي الأواخي ولا أمالي من يجنب مالي
ولا أبالي بمن صرم حبالي ولا أداري من جهل مقداري ولا أعطي
زمامي من يخفر ذمامي ولا أبذل ودادي لأضدادي ولا أدع
إيعادي للمعادي ولا أغرس الأيادي في أرض الأعادي ولا أسمح
بمواساتي لمن يفرح بمأساتي ولا أرى التفاتي إلى من يشمت بوفاتي

ولا أخصّ بحبائي إلّا احبّائي ولا أستطبّ لدائي غير أودّائي ولا املّك
خلّتي من لا يسدّ خلّتي ولا اصفي نيّتي لمن يتمنّى منيّتي ولا اخلص دعائي
لمن لا ينفع وعائي ولا افرغ ثنائي على من يفرّغ انائي ومن حكم بأن
أبذل وتخزن والين وتخشن واذوب وتجمد واذكو وتخمد لا والله
بل نتوازن في المقال وزن المثقال ونتحاذى في الفعال حذو النعال
حتى نأمن التغابن ونكفي التضاغن والّا فلم اعلّك وتعلّني واقلّك
وتستقلّني واجترح لك وتجرحني واسرح اليك وتسرّحني وكيف يجتلب
انصاف بضيم وانّى تشرق شمس مع غيم ومتى اصحب ودّ بعسف وايّ
حرّ رضي بخطّة خسف ولله ابوك حيث يقول شعر جزيت من اعلق
بي ودّه جزاء من يبني على اسّه وكلت للخلّ كما كال لي على وفاء الكيل او
بخسه ولم اخسّره وشرّ الورى من يومه اخسر من امسه وكلّ من يطلب
عندي جنى فما له الّا جنى غرسه لا ابتغي الغبن ولا انثني بصفقة

المغبون في حسّه ولست بالموجب حقًّا لمن لا يوجب الحقّ على نفسه وربّ
مذّاق الهوى خالني اصدقه الودّ على لبسه وما درى من جهله انّني
اقضي غريمي الدين من جنسه فاهجر من استغناك هجر القلى وهبه كالملحود
في رمسه والبس لمن في وصله لبسة لباس من يرغب عن انسه ولا ترجّ
الودّ ممّن يرى انّك محتاج الى فلسه قال الحارث بن همّام فلمّا وعيت
ما دار بينهما تقت الى ان اعرف عينهما فلمّا لاح ابن ذكاء والحف
الجوّ الضياء غدوت قبل استقلال الركاب ولا اغتداء الغراب وجعلت
استقري صوب الصوت الليلي واتوسّم الوجوه بالنظر الجلي الى ان لمحت ابا
زيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان رثّان فعلمت انّهما نجيّا ليلتي
وصاحبا داري وابني فقصدتهما قصد كلف بدماثتهما راث لرثاثتهما
وابحتهما التحوّل الى رحلي والتحكّم في كثري وقلّي وطفقت اسير بين
السيّارة فضلهما واهزّ الاعواد المثمرة لهما الى ان غمرا بالنحلان واتّخذا

من الخلان وكنا بمعرس تنبت منه نبات القرى ونتنور نيران القرى
فلما رأى أبو زيد امتلاء كيسه وانجلاء بوسه قال لي إن بدني قد
اتّخم ودرني قد تجمع أفتأذن لي في قصد قرية لأستحم وأقضي هذا المهم
فقلت إذا شئت فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة فقال ستجدني مطلعي
عليك أسرع من ارتداد طرفك إليك ثم استن استنان الجواد في المضمار
وقال لابنه بدار بدار ولم نخل أنه غر وطلب المفر فلبثنا نرقبه رقبة
الأهلة الأعياد ونستطلعه بالطلائع والرواد إلى أن هرم النهار وكاد
جرف اليوم ينهار فلما طال أمد الانتظار ولاح أنه تمطى الأخطار
قلت لأصحابي قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة إلى أن أضعنا
الزمان وبان أن الرجل مان فتأهبوا للظعن ولا تلووا على خضراء
الدمن ونهضت لأحدج راحلتي وأتحمل لرحلتي فوجدت أبا زيد قد
كتب على القتب شعر يا من غدا لي ساعدا ومساعدا دون البشر لا تحسبن

آني

اني نأيت عن ملال او لشر لكنني مذ لم ازل ممن اذا طعم انتشر قال
فأقرأت الجماعة القتب ليعذر من كان عتب فأعجبوا بخرافته
وتعوذوا من آفته ثم إنا ظعنا ولم ندر من اعتاض عنا المقامة الخامسة
وتعرف بالكوفية حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة
أديمها ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا بلبان
البيان وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ما فيهم إلا من يحفظ عنه
ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق إليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر
إلى أن غرب القمر وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق إلا التهويم
سمعنا من الباب نبأة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا من الملم
في الليل المدلهم فقال يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا ولا لقيتم ما بقيتم
ضرا قد دفعه الليل الذي اكفهر إلى ذراكم شعثا مغبرا أخا سفار
طال واسبطر حتى انثنى محقوقفا مصفرا مثل هلال الأفق حين افتر

وقد عرى فنائكم معترّا وأمّكم دون الأنام طرّا يبغي قرى منكم ومستقرّا
فدونكم ضيفا قنوعا حرّا يرضى بما احلولى وما أمرّا وينثني عنكم ينثّ
البرّا قال الحارث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء
برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيّا
هيّا وهلمّ ما تهيّا فقال الضيف والذي أحلّني ذراكم لا تلمّظت
بقراكم او تضمنوا لي ألّا تتخذوني كلّا ولا تجشّموا لأجلي أكلا فربّ
أكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل وشرّ الأضياف من سام التكليف
وآذى المضيف ولا سيّما أذى يعتلق بالأجسام ويفضي الى الأسقام
وما قيل في المثل الذي سار سائره خير العشاء سوافره إلّا ليعجّل
التعشّي ويجتنب أكل الليل الذي يعشي اللهمّ إلّا أن تقد نار الجوع
وتحول دون الهجوع قال الحارث بن همام فكأنه اطّلع على إرادتنا
فرمى عن قوس عقيدتنا لا جرم أنّا آنسناه بالتزام الشرط وأثنينا على

خلقه

خلقه السبط ولمّا أحضر الغلام ما راج وأذكى بيننا السراج تأمّلته فإذا
هو أبو زيد فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم البارد فإن
يكن أفل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعراء أو استسرّ بدر النثرة فقد
تبلّج بدر النثر فسرت حميّا المسرّة فيهم وطارت السنة عن مآقيهم
ورفضوا الدعة التي كانوا نووها وثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما
طووها وأبو زيد مكبّ على إعمال يديه حتى إذا استرفع ما لديه
قلت له أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك أو عجيبة من عجائب أسفارك
فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون ولا رواه الراوون
وإنّ من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم
ومصيري الى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه في مسرح مسراه فقال إنّ مرامي
الغربة لفظتني الى هذه التربة وأنا ذو مجاعة وبؤسى وجراب كفؤاد أمّ
موسى فنهضت حين سجى الدجى على ما بي من الوجى لأرتاد مضيفا

او انشاد رغيفا فساقني حادي السغب والقضاء المكنى ابا العجب الى ان
وقفت على باب دار فقلت على البدار حييتم يا اهل هذا المنزل وعشتم
في خفض عيش خضل ما عندكم لابن سبيل مرمل نضو سرى خابط ليل
جوي الحشا على الطوى مشتمل ما ذاق مذ يومان طعم ماكل ولا
له في ارضكم من موئل وقد دجا جنح الظلام المسبل وهو من الحيرة
في تململ فهل بهذا الربع عذب المنهل يقول لي الق عصاك وادخل
وابشر ببشر وقرى معجل قال فبرز الي جودر عليه شوذر وقال وحرمة
الشيخ الذي سن القرى واسس المحجوج في ام القرى ما عندنا لطارق
اذا عرى سوى الحديث والمناخ في الذرى وكيف يقري من نفى عنه الكرى
طوى برى اعظمه لما انبرى فما ترى فيما ذكرت ما ترى فقلت له ما اصنع
بمنزل قفر ومنزل حلف فقر ولكن يا فتى ما اسمك فقد فتنني فهمك
فقال اسمي زيد ومنشاي فيد ووردت الى هذه المدرة امس مع اخوالي

من بني عبس فقلت له زدني ايضاحا ادرك الله صلاحا عشت ونعشت
فقال اخبرتني امي برة وهي كاسمها برة انها نكحت عام الغارة بماوان
رجلا من سراة سروج وغسان فلما آنس منها الاثقال وكان باقعة على
ما يقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف احي هو فيتوقع ام اودع اللحد
البلقع قال ابو زيد فعلمت بصحة العلامات انه ولدي وصدفني عن
التعرف اليه صفر يدي ففصلت عنه بكبد مرضوضة ودموع
مفضوضة فهل سمعتم يا اولي الالباب باعجب من هذا العجاب فقلنا
لا ومن عنده علم الكتاب فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق وخلدوها
بطون الاوراق فما سير مثلها قط في الآفاق فاحضرنا الدواة و
اساودها ورقشنا الحكاية على ما يسردها ثم استنبطناه عن مرتآه (وكتبنا)
في استضمام فتاه فقال اذا ثقل ردني خف علي ان اكفل ابني فقلنا
ان كان يكفيك نصاب من المال الفناه لك في الحال فقال كيف

لا يقنعني نصاب وهل يحتفر قدح الامصاب قال الراوي فالتزم منه
كل منا قسطا وكتب له به قطا فانكر عند ذلك الصنع واستنفد في الثنا
الوسع حتى انا استطلنا القول واستقللنا الطول ثم انه نشر من وشي
السمر ما ازرى بالحبر الى ان اظل التنوير وجشر الصبح المنير فقضينا
ليلة غابت شوائبها الى ان شابت ذوائبها وكمل سعودها الى ان انفطر
عمودها ولما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة وقال انهض بنا لنقبض
الصلات ونستنض الاحالات فقد استطارت صدوع كبدي من الحنين الى
ولدي فوصلت جناحه حتى سنيت نجاحه فحين احرز العين في صرته
برقت اسارير مسرته وقال لي جزيت خيرا عن خطا قدميك والله
خليفتي عليك فقلت اريد ان اتبعك لاشاهد ولدك النجيب وانا
لكي يجيب فنظر الي نظرة الخادع الى المخدوع وضحك حتى تغرغرت مقلتاه
بالدموع ثم انشد يا من تظنى السراب ماء لما رويت الذي رويت ما خلت

ان

ان ينتشر مكري وان يحيل الذي عنيت والله ما برة يعرسي ولا لي
بر اكتنيت وانما لي فنون سحر ابتدعت فيها وما اقتديت لم يحكها
الاصمعي فيما حكى ولا حاكها الكميت تحذى لها وصلة الى ما تجنيه
كفي متى اشتهيت ولو تعافيتها لحالت حالي ولم احو ما حويت فمهد
العذر او فسامح ان كنت اجرمت او جنيت ثم انه ودعني ومضى
واودع قلبي جمر الغضا

المقامة السادسة تعرف بالمراغية

روى الحارث بن
همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى فيه ذكر البلاغة فاجمع
من حضر من فرسان اليراعة وارباب البراعة على انه لم يبق من ينقح
الانشاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من
يبتدع طريقة غراء او يفترع رسالة عذراء وان المفلق من كتاب
هذا الاوان المتمكن من ازمة البيان كالعيال على الاوائل ولو ملك
فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية عند

بالمراغة

موافقة الحاشية فكان كلما نشط القوم في شوطهم ونثروا العجوة والنجو
من نوطهم ينبئ تخازر طرفه وتشامخ انفه انه مخرنبق لينباع
ومجرمز سيمد الباع ونابض يبري النبال ورابض يبغي النضال فلما
نثلت الكنائن وفاءت السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع
اقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيئا ادا وجرتم عن القصد جدا و
عظمتم العظام الرفات وافتننتم في الميل الى من فات وغمصتم جيلكم
الذين فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت المودات انسيتم
يا جهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما ابرزته طوارف القرائح و
برزت فيه الجذع على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات الم
ستعذبة والرسائل الموشحة والاساجيع المستملحة وهل للقدماء
اذا انعم النظر من حضر غير المعاني المطروقة الموارد المعقولة الشوا
رد المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على الوارد واني

لاعرف الآن من اذا انشأ وشى واذا عبر حبر واذا اسهب اذهب واذا
اوجز اعجز وان بده شده ومتى اخترع خرع فقال له ناظورة الديوا
ن وعين اولئك الاعيان من قارع هذه الصفاة وقريع هذه الصفات
فقال انه قرن مجالك وقرين جدالك واذا شئت فرض نجيبا وادع مجيبا
لترى عجيبا فقال يا هذا ان البغاث بارضنا لا يستنسر والتمييز عندنا بين
الفضة والقضة متيسر وقل من استهدف للنضال فخلص من الداء
العضال او استثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك
للمفاضح ولا تعرض عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ اعرف بوسم قدحه
وسيسفر الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه ويعتبر
به تقليبه فقال احدهم ذروه في حرفتي لارميه بحجر قصيتي فانها عضلة
العقد ومحك المنتقد فقلدوه في هذا الامر الزعامة تقليد الخوارج
ابا نعامة فاقبل على الكهل وقال اعلم اني اوالي هذا الوالي واقح

خالي بالبال الخالي وكنت أستعين على تقويم أودي في بلدي بسعة
ذات يدي مع قلة عددي فلما ثقل حاذي ونفد رذاذي أممته
من أنجاني بحاجتي ودعوته لإعادة رُوائي وإروائي فهتن للوفادة
وراح وغدا بالإفادة وراح فلما استأذنته في المراح إلى المراح على
كاهل المراح قال قد أزمعت ألا أزودك سباتًا ولا أجمع لك شتاتًا
أو تنشئ أمام ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك حروف إحدى
كلمتيها يعمها النقط وحروف الأخرى لم يعجمن قط وقد استأنيت بيانها
حولًا فما أحار قولًا ونبهت فكري سنة فما ازداد إلا سنة واستعنت
بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب فإن كنت صدعت عن
وصفك باليقين فأت بآية إن كنت من الصادقين فقال له يا هذا
لقد استسعيت يعبوبًا واستسقيت أسكوبًا وأعطيت القوس باريها
وأسكنت الدار بانيها ثم فكر ريثما استجم قريحته واستدر لقحته

وقال

وقال له ألق دواتك وخذ أداتك واكتب الكرم ثبت الله جيش
سعودك يزين واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين والأروع يثيب
والمعور يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف والسمح يغذي
والمحك يقذي والعطاء ينجي والمطال يشجي والدعاء يقي والمدح
ينقي والحر يجزي والإلطاط يخزي واطراح ذي الحرمة غي ومحرمة بني
الآمال بغي وما ضن إلا غبين ولا غبن إلا ضنين ولا خزن إلا شقي
ولا قبض راحة تقي وما فتئ وعدك يفي وآراؤك تشفي وهلالك
يضيء وحلمك يغضي وآلاؤك تغني وأعداؤك تثني وحسامك
يفني وسؤددك يبني ومواصلك يجتني ومادحك يقتني وسماحك
يغيث وسماؤك تغيث ودرك يفيض ودرؤك يغيض ومؤملك
شيخ حكاه فيء ولم يبق له شيء أملك بظن حرصه يثب ومدحك
بجد يخب مهورها تجب ومرامه يخف وأواصره تشف وأطرافه تجذب

ومَلامُهُ يُجتنبُ ووُدُّهُ ضَفَفٌ مُتَمَّمُهُ شَظَفٌ وحِصَصُهُم جَنَفٌ
وعَمُّهُم قَشَفٌ وهُوَ في دمعٍ يُجيبُ ووَلَهٍ يُذيبُ وهَمٍّ نَصيبٍ وكَبِدٍ
تَجِبُ لمأمولٍ خَيَّبَ وإهمالٍ شَيَّبَ وعَدُوٍّ نَيَّبَ وهُدُوٍّ تَغَيَّبَ
ولم يَزِغ وُدُّهُ فيَغضَبَ ولا أخبَثَ عُودُهُ فيُقضَبَ ولا نفَثَ صدرُهُ
فيُنفَضَ ولا نشَزَ وصلُهُ فيُبغَضَ وما يقتضي كرمُكَ نبذَ حُرمتِهِ فبيِّض
أمَلَهُ بتخفيفِ ألَمِهِ تُثنَ حمدَ كَيِّسٍ عالِمٍ تُنِبْ لإماطةِ شَجَبٍ وإغناءِ
تَشَبُّثٍ ومُداواةِ شَجٍ ومُراغاةِ بَغيٍ موصولاً بخفضٍ وسرورٍ غضٍّ مُلتقى
معهدُ غِنىً أو خِبىً وهُم غِنىً والسلام فلمّا فرغ من إملاءِ رسالتِهِ وجلّى
في هيجاءِ البلاغةِ عن بسالتِهِ أرضتهُ الجماعةُ قولاً وفعلاً وأوسعتهُ
حفاوةً وطَولاً ثم سُئلَ من أيّ الشعوبِ نِجارُهُ وفي أيّ الشِّعابِ وِجارُهُ
فقال شعر غسّانُ أسرتي الصميمةُ وسروجُ تُربتي القديمةُ فالبيتُ مِثلُ
الشمسِ إشراقاً ومنزلُ جنّةٍ والربعُ كالفردوسِ مَطيبةً ومنزهةً وقيمةً

واها

واهاً لعيشٍ كان لي فيها ولذّاتٍ عميمهْ أيّامَ أسحبُ مِطرفي في روضِها ماضي العزيمهْ
أختالُ في بُردِ الشبابِ وأجتلي النِّعَمَ الوسيمهْ لا أتّقي نُوَبَ الزمانِ ولا أحاذِرُ
المُلِمّهْ فلو انّ كرباً مُتلِفٌ لتَلِفتُ من كَربي المقيمهْ أو يُفتدى عيشٌ مضى لفدَتْهُ
مُهجتيَ الكريمهْ فالموتُ خيرٌ للفتى من عيشِهِ عيشَ البهيمهْ تقتادُهُ بُرَةُ الصَّغا
إلى العظيمةِ والهضيمةْ ويرى السباعَ تنوشُها أيدي الضباعِ المستضيمهْ والذَّنبُ
للأيّامِ لولا سوؤها لم تنبُ شيمهْ ولو استقامتْ كانت الأحوالُ فيها
مستقيمهْ ثم إنّ خبرهُ نَمى إلى الوالي فملأ فاهُ باللآلي وسامَهُ أن ينضوي
إلى حَشَمِهِ ويلي ديوانَ إنشائِهِ فأحسَبَهُ الحِبا وظلَفَهُ عن الولايةِ
الإباءُ قال الراوي وكنتُ عرفتُ عودَ شجرتِهِ قبل إيناعِ ثمرتِهِ وكدتُ
أُنبّهُ على علوّ قدرِهِ قبل استنارةِ بدرِهِ فأوحى إليّ بإيماضِ جفنِهِ
ألا أُجرّدَ عضبَهُ من جفنِهِ فلمّا خرجَ بطينَ الخُرجِ وفصلَ فائزاً با
لفَلْجِ شيّعتُهُ قاضياً حقّ الرعايةِ ولاحياً له على رفضِ الولايةِ فأعرض

مُبْتَسِمًا وأنشد لَجَوْبُ البِلادِ مَعَ المَتْرَبَهْ أحَبُّ إليَّ مِنَ المَرْتَبَهْ لأنّ الوُلاةَ
لَهُمْ نَبْوَةٌ ومَعْتَبَةٌ يا لَها مَعْتَبَهْ وما فيهِمُ مَنْ يَرُبُّ الصَّنيعَ ولا مَنْ يُشَيِّدُ
ما رَتَّبَهْ فلا يَخْدَعَنْكَ لُموعُ السَّرابِ ولا تأتِ أمْرًا إذا ما اشْتَبَهْ فكَمْ حالِمٍ
سَرَّهُ حُلْمُهُ وأُدْرِكَ بالرَّوْعِ لَمّا انْتَبَهْ المقامة السابعة

تعرف بالبرقعيدية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال أزمعتُ الشُّخوصَ من برقعيدَ وقد شِمْتُ برقَ عيدٍ
فكرِهتُ الرِّحلةَ عن تلك المدينةِ أو أشهدَ بها يومَ الزّينةِ فلمّا أظلَّ
العيدُ بفرضِهِ ونفلِهِ وأجلبَ بخيلِهِ ورجلِهِ اتّبعتُ السُّنّةَ في لُبسِ الجديدِ
وبرزتُ مع من برزَ للتّعييدِ وحين التأمَ جمعُ المصلّى وانتظمَ وأخذَ الزِّحامُ
بالكظمِ طلعَ شيخٌ في شملتينِ محجوبُ المقلتينِ وقد اعتضدَ شِبهَ المِخلاةِ
واستقادَ لعجوزٍ كالسِّعلاةِ فوقفَ وقفةَ متهافتٍ وحيّا تحيّةَ خافتٍ
ولمّا فرغَ من دعائِهِ أجالَ خمسَهُ في وعائِهِ فأبرزَ منهُ رِقاعًا قد
كُتِبْنَ بألوانِ الأصباغِ في أوانِ الفراغِ فناولهُنَّ عجوزَهُ الحيزبونَ وأمرَها

بان

بأن تتوسّمَ الزَّبونَ فمن آنستْ ندى يديهِ ألقتْ ورقةً منهنّ لديهِ قال
فأتاحَ لي القدرُ المعتوبُ رقعةً فيها مكتوبٌ شعر لقد أصبحتُ موقوذًا
بأوجاعٍ وأوجالِ وممنوًّا بمحتالٍ ومغتالٍ ومختالِ وخوّانٍ من الإخوانِ قالٍ لي
وقلّالِ وأعمالٍ من العُمّالِ في تضليعِ أعمالي فكم أصلى بإدخالٍ وإمحا
وترحالٍ وكم أخطِرُ في بالٍ ولا أخطُرُ في بالِ فليتَ الدّهرَ لمّا جارَ أطفا
أطفالي فلولا أنّ أشبالي أغلالي وأغلالي لما جهّزتُ آمالي إلى آلٍ ولا والِ
ولا جرّرتُ أذيالي على مسحبِ إذلالِ فمحرابي أحرى بي وأسمالي أسمى لي فهل حرٌّ
يرى تخفيفَ أثقالي بمثقالٍ ويطفي حرَّ بلبالي بسربالٍ وسروالِ قال الحا
همّامٍ فلمّا استعرضتُ حُلّةَ الأبياتِ تُقتُ إلى معرفةِ مُلحِمِها وراقمِ علمِها
فناجاني الفكرُ المحجوجُ بأنّ الوُصلةَ إليهِ العجوزُ وأمّاني بأنّ حلوانَ المعرِّفِ
يجوزُ فرصدتُها وهي تستقري الصُّفوفَ صفًّا صفًّا وتستوكفُ الأكفَّ
كفًّا كفًّا وما أنجحَ لها عناءٌ ولا رشحَ على يدِها إناءٌ فلمّا أكدى استعطا
فها

وكدّها مطالها عادت بالاسترجاع ومالت الى ارتجاع الرقاع وانساها الشيطان
ذكر دفعي فلم تعج الى بقعتي وآبت الى الشيخ باكية للحرمان شاكية تحامل الزمان
فقال انا لله وافوض امري الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم انشد
لم يبق صافٍ ولا مصافٍ ولا معينٌ ولا معين وفي المساوي بدا التساوي
فلا امين ولا ثمين ثم قال لها مني النفس وعدها واجمعي الرقاع وعدها
فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع قد غالت احدى
الرقاع فقال تعساً لك يا لكاع اتحرم ونحرم القنص والحبالة والقبس
والذبالة وانها لضغث على ابالة فانصاعت تقتص مدرجها
وتنشد مدرجها فلما دانتني قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقالت
له ان رغبت في المشوف المعلم وآثرت الى الدرهم فبح بالسر المبهم
وان ابيت ان تشرح فخذ القطعة واسرح فملت الى استخلاص الدرهم
التم والابلج الاهم وقالت دع جدالك وسل عما بدا لك فاستطلعتها

طلع الشيخ وبلدته والشعر وناسج بردته فقالت ان الشيخ من اهل سروج
وهو الذي وشى الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق ومرقت
مروق السهم الراشق فخالج قلبي ان ابا زيد هو المشار اليه وناجح كربي
للمصاب بناظريه وآثرت ان افاجئه واناجيه لاعجم عود فراستي
فيه وما كنت لاصل اليه الا بتخطي رقاب الجمع المنهي عنه في الشرع
وخفت ان يتأذى بي قوم او يسري الي لوم فسددت بمكاني وجعلت
شخصه قيد عياني الى ان انقضت الخطبة وحقت الوثبة
فتخففت اليه وتوسمته على انجمام جفنيه فاذا ألمعيتي ألمعية ابن عباس
وفراستي فراسة اياس فعرفته حينئذ شخصي وآثرته باحد قمصي
واهبت به الى فرصي فهش لعارفتي وعرفاني ولبى دعوة رغفاني
وانطلق ويدي زمامه وظلي امامه والعجوز ثالثة الاثافي واللزيق
الذي لا يخفى عليه خافي فلما استخلص وكني واحضرته عجالة مكنتي

قَالَ يَا حَارِثُ أَمَعَنَا ثَالِثٌ فَقُلْتُ لَيْسَ إِلَّا الْعَجُوزُ فَقَالَ مَا دُونَهَا مَحْجُوزٌ ثُمَّ
فَتَحَ كَرِيمَتَيْهِ وَوَرَاءَ بِتَوْأَمَتَيْهِ فَإِذَا سِرَاجَا وَجْهِهِ يَتَّقِدَانِ كَأَنَّهُمَا الْفَرْقَدَانِ
فَابْتَهَجْتُ بِسَلَامَةِ بَصَرِهِ وَعَجِبْتُ مِنْ غَرَائِبِ سِيَرِهِ وَلَمْ يَلْفِنِي قَرَارٌ وَلَا
اصْطِبَارٌ حَتَّى سَأَلْتُهُ مَا دَعَاكَ إِلَى التَّعَامِي مَعَ سَيْرِكَ فِي الْفَيَافِي وَجَوْبِكَ
لِلْمَوَامِي وَإِيغَالِكَ فِي الْمَرَامِي فَتَظَاهَرَ بِاللُّكْنَةِ وَتَشَاغَلَ بِاللُّهْنَةِ حَتَّى
إِذَا قَضَى وَطَرَهُ آثَارَ إِلَيَّ نَظَرَهُ وَأَنْشَدَ شِعْرًا وَلَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبُو
الْوَرَى عَنِ الرُّشْدِ فِي أَنْحَائِهِ وَمَقَاصِدِهِ تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو عَمًى
وَلَا غَرْوَ أَنْ يَحْذُو الْفَتَى حَذْوَ وَالِدِهِ ثُمَّ قَالَ لِيَ انْهَضْ إِلَى الْمَخْدَعِ فَأْتِنِي بِغَسُولٍ
يَرُوقُ الطَّرْفَ وَيُنَقِّي الْكَفَّ وَيُنَعِّمُ الْبَشَرَةَ وَيُعَطِّرُ النَّكْهَةَ وَيَشُدُّ اللِّثَةَ
وَيُقَوِّي الْمَعِدَةَ وَلْيَكُنْ نَظِيفَ الظَّرْفِ أَرِيجَ الْعَرْفِ فَتِيَّ الدَّقِّ نَاعِمَ السَّحْقِ
يَحْسَبُهُ اللَّامِسُ ذَرُورًا وَتَخَالُهُ النَّاشِقُ كَافُورًا وَاقْرِنْ بِهِ خِلَالَةً نَقِيَّةَ
الْأَصْلِ مَحْبُوبَةَ الْوَصْلِ أَنِيقَةَ الشَّكْلِ مَدْعَاةً إِلَى الْأَكْلِ لَهَا نَحَافَةُ

الصب

الصَّبِّ وَصِقَالُ الْعَضْبِ وَآلَةُ الْحَرْبِ وَلُدُونَةُ الْغُصْنِ الرَّطْبِ قَالَ فَنَهَضْتُ
فِيمَا أَمَرَ لِأَدْرَأَ عَنْهُ الْغَمَرَ وَلَمْ أَهْجِسْ إِلَى أَنَّهُ قَصَدَ أَنْ يَخْدَعَ بِإِدْخَالِي
وَلَا تَظَنَّيْتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنَ الرَّسُولِ فِي اسْتِدْعَاءِ الْخِلَالَةِ وَالْغَسُولِ
فَلَمَّا عُدْتُ بِالْمُلْتَمَسِ فِي أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفَسِ وَجَدْتُ الْجَوَّ قَدْ خَلَا وَالشَّيْخَ
وَالشَّيْخَةَ قَدْ أَجْفَلَا فَاسْتَشَطْتُ مِنْ مَكْرِهِ غَضَبًا وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ طَلَبًا
فَكَانَ كَمَنْ قُمِسَ فِي الْمَاءِ أَوْ عُرِجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ **الْمَقَامَةُ الثَّامِنَةُ**
مُحَاكَمَةُ وَلَدِهِ إِلَى قَاضِي مَعَرَّةِ النُّعْمَانِ أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ رَأَيْتُ مِنْ أَعَاجِيبِ
الزَّمَانِ أَنْ تَقَدَّمَ خَصْمَانِ إِلَى قَاضِي مَعَرَّةِ النُّعْمَانِ أَحَدُهُمَا قَدْ ذَهَبَ
مِنْهُ الْأَطْيَبَانِ وَالْآخَرُ كَأَنَّهُ قَضِيبُ الْبَانِ فَقَالَ الشَّيْخُ أَيَّدَ اللهُ الْقَاضِيَ
كَمَا أَيَّدَ بِهِ الْمُتَقَاضِيَ إِنَّهُ كَانَتْ لِي مَمْلُوكَةٌ رَشِيقَةُ الْقَدِّ أَسِيلَةُ الْخَدِّ
صَبُورٌ عَلَى الْكَدِّ تَخُبُّ أَحْيَانًا كَالنَّهْدِ وَتَرْقُدُ أَطْوَارًا فِي الْمَهْدِ وَتَجِدُ
فِي تَمُّوزَ مَسَّ الْبَرْدِ ذَاتُ عَقْلٍ وَعِنَانٍ وَحَدٍّ وَسِنَانٍ وَكَفٍّ بِلَا بَنَانٍ

وفم بلا اسنان تلدغ بلسان نضناض وترفل في ذيل فضفاض وتجلى
في سواد وبياض وتسقي ولكن من غير حياض ناصحة خدعة خبأة طلعة
مطبوعة على المنفعة مطواعة في الضيق والسعة اذا قطعت وصلت
ومتى فصلتها عنك انفصلت وطالما خدمتك فجملت وربما
جنت عليك فآلمت وململت وان هذا الفتى استخدمنيها لغرض فاخدمته
اياها بلا عوض على ان يجتني نفعها ولا يكلفها الا وسعها فاولج
فيها متاعه واطال بها استمتاعه ثم اعادها وقد افضاها وبذل
عنها قيمة لا ارضاها فقال الحدث اما الشيخ فاصدق من القطا واما
الافضاء ففرط عن خطا وقد رهنته عليه ارش ما اوهنته مملوكا لي
متناسب الطرفين منتسبا الى القين نقيا من الدرن والشين يقارن
محله سواد العين يفشي الاحسان وينشي الاستحسان ويغذي الانسان
ويتحامى اللسان ان سود جاد او وسم اجاد واذا زود زاد

استزيد

استزيد زاد ولا يستقر بمغنى وقلما ينكح الا مثنى يجود بموجوده ويسمو
عند جوده وينقاد مع قرينته وان لم تكن من طينته ويستمتع
بزينته وان لم يطمع في لينته فقال لهما القاضي اما ان تبينا
والا فبينا فابتدر الغلام وقال شعر اعارني ابرة لاردفوا اطمارا

ما طرق الشيخ واطال

عفاها البلى وسودها فانخرمت في يدي على خطا مني جذبته فقوها
فلم ير الشيخ ان يسامحني بارشها اذ راى تاودها بل قال هات
ابرة تماثلها او قيمة بعد ان تجودها واعتاق ميلي رهنا لديه و
ناهيك لها سبة تزودها والعين مرها الرهينة ويدي تقصر
عن ان تفك مرودها فاسبر اذا الشيخ عود مكتني وارث لمن لم يكن
تعودها فاقبل القاضي على الشيخ وقال ايه بغير تمويه فقال الشيخ
اقسمت بالمشعر الحرام ومن ضم من الناسكين خيف منا لو سلعفتني
الايام لم ترني مرتهنا ميله الذي رهنا ولا اضطررت ابتغي بكا

مِن أبرّهِ عاقًّا ولا آثمًا لكنّ قوسَ الخطوبِ رشقتني بمُصمِياتٍ من هنا

وهنا وخرجا إلى أن حالتنا ضرًّا وبؤسًا وعريًا ونضًا فقد عدل الدهرُ

بيننا فأنا نظيرُهُ في الشقاءِ وهو أنا لا هو يستطيعُ فكَّ مرودِهِ ولا أنا أغدو

في يديَّ مرهنًا ولا مجالَ لضيقِ ذاتِ يدي فيهِ إلا التلعُّ للعقوحين

جنا فهذهِ قصّتي وقصّتُهُ فانظرْ إليّنا وبيننا ولنا فلمّا وعى القاضي

قصصَهما وتبيّنَ خصاصتَهما وخصاصَهما أبرزَ لهما دينارًا من تحتِ

مصلّاهُ وقال اقطعا بهِ الخصامَ وافصلاهُ فتلقّفَهُ الشيخُ دونَ

الحدثِ واستخلصَهُ على وجهِ الجدِّ لا العبثِ وقال للحدثِ نصفُه لي

بسهامِ مبرّتي وسهمُكَ لي عن فضلِ إبرتي ولستُ عن الحقِّ أميلُ فقمْ

وخذِ الميلَ فعرا الحدثَ لما حدثَ اكتئابٌ فوجمَ لهُ القاضي ووهجَ

أسفُهُ على الدينارِ الماضي إلا أنّهُ جبرَ بالَ الفتى وبلبالَهُ بدُرَيهِماتٍ

لها لهُ وقالَ لهما اجتنبا المعاملاتِ وادرآ المخاصماتِ ولا تحضراني

في المحاكماتِ فما عندي كيسُ الغراماتِ فنهضا من عندِهِ فرحينَ وبجدواه

مفصحين والقاضي ما تخبو ضجرتُهُ مذ نضّت حجرتُهُ ولا تبوخُ كمدتُهُ

مذ نشّ جلمدتُهُ حتّى إذا أفاقَ من غشيتِهِ أقبلَ على غاشيتِهِ وقالَ

قد أشربَ حسّي ونبّأني حدسي أنّهما صاحبا دهاءٍ لا خصما ادّعاءٍ فكيفَ

السبيلُ إلى سبرِهما واستنباطِ سرِّهما فقالَ لهُ خُزَيْرُ دُمَرِهِ ونحريرُ زُمَرِهِ

أنّهُ لن يتمَّ استخراجُ خبيئِهما إلا بهما فقفّاهما عونًا بأن رجعَهما إليهِ فلمّا

مثلا بينَ يديهِ قالَ لهما اصدقاني سنّكما ولكما الأمانُ من تبعةِ

مكرِكما فأحجمَ الحدثُ واستقالَ وأقدمَ الشيخُ وقالَ شعر أنا السروجي

وهذا ولدي والشبلُ في المخبرِ مثلُ الأسدِ وما تعدّتْ يدُهُ ولا

يدي في إبرةٍ يومًا ولا في مرودِ وإنّما الدهرُ المسيءُ المعتدي مالَ

بنا حتّى غدونا نجتدي كلَّ نديِّ الراحةِ عذبِ المورِدِ وكلَّ جعدِ

الكفِّ مغلولِ اليدِ بكلِّ فنٍّ وبكلِّ مقصدِ بالجدِّ إن أجدى وإلّا

بالدّد ويجلب الرشد الى الحظّ الصدى وينفد العمر بعيش نكد والمو
من بعد لنا بالمرصد ان لم يفاجئ اليوم فاجا فى غدي فقال له القاضى
لله درك فما اعذب نفثات فيك وواهًا لك لولا خداع فيك وانى
لك لمن المنذرين وعليك من الحذرين فلا تماكر بعدها الحاكمين واتّق
سطوة المحكمين فما كل مسيطر يقيل ولا كل اوان تسمع معاهدة الشيخ على
اتباع مشورته والارتداع عن تلبيس صورته وفصل عن حضرته والخزى
يلمع من جبهته قال الحارث بن همام فلم ار اعجب منها فى تصاريف
الاسفار ولا قرأت مثلها فى تصانيف الاسفار المقامة التاسعة مناجزة ومسمعة بحيث الى
حاكم الاسكندرية اخبر الحارث بن همام قال طحا بى مرح الشباب وهوى
الاكتساب الى ان جبت ما بين فرغانة وغانة اخوض الغمار لاجنى
الثمار واقتحم الاخطار لكى ادرك الاوطار وكنت لقفت من افواه
العلماء وثقفت من وصايا الحكماء انه يلزم الاديب الاريب اذا

دخل

دخل البلد الغريب ان يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره
عند الخصام ويأمن فى الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الادب
اماما وجعلته لمصالحى زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت
عرينة الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته
تقوّى الاجساد بالارواح فبينما انا عند حاكم الاسكندرية فى
عشية عرية وقد احضر مال الصدقات ليفضّه على ذوى الفاقات
اذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مصبية فقالت ايّد الله القاضى
وادام به التراضى انى امرأة من اكرم جرثومة واطهر ارومة واشرف
خؤولة وعمومة ميسمى الصون وشيمتى الهون وخلقى نعم العون و
بينى وبين جاراتى بون وكان ابى اذا خطبنى بناة المجد وارباب الجد
سكّتهم وبكّتهم وعاف وصلتهم وصلتهم واحتج بانه عاهد الله
تعالى بحلفة ان لا يصاهر غير ذى حرفة فقيض القدر لنصبى ووصبى

إن حضر هذا الخدع نادي أبي فأقسم بين رهطه إنه وفق شرطه وادّعى
أنه طالما نظم درة إلى درة فباعهما ببدرة فاغترّ أبي بزخرفة محاله
وزوّجنيه قبل اختبار حاله فلما استخرجني من كناسي ورحّلني
عن أناسي ونقلني إلى كسره وحصّلني تحت أسره وجدته قعدة جثمة
وألفيته ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزيّ وأثاث وريّ
فما برح يبيعه في سوق الهضم ويتلف ثمنه والقضم إلى أن مزّق
مالي بأسره وأنفق مالي في عسره فلما أنساني طعم الراحة وغادر بيتي
أنقى من الراحة قلت له يا هذا إنه لا مخبأ بعد بؤس ولا عطر بعد
عروس فانهض للاكتساب بصناعتك واجن ثمرة براعتك فزعم
أن صناعته قد رميت بالكساد لما ظهر في الأرض من الفساد ولي
منه سلالة كأنها خلالة وكلانا ما ينال معه شبعة ولا يرقأ له من
الطوى دمعة وقد قدته إليك وأحضرته لديك لتعجم عود دعواه وتحكم

في الخضم

بيننا

بيننا بما أراك الله فأقبل القاضي عليه وقال له قد وعيت قصص عرسك
فبرهن عن نفسك وإلا كشفت عن لبسك وأمرت بحبسك فأطرق إطراق
الأفعوان ثم شمّر للحرب العوان وقال شعر اسمع حديثي فإنه عجب يضحك
من شرحه وينتحب أنا امرؤ ليس في خصائصه عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي ولدت بها والأصل غسان حين أنتسب وشغلي الدرس
والتبحّر في العلم طلابي وحبذا الطلب ورأس مالي سحر الكلام الذي منه
يصاغ القريض والخطب أغوص في لجة البيان فأختار اللآلي منها وأ
نتخب وأجتني اليانع الجني من القول وغيري للعود محتطب وآخذ اللفظ
فضة فإذا ما صغته قيل إنه ذهب وكنت من قبل أمتري نشبا بالأدب
المقتنى وأحتلب ويمتطي أخمصي لحرمته مراتبا لم يرق فوقها رتب وطال
ما دفقت الصلات إلى ربعي فلم أرض كل من يهب فاليوم من يعلق
الرجاء به أكسد شيء في سوقه الأدب لا عرض أبنائه يصان ولا يرقب

فيهم إلٌّ ولا نسبُ كأنهم في عراصهم جيفٌ تُعَدُّ من نتنها وتُجتنبُ
فحار لُبّي لما مُنيتُ به من الليالي وصرفها عجبُ وضاق ذرعي
ذاتِ يدي وساورتني الهمومُ والكُرَبُ وقادني دهريَ المُلِمُّ إلى
سلوكِ ما يَشتَنيه الحسبُ فبعتُ حتى لم يبقَ لي سَبَدٌ ولا بتاتٌ إليه أنقلبُ
وادّنتُ حتى أثقلتُ سالفتي تحمُّلَ دَينٍ من دونه العطبُ ثم طويتُ الحشا
على سغبٍ خمساً فلما أضنى السغبُ لم أرَ إلا جهازها عرضاً أجولُ
في بيعه وأضطربُ فجُلتُ فيه والنفسُ كارهةٌ والعينُ عبرى والقلبُ
مكتئبُ وما تجاوزتُ إذ عبثتُ به حدَّ التراضي فيحدثَ الغضبُ فإن
يكن غاظها توهُّمُها أنّ بناني بالنظم تكتسبُ أو أنني إذ عزمتُ خِطبتها
زخرفتُ قولي لينجحَ الأربُ فوالذي سارت الرفاقُ إلى كعبته تستحثُّها
النُّجُبُ ما المكرُ بالمحصنات من خُلُقي ولا شعاريَ التمويهُ والكذبُ
ولا يدي مذ نشأتُ نيطَ بها إلا مواضي اليراعِ والكتبُ بل فكرتي

تنظم

تنظمُ القلائدَ لا كفّي وشعريَ المنظومُ لا السُّخُبُ وهذه الحرفةُ المشارُ إلى ما كنتُ
أحوي بها وأجتلبُ فأذَن بزجري كما أذِنتَ لها ولا تُراقبْ واحكمْ بما يجبُ
قال فلما أحكمَ ما شاده وأكملَ إنشاده عطفَ القاضي إلى الفتاة بعد أن
شُغِفَ بالأبيات وقال أما إنه قد ثبتَ عند جميع الحكّام وولاةِ الأحكام
انقراضُ جيلِ الكرام وميلُ الأيام إلى اللئام وإني لأخالُ بعلكِ صدوقاً
في الكلام بريّاً من الملام وها هو قد اعترفَ لكِ بالقرض وصرّحَ عن المحض
وبيّنَ مصداقَ النظم وتبيّنَ أنه معروقُ العظم وإعناتُ المعذِرِ ملامةٌ
وحبسُ المعسرِ مأثمةٌ وكتمانُ الفقرِ زهادةٌ وانتظارُ الفرجِ بالصبرِ عبادةٌ
فارجعي إلى خدركِ واعذِري أبا عذركِ ونهنهي عن غَرْبكِ وسلّمي لقضاء
ربّكِ ثم إنه فرضَ لهما في الصدقات حصّةً وناولهما من دراهمها
قبصةً وقال تعلّلا بهذه العُلالة وتندّيا بهذه البُلالة واصبرا على
كيدِ الزمان وكدّه فعسى الله أن يأتيَ بالفتح أو أمرٍ من عنده فنهضا

وللشيخ فرحة المطلق من الإسار وهزة الموسر بعد الإعسار قال الراوي وكنت
عرفت أنه أبو زيد ساعة بزغت شمسه ونزغت عرسه وكدت أفصح
عن افتنانه وإثمار أفنانه ثم أشفقت من عثور القاضي على بهتانه وتزويق
لسانه فلا يرى عند عرفانه أن يرشحه لإحسانه فأحجمت عن القول إحجام
المرتاب وطويت ذكره كطي السجل للكتاب إلا أني قلت بعد ما فصل
ووصل إلى ما وصل لو أن لنا من ينطلق في أثره لأتانا بنقض خبره
بما ينثر من خبره فأتبعه القاضي أحد أمنائه وأمره بالتجسس عن أنبائه
فما لبث أن رجع متدهدها وقهقر مقهقها فقال له القاضي مهيم
يا أبا مريم فقال لقد عاينت عجبا وسمعت ما أنشأ لي طربا فقال
له ماذا رأيت وما الذي وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه
ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول شعر كدت أصلى
ببلية من وقاح شمّريه وأزور السجن لولا حاكم الإسكندرية ضحاك

القاضي

القاضي حتى هوّن دينه ودوّن سكينته فلما فاء إلى الوقار عقّب
الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بحرمة عبادك المقربين حرّم حبسي على
المتأدبين ثم قال لذلك الأمين عليّ به فانطلق مجدا في طلبه ثم عاد
بعد لأيٍ مخبرا بتنائيه فقال القاضي أما إنه لو حضر لكفي الحذر ثم
لأوليته ما هو به أولى ولأريته أن الآخرة خير له من الأولى قال
الحارث بن همام فلما رأيت صغو القاضي إليه وفوت ثمرة التنبيه
عليه غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان النوار والكسعي لما استبان
النهار

المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية

حكى الحارث بن همام قال
هتف بي داعي الشوق إلى رحبة مالك بن طوق فلبيته ممتطيا
شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة فلما ألقيت بها المراسي وشددت
أمراسي وبرزت من الحمام بعد تسبيد راسي رأيت غلاما أفرغ في قالب
الجمال وألبس من الحسن حلة الكمال وقد اعتلق شيخ بردنه يدّعي أنه

فتك بابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر فريته والخصام بينهما متطاير
الشرار والزحام عليهما يجمع بين الأخيار والأشرار الى ان تراضيا
بعد اشتطاط اللدد بالتنافر الى والي البلد وكان ممن يُزَنّ بالهنات
ويغلّب حب البنين على البنات فأسرعا الى ندوته كالسليك في عدوه
فلما حضراه جدّد الشيخ دعواه واستدعى عدواه فاستنطق الغلام
وقد فتنه بمحاسن غرّته وطرّ عقله بتصفيف طرّته فقال انها افكٌ
أفّاكٍ على غير سفّاكٍ وعضيهةُ محتالٍ على من ليس بمحتالٍ فقال الوالي
للشيخ ان شهد لك عدلان من المسلمين والّا فاستوف منه اليمين
فقال الشيخ انه جدّله خاسيا واساح دمه خاليا فأنّى لي شاهد
ولم يكن ثَمّ مشاهد ولكن ولّني تلقينه اليمين ليبين لك أيصدق
أم يمين فقال له انت المالك لذلك مع وجدك المتهالك على
ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام قل والذي زيّن الجباه بالطرر

والعيون

والعيون بالحور والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم
والأنوف بالشمم والخدود باللهب والثغور بالشنب والبنان
بالترف والخصور بالهيف انني ما قتلت ابنك سهوا ولا عمدا والّا
فرمى الله جفني بالعمش وخدّي بالنمش وطرّتي بالجلح وطلعي بالبلح
وورْدي بالبهار ومسكي بالبخار وبدري بالمحاق وفضّتي بالاحتراق
وشعاعي بالظلام ودواتي بالأقلام فقال الغلام الاصطلاء
بالبلية ولا الايلاء بهذه الألية والانقياد للقود ولا الحلف
بما لم يحلف به احد فأبى الشيخ الّا تجريعه اليمين التي اخترعها
وامعن له جرعها ولم يزل التلاحي بينهما يستعر ومحجّة التراضي تعِر
والغلام في ضمن تأبّيه يختلب قلب الوالي بتلوّيه ويطمعه في ان
يلبّيه الى ان ران هواه على قلبه وألبّ بلبّه وسوّل له الوجد
الذي بهره والطمع الذي توهّمه ان يخلّص الغلام ويستخلصه

وان يفقده من حبالة الشيخ ثم يقتنصه فقال للشيخ هل لك
فيما هو أليق بالأحرى وأقرب للتقوى فقال إلام تشير لأقتفيه
ولا أقف لك فيه فقال أرى أن تقصر عن القيل والقال وتقتص
منه على ما نزّ من المثقال لا أتحلّل منها بعضا وأجيبك إلى أن فيه غرضا
فقال الشيخ ما مني خلاف فلا يكن لوعدك إخلاف فنقده الوالي
عشرين ووذع على وذعته تكملة خمسين ودقّ ثوب الأصيل وانقطع
لأجله صوب التحصيل فقال له خذ ما راج ودع عنك اللجاج
وعليّ في غد أن أتوصّل إلى أن أنضّ لك الباقي وتنخّل فقال
الشيخ أقبل منك ذلك على أن ألازمه ليلتي ويرعاه إنسان مقلتي
حتى إذا أعفى بعد إسفار الصبح بما بقي من مال الصلح تخلّصت فأنا سبيله
من وثب وبرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب فقال له الوالي ما
أراك سمت شططا ولا رمت فرطا فقال الحارث بن همام فلما رأيت

بجّ الشيخ كالحجّ الزجاجية علمت أنه علم الزجاجية فلبثت إلى أن هوت
نجوم الظلام واستترت عقود الزحام ثم قصدت فناء الوالي فإذا الشيخ
للفتى كالي فنشدته الله أهو أبو زيد فقال إي ومحلّ الصيد فقلت
من هذا الغلام الذي هفت له الأحلام قال هو في النسب فرخي
وفي المكسب فخّي فقلت هلّا اكتفيت بمحاسن فطرته وكفيت الوالي
الافتنان بطرّته فقال لو لم تبرز جبهته السين لما قفش الخمسين
ثم قال لي بت الليلة عندي لأطفئ نار الجوى وأنديل الهوى من النوى
فقد أجمعت على أن أنسلّ بسحرة وأصلي قلب الوالي نار حسرة قال
فقضيت الليلة معه في سمر أنق من حديقة زهر وحميلة نهر
إذا لألأ الأفق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان ركب متن
الطريق وأذاق الوالي عذاب الحريق وسلّم إليّ ساعة الفراق رقعة
محكمة الإلصاق وقال ارفعها إلى الوالي إذا سلب القرار وتحقّق

منّا الفرار فقضضناها فعل المتلمّس من مثل صحيفة المتلمّس فإذا فيها
مكتوب قل لوالٍ غادرته بعد بيني نادماً سادماً يعضّ اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه لبّه فاصطلى لظى حسرتين جاد بالعين
حين أعمى هواه عينه فانثنى بلا عينين خفّض الحزن يا معنّى فما يجدي
طلاب الآثار من بعد عين ولئن جلّ ما عراك كما جلّ لدى الملتقى
ذو الحسين فقد اعتضت عنه فهماً وحزماً واللبيب الأريب
ذين فاعص من بعدها المطامع واعلم أنّ صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كلّ طائر يلج الفخّ ولو كان محدقاً باللجين فلكم من سعى ليصطاد
فاصطيد ولم يلق غير خفّي حنين فتبصّر ولا تشم كلّ برق ربّ
برق فيه صواعق حين واغضض الطرف تسترح من غرام
تكتسي فيه ثوب ذلّ وشين فبلاء الفتى اتّباع هوى النفس وبذر الهوى
طموح العين قال الراوي فمزّقت رقعته شذر مذر ولم أبل أعذل

أم عذر **المقامة الحادية عشرة وتعرف بالساوية** حكى الحارث بن همّام قال آنست
من قلبي القساوة حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها
بزيارة القبور فلمّا صرت إلى محلّة الأموات وكفات الرفات رأيت
جمعاً على قبر يحفر ومجود يقبر فانحزت إليهم متفكّراً في المآل ومتذكّراً
من درج من الآل فلمّا ألحد الميت وفات قول ليت أشرف شيخ من
رباوة متخصّراً بهراوة وقد لفّع وجهه بردائه ونكّر شخصه لدهائه فقال
لمثل هذا فليعمل العاملون فاذكروا أيها الغافلون وشمّروا أيها المقصّرون
وأحسنوا النظر أيها المتبصّرون وقوفكم في ضريح عجز عن وصف الوا
ما لكم لا يحزنكم دفن الأتراب ولا يهولكم هيل التراب ولا تعبأون
بنوازل الأحداث ولا تستعدّون لنزول الأجداث ولا تستعبرون لعين
تدمع ولا تعتبرون بنعي يسمع ولا ترتاعون لإلف يفقد ولا تلتاعون
لمناحة تعقد يشيّع أحدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد

ينسيه وفكره فى استخلاص نصيبه وتخلّى بين ودوده ثمّ يخلو بمزامره

وعوده طالما اسيتم على انثلام الحبّة وتناسيتم اخترام الاحبّة

واستكنتم لاعتراض العسرة واستهنتم بانقراض الاسرة وضحكتم عند

الدفن ولا ضحككم ساعة الدّن وتبخترتم خلف الجنائز ولا تبختركم

يوم قبض الجوائز واعرضتم عن تعديد النوادب الى اعداد المآدب

وعن تحرّق الثواكل الى التانّق فى المآكل لا تبالون بمن هو بالٍ

ولا تخطرون ذكر الموت ببالٍ حتى كانّكم قد علقتم من الحمام بذمام

او حصلتم من الزمان على امانٍ او وثقتم بسلامة الذات او تحقّقتم

مسالمة هادم اللذّات كلّا ساء ما تتوهّمون ثمّ كلّا سوف تعلمون

ثمّ انشد شعر ايا من يدّعى الفهم الى كم يا اخا الوهم تعبّى الذنب

والذمّ وتخطى الخطا الجمّ اما بان لك العيب اما انذرك الشيب

وما فى نصحه ريب وما سمعك قد صمّ اما نادى بك الموت اما

اسمعك

اسمعك الصوت اما تخشى من الفوت فتحتاط وتهتمّ فكم تسدر

فى السهو وتختال من الزهو وتنصبّ الى اللهو كانّ الموت ما عمّ

وحتّام تجافيك وابطاء تلافيك طباعًا جمعت فيك عيوبًا

شملها انضمّ اذا اسخطت مولاك فما تقلق من ذاك وان اخفق

مسعاك تلظّيت من الهمّ وان لاح لك النقش من الاصفر تهتشّ

وان مرّ بك النعش تغاممت ولا غمّ تعاصى الناصح البرّ وتعتاص

وتزورّ وتنقاد لمن غرّ ومن مان ومن نمّ وتسعى فى هوى

النفس وتحتال على الفلس وتنسى ظلمة الرمس ولا تذكر ما ثمّ

ولو لاحظك الحظّ لما طاح بك اللحظ ولا كنت اذا الوعظ جلى

الاحزان تغتمّ ستذرى الدم لا الدمع اذا عاينت لا جمع يقى فى

عرصة الجمع ولا خال ولا عمّ كانّى بك تنحطّ الى اللحد وتنغطّ

وقد اسلمك الرهط الى اضيق من سمّ هناك الجسم ممدود ليستاكله

الدود، إلى أن ينخر العود، ويبلى العظم قد رم، ومن بعد فلا بد
من العرض إذا اعتد صراط جسره مد على النار لمن أم، فكم من مرشد
ضل، ومن ذي عزة ذل، وكم من عالم زل، وقال الخطب قد طم
فبادر أيها الغمر لما يحلو به المر، فقد كاد يهي العمر، وما أقلعت
عن ذم، ولا تركن إلى الدهر، وإن لان وإن سر، فتلفى كمن اغتر
بأفعى تنفث السم، وخفض من تراقيك، فإن الموت لاقيك، وسار
في تراقيك، وما ينكل إن هم، وجانب صعر الخد إذا ساعدك
الجد، وزم اللفظ إن ند، فما أسعد من زم، ونفس عن أخي البث
وصدقه إذا نث، ورم العمل الرث، فقد أفلح من رم، ورش
من ريشه انحص، بما عم وما خص، ولا تأس على النقص، ولا تحرص
على اللم، وعاد الخلق الرذل، وعود كفك البذل، ولا تسمع العذل
ونزهها عن الضم، وزود نفسك الخير، ودع ما يعقب الضير، وهيئ

مركب

مركب السير، وخف من لجة اليم، بذا أوصيت يا صاح، وقد بحت كمن
باح، فطوبى لفتى راح بآدابي يأتم، ثم حسر ردنه عن ساعد شديد
الأسر، وقد شد عليه جبائر المكر لا الكسر، متعرضا للاستماح
في معرض الوقاحة، فاحتلب بها أولئك الملأ، حتى أترع كمه و
ملأ، ثم انحدر من الربوة جذلا بالحبوة، قال الراوي فجاذبته
من ورائه حاشية ردائه، فالتفت إلي مستسلما، وأجهشني مسلما
فأمعنت النظر في وجهه، فإذا هو شيخنا أبو زيد بعينه ومينه
فقلت له: إلى كم يا أبا زيد، أفانينك في الكيد، لتحوش لك
الصيد، ولا تعبأ بمن ذم، فأجاب من غير استحياء، ولا ارتياء
وقال: تبصر ودع اللوم، وقل لي هل ترى اليوم، فتى لا يقمر القوم
متى ما دسته تم، فقلت له: بعدا لك يا شيخ النار، وذا ملة العار
فما مثلك في طلاوة علانيتك، وخبث نيتك، إلا مثل

دون مُقضقض أو كثيف مُبيّض ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين وانطلق

ذات الشمال وناوحت مهب الجنوب وناوح مهب الشمال

المقامة الثانية عشرة وتعرف بالدمشقية

حكى الحارث بن همام قال شخصت من العراق

إلى الغوطة وأنا ذو جُرد مربوطة وجِدة مغبوطة يلهيني خلو الذرع و

يزدهيني حفول الضرع فلما بلغتها بعد شق النفس وإنضاء العنس ألفيتها

كما تصفها الألسن وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين فشكرت

يد النوى وجريت طلقا مع الهوى وطفقت أفض بها ختوم

الشهوات وأجتني قطوف اللذات إلى أن شرع سفر في الإعراق وقد

استفقت من الإغراق فعاودني عيد من تذكار الوطن والحنين

إلى العطن فقوضت خيام الغيبة وأسرجت جواد الأوبة ولما

تأهبت الرفاق واستتب الاتفاق أحجمنا من المسير دون استصحاب

الخفير فرُدناه من كل قبيلة وأعملنا في تحصيله الحيلة فأعوز

وجدانه

وجدانه في الأحياء حتى خلنا أنه ليس من الأحياء فحارت لعوزه

عزوم السيارة واستدوا أبواب حيرون للاستشارة فما زالوا بين

عقد وحل ونقض وتحليل إلى أن نفد التناجي وقنط الراجي وكان

حذاءهم شخص متوسم ميسم الشبان ولبوسه لبوس الرهبان وبيده

سبحة النسوان وفي عينه ترجمة النشوان وقد قيد لحظه بالجمع

وأرهف أذنه لاستراق السمع فلما آنس انكفاءهم وقد برح الخفاء

قال لهم يا قوم ليفرخ كربكم وليأمن سربكم فسأخفركم بما يبرز

روعكم ويثبت أطوعكم قال الراوي فاستطلعنا منه طلع الخفارة

واستنبأنا الجهالة له عن السفارة فزعم أنها كلمات لقنها في

المنام ليحترس بها من كيد الأنام فجعل بعضنا يومض إلى بعض

ويقلب طرفيه بين لحظ وغض فتبين له أنا استضعفنا الخبر

واستشعرنا الخور فقال ما لكم اتخذتم جدي عبثا وجعلتم تبري

خبنا ولطالما والله جبت مخاوف الأقطار وولجت مفاحم
الأخطار فغنيت بها عن مصاحبة خفير واستصحاب جفير ثم إني
سأنفي ما رابكم وأمتثل الحذو الذي نابكم بأن أوافقكم في البداوة
وأرافقكم في الشقاوة فإن صدقتكم وعدي فاحمدوا أسعدي وأسعدوا
جدي وإن كذبتكم فمزقوا أدمي وأريقوا دمي قال الحارث بن همام
فألهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما رواه فرغنا عن مجادلته وشمنا
على معادلته وفصمنا بقوله عرى الترابث وألغينا اتقاء العابث
والعائث ولما عكمنا الرحال وآذن الترحال استملنا كلماته الراقية
ليجعلها الواقية الباقية فقال ليقرأ كل منكم أم القرآن كلما
أظل الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع اللهم يا محيي
الرفات ويا دافع الآفات ويا واقي المخافات ويا كريم المكافاة ويا
موئل العفاة ويا ولي العفو والمعافاة صل على محمد خاتم أنبيائك

ومبلغ

ومبلغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح نصرته وأعذني
من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين وإعنات الباغين و
معاناة الطاغين ومعاداة العادين وعدوان المعادين وغلب
الغالبين وسلب السالبين وحيل المحتالين وغيل المغتالين
وأجرني اللهم من جور المجاورين وسطوة الجائرين وكف عني أكف
الضائمين وأخرجني من ظلمات الظالمين وأدخلني برحمتك في
عبادك الصالحين اللهم حطني في تربتي وغربتي وغيبتي وأوبتي و
نجعتي ورجعتي وتصرفي ومنصرفي وتقلبي ومتقلبي وجهدي وجاهي
واحفظني في نفسي ونفائسي وعرضي وعرضي وعددي وعددي و
سكني ومسكني وحولي ومحالي ومالي ومآلي ولا تلمني بي نعيرا ولا تسلط
علي مغيرا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اللهم احرسني
بعينك وعونك واخصصني بأمنك ومنك وتولني باختيارك

وخيرك ولا تكلني إلى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير عافية وارزقني
رفاهية غير واهية وقني مخاوف اللأواء واكفني غواشي الأسواء ولا
تظفر بي أظفار الأعداء إنك سميع الدعاء ثم أطرق لا يدير لحظا
ولا يحير لفظا حتى قلنا قد أبلسته خشية أو أخرسته غشية ثم أقنع
رأسه وصعد أنفاسه وقال أقسم بالسماء ذات الأبراج والأرض
ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج والهواء والعجاج
إنها لمن أيمن العوذ وأغنى عنكم من لابس الخوذ من درسها عند
ابتسام الفلق لم يشفق من خطب إلى الشفق ومن ناجى بها
طليعة الغسق أمن ليلته من السرق قال فتلقفناها حتى أتقناها
وتدارسناها لكي لا ننساها ثم سرنا نزجي الحمولات بالدعوات لا
بالحداة ونحمي الحمولة بالكلمات لا بالكماة وصاحبنا يتعهدنا
بالعشي والغداة ولا يستنجز منا العدة حتى إذا أعنّا أطلال عانة

قال

قال الإعانة الإعانة فأحضرناه المعلوم والمكتوم وأريناه المختوم
والمركوم وقلنا له اقض ما أنت قاض فما تجد فينا غير راض فما استفزه
سوى الخف والزين ولا حلي بعينه غير العين فاحتمل منهما وقره
وناء بما يسد فقره ثم خالسنا مخالسة الطرار وانصلت منا انصلات
الفرار فأوحشنا فراقه وأدهشنا امراقه ولم نزل ننشده بكل نادٍ
ونستخبر عنه كل مغوٍ وهادٍ إلى أن قيل إنه مذ دخل عانة
ما زايل الحانة فأغراني خبث هذا القول بسبكه والانسلاك
فيما لست من سلكه فادلجت إلى الدسكرة في هيئة منكرة فإذا
الشيخ في حلة ممصرة بين دنان ومعصرة وحوله سقاة تبهر
وشموع تزهر وآس وعبهر ومزمار ومزهر وهو تارة يستبزل
الدنان وطورا يستنطق العيدان ودفعة يستنشق الريحان وأخرى
يغازل الغزلان فلما عثرت على لبسه وتفاوت يومه من أمسه

قلت له أولى لك يا ملعون أأنسيت يوم جيرون فضحك مستغرباً
واستشاط مطرباً لزمت السفار وجبت القفار وعفت النفار لأجني
الفرح وخضت السيول ورضت الخيول لجر ذيول الصبا والمرح وأمطت
الوقار وبعت العقار لحسو العقار ورشف القدح ولولا الطماح
إلى شرب راح لما كان باح فمي بالملح ولا كان ساق دهائي الرفاق
لأرض العراق بحمل السبح فلا تغضبن ولا تصخبن ولا تعتبن فعذري
وضح ولا تعجبن لشيخ أبن بمغنى أغن ودن طفح فإن المدام تقوي
العظام وتشفي السقام وتنفي الترح وأصفى السرور إذا ما الوقور
أماط ستور الحيا واطرح وأحلى الغرام إذا المستهام أماط اكتتام الهوى
وافتضح فبح بهواك وبرد حشاك فزند أساك به قد قدح وداو الكلوم
وسل الهموم ببنت الكروم التي تقترح وخص الغبوق ببناء فسوق
بلاء المشوق إذا ما طمح وشاد يشيد بصوت يميد جبال الحديد له

إن صدح

إن صدح وعاص النصيح الذي لا يبيح وصال المليح إذا ما سمح وجل في المجال
ولو بالمحال ودع ما يقال وخذ ما صلح وفارق أباك إذا ما أباك
ومد الشباك وصد من سنح وصاف الخليل وناف البخيل وأول الجميل
ووال المنح ولذ بالمتاب أمام الذهاب فمن دق باب كريم فتح
فقلت له بخ بخ لرواياتك وأف وتف لغواياتك فبالله من أي
الأعشاب عيصك فقد أعضلني عويصك فقال ما أحب أن
أفصح عني ولكني سأكني وأنشد أنا أطروفة الزمان وأعجوبة الأمم
وأنا الحول الذي احتال في العرب والعجم غير أني ابن حاجة هاضه
الدهر واهتضم وأبو صبية بدد وأمثل لحم على وضم وأخو العيلة
المعيل إذا احتال لم يلم قال الراوي فعرفته حينئذ أنه أبو زيد
ذو الريب والعيب ومسود وجه الشيب وعضلة العضل وأن
خضابه من حبائل الختل وساءني عظم تمرده وقبح توردِه فقلت

له بلسان الأنفة وإدلال المعرفة ألم يأن لك يا شيخنا أن تقلع
عن الخنا فتضجّر وزمجر وتنكّر وفكّر ثم قال إنها الليلة مرح لا ليلة ترح
وهي موعد شرب راح لا اكتفاح بعد عمّا بدا إلى أن نلتقي غدًا فافترقنا
فرقًا من عربدته لا تعلّقًا بعِدَته وبتّ ليلتي لابسًا حداد الندم
على نقلي خطا القدم إلى ابنة خندريس الكرم لا ابن الكريم وعاهدت الله
سبحانه وتعالى أن لا أحضر بعدها حانة نبّاذ ولو أعطيت ملك
بغداد وأن لا أشهد معصرة الشراب ولو رُدَّ عليَّ عصر الشباب ثم
إنّا رحّلنا العيس وقت التغليس وخلّينا بين الشيخين أبي زيد وإبليس

المقامة الثالثة عشرة البغدادية روى الحارث بن همام قال ندوت
بضواحي الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبارٍ بغبار
ولا يجري معهم مُمارٍ في مضمار فأفضنا في حديث يفضح الأزهار
إلى أن نصفنا النهار فلما غاض درّ الأفكار وصبت النفوس إلى

الأوكار

الأوكار لمحنا عجوزًا تقبل من البعد وتحضر إحضار الجرد وقد استتلت
صبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل فما كذّبت إذ
رأتنا أن عرتنا حتى إذا ما حضرتنا قالت حيّا الله المعارف وإن
لم يكن معارف اعلموا يا مآل الآمل وثمال الأرامل أني من سروات
القبائل وسريّات العقائل لم يزل أهلي وبعلي يحلّون الصدر
ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر
الأعضاد وفجع بالجوارح الأكباد وانقلب ظهرًا لبطن نبا الناظر
وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند
ووهنت اليمين وبان المرفق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبرّ
العيش الأخضر وازورّ المحبوب الأصفر اسودّ يومي الأبيض و
ابيضّ فودي الأسود حتى رثى لي العدوّ الأزرق فحبّذا الموت الأحمر
وتلوي من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره قصوى

بغية أحدهم بردة وقصارى منيته بردة وكنت آليت أن
لا أبذل الحر إلا للحر ولو أني مت من الضر وقد ناجتني القرونة
بأن توجد عندكم المروة وآذنتني فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحبا
فنصر الله امرأ أبر قسمي وصدق توسمي ونظر إلي بعين يقذيها
الجمود ويقذيها الجود قال الحارث بن همام فهمنا لبراعة عبارتها
وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف إلمامك فقالت
تفجر الصخر ولا فخر فقلنا إن جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك
فقالت لأرينكم أولا شعاري ثم لأروينكم أشعاري فأبرزت
ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز درديس وأنشأت تقول
شعرا أشكو إلى الله اشتكاء المريض ريب الزمان المتعدي البغيض
يا قوم إني من أناس غنوا دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض فخارهم
ليس له دافع وصيتهم بين الورى مستفيض كانوا إذا ما النجعة أعوزت

في السنة الشهباء روضا أريض تشب للسارين نيرانهم ويطعمون
الضيف لحما غريض ما بات جار لهم ساغبا ولا لروع قال حال
الجريض فغيضت منهم صروف الردى بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى أسد التحامي وأساة المريض فحملي
بعد المطايا المطا وموطني بعد اليفاع الحضيض وأفرخي ما تأتلي
تشتكي بؤسا له في كل يوم وميض إذا دعا القانت في الليلة
مولاه نادوه بدمع يفيض يا رازق النعاب في عشه وجابر العظم الكسير
المهيض أتح لنا اللهم من عرضه من دنس اللوم نقي رحيض
يطفي نار الجوع عنا ولو بمذقة من حازر أو مخيض فهل فتى يكشف
ما نابهم ويغنم الشكر الطويل العريض فوالذي تعنو النواصي له
يوم وجوه الجمع سود وبيض لولاهم لم تبد لي صفحة ولا تصديت
لنظم القريض قال الراوي فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار

القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الإسماح
وارتاح لرفدها من لم تخله يرتاح فلما افعوعم جيبها تبرا واولاها
كل منا برا تولت تتلوها الاصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت
الجماعة بعد ممرها الى سبرها لتبلو مواقع برها فكفلت لهم
باستنباط السر المرموز ونهضت اقفو اثر العجوز حتى انتهت الى سوق
مغتصة بالانام مختصة بالزحام فانغمست في الغمار واملست
من الصبية الاغمار ثم عاجت بخلو بال الى مسجد خال فاماطت
الجلباب ونضت النقاب وانا المحها من خصاص الباب وارقب
ما سيبدو من العجاب فلما انسرت اهبة الخفر رايت محيا ابي زيد
قد سفر فهممت بان اهجم عليه لاعنفه على ما اجرى اليه فاستلقى
استلقاء المتمردين ثم رفع عقيرة المغردين واندفع ينشد شعر يا ليت
شعري ادهري احاط علما بقدري وهل درى كنه حالي في الخدع

ام ليس يدري كم قد قمرت بنيه بحيلتي وبمكري وكم برزت بعرف
عليهم وبنكر اصطاد قوما بوعظي وآخرين بشعري واستفز بخل
عقلا وعقلا بخمر وتارة انا صخر وتارة اخت صخر ولو سلكت سبيلا
مالوفة طول عمري لخاب قدحي وقدحي ودام عسري وخسري فقل
لمن لام هذا عذري فدونك عذري قال الحارث بن همام فلما ظهرت
على جلية امره وبديعة امره وما زخرف في شعره من عذره علمت
ان شيطانه المريد لا يسمع التفنيد ولا يفعل الا ما يريد فثنيت
الى اصحابي عناني وابثثتهم ما اثبته عياني فوجموا لضيعة الجوائز
وتعاهدوا على محرمة العجائز **المقامة الرابعة عشر وتعرف بالخيفية** حكى الحارث
بن همام قال نهضت من مدينة السلام لحجة الاسلام فلما قضيت
بعون الله التفث واستبحت الطيب والرفث صادف موسم الخيف
معمعان الصيف فاستظهرت للضرورة بما يقي حر الظهيرة

فبينما نحن نتخاطر مع دفعة ظراف وقد حمي وطيس الحصباء واعشى
الهجير عين الحرباء اذ هجم علينا شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع فسلم الشيخ
تسليم اديب وحاور محاورة قريب لا غريب فاعجبنا بما نش
من همطر وعجبنا من انبساط قبل بسط وقلنا له ما انت وكيف
ولجت وما استاذنت فقال اما انا فعاف وطالب اسعاف وسر
ضري غير خاف والنظر الي شفيع لي كاف واما الايناس الذي
علق بالارباب فما هو بعجاب اذ ما على الكرماء من حجاب فسلنا
انى اهتدى الينا وبم استدل علينا فقال ان للكرم نشرا تنم نفحاته
وترشد الى روضه روحاته فاستدللت بنارج عرفكم على تبلج
عرفكم وبشرني تضوع رندكم بنجح المنقلب من عندكم فاستخبرناه
حينئذ عن لبانته ليكفل باعانته فقال ان لي مأربا ولفاقتي
مطلبا فقلنا كلا المرامين سيقضى وكلاكما سوف يرضى ولكن الكبر

الكبر

الكبر فقال اجل ومن دحا السبع الغبر ثم وثب للمقال كالمنشط
من العقال وانشد شعر اني امرؤ ابدع بي بعد الوجى والتعب و
شقة شاسعة تقصر عنها نجبي وما معي خردلة مطبوعة من ذهب
تحلني منية وحيرتي تلعب بي ان ارتحلت راجلا خفت دواعي
العطب وان تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبي فزفرتي في صعد
وعبرتي في صبب وانتم منتجع الراجي ومرمى الطلب لهاكم منهلة
ولا انهلال السحب وجاركم في حرم ووفركم في حرب ما الاذ ربا
بكم فجاف ناب النوب ولا استدق امل حبا لكم بما حبي فانعطفوا
في قصتي واحتسبوا منقلبي فلو بلوتم عيشتي في مطعمي ومشربي لساءكم
ضر الذي اسلمني للكرب ولو خبرتم نسبي وحسبي ومذهبي وما حوت
معرفتي من العلوم النخب لما اعتراكم شبهة في ان دائي ادبي فليت
اني لم اكن ارضعت ثدي الادب فقد دهاني شؤمه وعقني فيه

ابي فقلنا له انت انت فقد صرحت ابياتك بفاقتك وعطب
ناقتك وسنعطيك ما يوصلك الى بلدك فاما ادبنر ولدك
فقال له قم يا بني كما قام ابوك وفه بما في نفسك لا فض فوك فنهض
الفتى نهوض البطل للبراز واصلت لسانا كالعضب الجراز وانشا
يقول شعرا يا سادة في المعالي لهم مباني مشيده ومن اذا ناب
خطب قاموا بدفع المكيده ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيده
اريد منكم شواء وجردقا وعصيده فان عدا فرقاق يروي الثريده
او لم يكن ذا ولا ذا فقبعة من ثريده فان تعذر طرا فقهوة ولهيده
فاحضروا ما تيسر ولو نظاما من قديده وعجلوه فنفسي لما تروم
مريده والزاد لا بد منه لرحلتي البعيده وانتم خير رهط تدعون
عند الشديده ايديكم كل يوم لها ايادي جديده ودا الحكم والصلات
مثل الصلات المفيده ويقتني في مطاوي ما تريدون زهيده

وفي

وفي اجر وعقبى تعنيكم كرتي حميده ولي نتايج فكر يقضي كل قصيده
قال الحارث بن همام فلما رأينا الشبل يشبه الاسد الحقنا الولد بالوالد
وزودنا الولد فقلنا لا القنع ليشكر لنا ازديته واذنا بتر دينه ولما
عزما على الانطلاق وعقد الراحلة حبل النطاق قلت للشيخ
هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب او بقيت حاجة في نفس يعقوب
فقال حاش لله وكلا بل جل معروفكم وجلا فقلت له فدنا كما
دناك وافدنا كما افدناك ابن الدوره فقد ملكنا مثل الخبرة منفور
تعس من اذكر اوطانه والتشبق بلعنتم لسانه وقال شعرا
سروج داري ولكن كيف السبيل اليها وقد اناخ الاعادي بها
واخنوا عليها فوالتي سرت ابغي حط الذنوب لديها ما دار طرفي
شيئ مذ غبت عن طرفها ثم اغرورقت عيناه بالدموع وآذنت
مدامعه بالهموع فكره ان يستوكفها ولم يملك ان يكفكفها

فقطع إنشاده المستحلى وأوجز في الوداع وولى

المقامة الخامسة عشرة الفرضية

حكى الحارث بن همام قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية الرباب ولا أرق صب طرد من الباب ومني بصد الأحباب فلم تزل الأفكار يهجن همي ويجلن في الوساوس وهمي حتى تمنيت لما عانيت أن أرى سميرا من الفضلاء ليقصر طول ليلتي الليلاء فما انقضت منيتي ولا أغمضت مقلتي حتى قرع الباب قارع له صوت خاشع فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد أثمر وليل الحظ قد أقمر فنهضت إليه عجلان فقلت من الطارق الآن فقال غريب أجنه الليل وغشيه السيل ويبتغي الإيواء لا غير وإذا أسحر قدم السير فلما دل شعاعه على شمسه وتم عنوانه على سر طرسه علمت أن مسامرته غنم ومساهرته نعم ففتحت الباب بابتسام وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص قد حنى الدهر صعدته وبلل القطر بردته فحيا بلسان عضب وبيان عذب ثم

شكر

شكر على تلبية صوته واعتذر من الطروق في غير وقته فدانيته بالمصباح المتقد وتأملته تأمل المنتقد المفتقد فألفيته شيخنا أبا زيد بلا ريب ولا رجم غيب فأحللته محل من أظفرني بقصوى الطلب ونقلني من وفد الكرب إلى روح الطرب ثم أخذ يشكو الأين والغلب في كيف وأين فقال أبلعني ريقي فقد أتعبني طريقي فظننته مستطيلا للتعب متكاسلا لهذا السبب فأحضرته ما يحضر للضيف المفاجي في الليل الداجي فانقبض انقباض المحتشم وأعرض إعراض المتبرم فسؤت ظنا بامتناعه ولحظت هول طباعه حتى كدت أغلظ له في الكلام وألسعه بحمة الملام فتبين من لحظات ناظري ما خامر خاطري فقال يا ضعيف الثقة بأهل المقة علام اتهمت بالك واستمع إلي لا أبا لك فقلت هات يا أبا الترهات فقال اعلم أني بت البارحة حليف إفلاس وشجو ووسواس فلما قضى الليل نحبه وغور الفجر

تُهِبُّهُ غَدَوْتُ وَقْتَ الإشْرَاقِ إِلى بَعْضِ الأسْواقِ مُتَصَدِّيًا لِصَيْدِ
سَنِيحٍ أو جَرْيٍ نَبِيحٍ فَلَحَظْتُ بِهِ تَمْرًا قَدْ حَسُنَ تَصْفِيفُهُ وَأَحْسَنَ البُرُّ مُصِيفُهُ
يَجْمَعُ عَلَى التَّحْقِيقِ صَفَاءَ الرَّحِيقِ وَقُنُوءَ العَقِيقِ وَقُبالَتُهُ لِبَاءٌ قَدْ بَرَزَ
كالإبْرِيزِ الأَصْفَرِ وانْجَلَى فِي اللَّوْنِ المُزَعْفَرِ فَهُوَ يُثْنِي عَلَى طَاهِيهِ بِلِسانِ المعصفر
شاهِيهِ وَيُصَوِّبُ رَأْيَ مُشْتَرِيهِ وَلَوْ تَقَدَّحَتْهُ القَلْبُ فِيهِ فَأَسَرَتْنِي
الشَّهْوَةُ بِأَشْطانِها وَأَسْلَمَتْنِي الغِيمَةُ إِلى سُلْطانِها فَبَقِيتُ أَحْيَرَ مِنْ
ضَبٍّ وَأَذْهَلَ مِنْ صَبٍّ لا أَجِدُ ما يُوصِلُنِي إِلى نَيْلِ المُرادِ وَلَذَّةِ الأَزْ ازدراد
وَلا أَقْدَمُ تُطاوِعُنِي عَلَى الذَّهابِ مَعَ حُرْقَةِ الالْتِهابِ لَكِنْ حَدانِي
القَرَمُ وَسَوْرَتُهُ والسَّغَبُ وَفَوْرَتُهُ عَلَى أَنْ أَنْتَجِعَ كُلَّ أَرْضٍ وَأَقْتَنِعَ
مِنَ الوُدِّ بِبَرْضٍ فَلَمْ أَزَلْ سَحابَةَ ذَلِكَ النَّهارِ أُدْلِي دَلْوِي إِلى الأ نهار
وَهِيَ لا تَرْجِعُ بِبِلَّةٍ وَلا تَجْلِبُ نَقْعَ غُلَّةٍ إِلى أَنْ صَغَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ
وَضَعُفَتِ النَّفْسُ مِنَ اللُّغُوبِ فَرُحْتُ بِكَبِدٍ حَرَّى وانْثَنَيْتُ أُقَدِّمُ
رجلا

رِجْلًا وَأُؤَخِّرُ أُخْرَى فَبَيْنَما أَنا أَسْعَى وَأَعْدُو وَأَهُبُّ وَأَرْكُدُ إِذْ قابَلَنِي
شَيْخٌ يَتَأَوَّهُ آهَةَ الثَّكْلانِ وَعَيْناهُ تَهْمُلانِ فَما شَغَلَنِي ما أَنا فِيهِ مِنْ
داءِ الذِّئْبِ والجَوَى المُذِيبِ عَنْ تَعاطِي مُداخَلَتِهِ والطَّمَعِ فِي مُخالَّتِهِ
فَقُلْتُ لَهُ يا هَذا إِنَّ لِبُكائِكَ سِرًّا وَوَراءَ تَحَرُّقِكَ لَسِرًّا فَأَطْلِعْنِي عَلَى
بُرَحائِكَ واتَّخِذْنِي مِنْ نُصَحائِكَ فَإِنَّكَ سَتَجِدُنِي طَبًّا آسِيًا أَوْ عَوْنًا
مُواسِيًا فَقالَ وَاللهِ ما تَأَوُّهِي لِعَيْشٍ فاتَ وَلا مِنْ دَهْرٍ أَفاتَ بَلْ
لِانْقِراضِ العِلْمِ وَدُرُوسِهِ وَأُفُولِ أَقْمارِهِ وَشُمُوسِهِ فَقُلْتُ وَأَيُّ
حادِثَةٍ نَجَمَتْ وَقَضِيَّةٍ اسْتَعْجَمَتْ حَتَّى هاجَتْ لَكَ الأَسَفَ عَلَى
فَقْدِ مَنْ سَلَفَ فَأَبْرَزَ رُقْعَةً مِنْ كُمِّهِ وَأَقْسَمَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ لَقَدْ
أَنَّ لَها بِأَعْلامِ المَدارِسِ فَما أَمادُوا عَنِ الأَعْلامِ الدَّوارِسِ وَ
اسْتَنْطَقَ لَها أَحْبارَ المَحارِيبِ فَخَرِسُوا وَلا أَخْرَسَ سُكّانَ المَقابِرِ فَقُلْتُ
أَرِنِيها فَلَعَلِّي أُغْنِي فِيها فَقالَ ما أَبْعَدْتَ فِي المَرامِ فَرُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ

عيرها ثم ناولنيها فاذا المكتوب فيها شعر أيها العالم الفقيه الذي

فاق ذكاء فما له من شبيه افتنا في قضية حاد عنها كل قاضي

وغدا كل فقيه رجل مات عن اخ مسلم حر تقي من امه وابيه وله

زوجة لها ايها الحبر اخ خالص بلا تمويه فحوت فرضها وحاز اخوها

ما تبقى بالارث دون اخيه فاشفنا بالجواب عما سألنا فهو نص

لا خلف يوجد فيه فلما قرأت شعرها وفهمت سرها قلت لها على

الخبير بها سقطت وعند ابن بجدتها حططت الا انني مضطر الى

مضطرم الى العشاء فاكرم مثواي ثم استمع فتواي فقال لقد انصف

في الاشتراط وتجافى عن الاشتطاط فهلم معي الى مربعي لتظفر بالشبع

وتنقلب كما ينبغي قال فصاحبته الى ذراه كما حكم الله فادخلني

بيتا احرج من التابوت واوهن من بيت العنكبوت الا انه مع

ضيق ربعه بتوسعة ذرعه فحكمني في القرى ومطا بالبشرى فقلت

اريد

اريد ازهى راكب على اشهى مركوب وانفع صاحب مع اضر مصحوب

فتفكر ساعة طويلة ثم قال لعلك تعني بنت نخلة مع لبان نحلة

فقلت اياهما عنيت ولاجلهما تعنيت فنهض ينتطاه ثم ربض

مستبطا وقال اعلم اصلحك الله ان الصدق شاهده والكذب

عاهة فلا تحملنك الجوع الذي هو حلية الانبياء وحلية الاولياء

على ان تلحى بمن مان وتخلق بالخلق الذي يجانب الايمان

فقد تجوع الحرة ولا تاكل بثديها وتأبى الدنية ولو اضطرت اليها

ثم اني لست بزبون ولا اغضي على صفقة مغبون وها انا قد انذرتك

قبل ان يتهيا لك الشر ويتعقد بيننا الوتر فلا تلغ تدبر الانذار

وحاذر من الكاذب حذار فقلت له والذي حرم اكل الربوا

واحل اكل التمر واللباء ما تمت بزور ولا دلستك بغرور

ستخبر حقيقة الامر وتحمد بذل اللباء والتمر فمن حينئذ هش

المصدوق وانطلق مغذًّا الى السوق فما كان باسرع من ان اقبل وهو
بهما يدلج ووجهه من التعب يكلح ووضعهما لديّ ووضع المنّ
عليّ وقال اضرب الجبس بالجبن تحظ بلذة العيش فحسرت من ساعد
النهم وحملت حملة الفيل الملتهم وهو يلحظني كما يلحظ الحنق ويودّ
من الغيظ لو اختنق حتى اذا التهمت النوعين وغادرتهما اثرا بعد عين
افردت حيرة في اظلال اللبات وفكرة في جواب الابيات فما لبث ان
قام واحضر الدوات والاقلام وقال قد ملئت الجراب فامل الجواب
والا فقمتنا ان نكلت لاغرام ما اكلت فقلت له ما عندي الا
التحقيق فاكتب الجواب وبالله التوفيق شعر قل لمن يلغز المسائل اني كاشف
سرها الذي تخفيه ان ذا الميت الذي قدم الشرع اخا عرسه على ابن
ابيه رجل زوج ابنه عن رضاه بحماة له ولا غرو فيه ثم مات
ابنه وقد علقت منه فجاءت بابن يسر ذويه فهو ابن ابنه بغير

مراء

مراء واخو عرسه بلا تمويه وابن الابن الصريح ادنى الى الجد واولى
بارثه من اخيه فلذا حين مات اوجب للزوجة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الاصل اخوها من امها باقيه وتخلى
الاخ الشقيق من الارث وقلنا يكفيك ان تبكيه هاك مني الفتيا
التي يحتذيها كل قاض ويقتضي كل فقيه قال الراوي فلما اثبت الجواب
واستثبت منه الصواب قال اهلك والليل فتيمم الذيل وبادر
السيل فقلت اني بدار غربة وفي ابوائي افضل قربة لا سيما وقد
اغدف جنح الظلام وسح الرعد في ظلل الغمام فقال اعزب عافاك
الله الى حيث شئت ولا تطمع في ان تبيت فقلت ولم ذاك مع
خلو ذراك قال لاني امعنت النظر في التقامك ما حضر حولي تبق
ولم تدر قرابتك لا تنظر في مصلحتك ولا تراعي حفظ صحتك
ومن امعن فيما امعنت وتبطن كما تبطنت لم يخلص من كظة مدنفة

او هيضة متلفة فدعني بالله كفافا واخرج عني ما دمت معافا فوالله
يحيي ويميت ما لك عندي مبيت فلما سمعت اليته وبلوت بليته
خرجت من بيته بالرغم وتزودت الغم تجودني السماء وتخبطني الظلماء
وتنبحني الكلاب وتتقاذفني الابواب حتى ساقني الليل لطف
القضاء فشكرا لليد البيضاء فقلت له احبب بلقائك المتاح
الى قلبي المرتاح ثم اخذ يفتن في حكاياته ويبسط مضحكاته تمكيناً
الى ان عطس انف الصباح وهتف داعي الفلاح فناهض لاجابة الداعي
ثم عطف الي وداعي فعقته عن الاسعاف وقلت له الضيافة ثلث
فاستدرج تمام الفرح وانشد لا تزر من تحب في كل شهر
غير يوم ولا تزده عليه فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر
العيون اليه قال الحارث بن همام فودعته بقلب دامي القرح
ووددت لو ان ليلتي كانت بطينة الصبح **المقامة السادسة عشرة المغربية** حكى

الحارث

الحارث بن همام قال شهدت صلاة المغرب في بعض مساجد المغرب
فلما اديتها بفضلها وشفعتها بنفلها اخذ طرفي رفقة قد انتبذوا
ناحية وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون كاس المنافثة ويقتدحون
زناد المباحثة فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد وادب يستزاد
فسعيت اليهم سعي المتطفل وقلت لهم اتقبلون نزيلا يطلب جنى
الاسمار لا جنى الثمار ويبغي ملح الحوار لا ملحا الحوار فحلوا الي الحبا
وقالوا الي مرحبا مرحبا فلم اجلس الا كلمحة بارق خاطف او نغبة
طائر خائف حتى غشينا جواب على عاتقه جراب فحيانا بالكلمتين
وحيا المسجد بالتسليمتين ثم قال يا اولي الالباب والفضل اللباب
اما تعلمون ان انفس القربات تنفيس الكربات وامتن اسباب النجاة
مواساة ذوي الحاجات واني ومن احلني ساحتكم واتاح لي استماحتكم
لشريد محل قاص وبريد صبية خماص فهل في الجماعة من يفثا

عن حُمَيّا المجاعة فقالوا له يا هذا إنّك حضرت بعد العشاء ولم
يبقَ منّا إلّا فضلاتُ العشاء فإن كنتَ بها قنوعًا فما تجد فينا منوعًا
فقال إنّ أخا الشدائد ليقنع بلُفاظات الموائد ونُفاضات المزاد
فأمر كلٌّ منهم عبده أن يزوّده ما عنده فأعجبه الصنع وشكر
عليه وجلس يرقب ما يُحمل إليه وثُبنا نحن إلى استثارة مُلَح
الأدب وعيونه واستنباط معينه من عيونه إلى أن جُلنا فيما
لا يستحيل بالانعكاس كقولك ساكب كاس فتداعينا إلى أن ننتج
له الأفكار ونفترع منه الأبكار على أن ينظم البادي ثلاثة
في عقده ثمّ تُدرج الزيادة من بعده فيربّع ذو ميمنته في نظمه و
ويسبّع صاحب ميسرته على رغمه قال الحارث بن همّام وكنّا قد انتظمنا
على عدد أصابع الكفّ وتألّفنا ألفة أصحاب الكهف فابتدر لعظم
محنتي صاحب ميمنتي وقال لُمْ أخا ملّ وقال من يليه كبّر رجا أجر ربّك

وقال

وقال الذي يليه من يربّ إذا برّ ينم وقال الآخر سكّت كلّ من نمّ
لك نكس وأفضت النوبة إليّ وقد تعيّن نظم السمط السباعي عليّ
فلم يزل فكري يصوغ ويكسر ويثري ويعسر وفي ضمن ذلك أستطعم
فلا أجد من يطعم إلى أن ركد النسيم وحصحص التسليم فقلت لأ
صحابي لو حضر السروجي هذا المقام لشفى الداء العقام فقالوا
لو نزلت هذه بإياس لأمسك منها على ياس وجعلنا نفيض في استصعابها
واستغلاق بابها وذلك الضيف المعترّ يلحظنا لحظ المزدري و
يولّف الدُّرر ونحن لا ندري فلمّا عثر على افتضاحنا ونضوب
ضحضاحنا قال يا قوم إنّ من العناء العظيم استيلاد العقيم
والاستشفاء بالسقيم وفوق كلّ ذي علم عليم ثمّ أقبل عليّ وقال
سأنوب منابك وأكفيك ما نابك وإن شئت أن تنثر ولا تعثر فقل
مخاطبًا لمن ذمّ البخل وأكثر العذل لذ بكلّ مؤمّل إذا لم وملك

يدك وان احببت ان تنظم فقل للذي تعظم اس اوملا اذا عري وارع

اذا المرء ما اسند اخا ناهة ابن اخاه دسا اسل جناب غاشم مشاغب

ان حلبا امرا اذا اهتر او ادم بر اذا دما اسكن تفوقه ليعف وقف

نكسا قال الحارث بن همام فلما سحرنا بابياته وحسرنا بعد غيابه مدحا

حتى استعفى ومنحناه الى ان استكفى ثم شمرنا بابر وازدفر اليه و

نهض ينشد   لله در عصابة صدق المقال مقالا فاقوا الانام

فضائلا ماثورة وفواضلا حاوزتهم فوجدت سحبانا لديهم با

نادمتهم فبلوت منهم اذ بلوت افاضلا وحللت فيهم سائلا فلقيت

جودا سائلا اقسمت لو كان الكرام حبا لكانوا ابلا ثم انه خطا مثله

دمجن وعاد متعيذا من الجبن وقال يا عز من عدم الال وكن من

سلب المال ان الغاسق قد وقب ووجه الحجة قد انتقب وبيني وبين كني

كليل دامس وطريق طامس فهل من مصباح يؤمنني العثار ويبين لي الاثار

قال

قال فلما حبي بالملتمس وجلى الوجوه ضوء القبس رايت صاحب صيدنا

هو ابو زيدنا فقلت لاصحابي هذا الذي اشرت الى انه اذا نطق اصاب

وان استمطر صاب فاتلعوا نحوه الاعناق واحدقوا به الاحداق و

سلوه ان يسامرهم ليلته على ان يجبروا عيلته فقال حبا لما ابتغيتم

ووحبا بكم اذ رحبتم غير ان فتاتكم واطفالي يتضورون من الجوع

ويدعون لي بوشك الرجوع وان استاثرت خامرهم الطيش ولم

يصف لي ولهم العيش فدعوني لاذهب فاسد مخمصتهم واسيغ

غصتهم ثم انقلب اليكم على الاثر متاهبا للسمر الى السحر فقلنا لاحد

الغلمة اتبعه الى فئته ليكون اسرع لفيئته فانطلق معه مضطبنا

جرابه ومحتثا اتابه وابطأ ابطاء جاوز حده ثم عاد الغلام وحده

فقلنا ما عندك من الحديث عن الخبيث قال اخذني في طرق متعبة

وسبل متشعبة حتى افضينا الى دويرة خربة فقال هيهنا مناخي

ووكر أفراحي ثم استفتح بابه واختلج من جوابه وقال لعمري لقد حققت عني واستوجبت الحسنى مني فها لك نصيحة هي من نفائس النصائح ومغارس المصالح وأنشد شعرا

إذا ما حويت جنى نخلة فلا تقربنها إلى قابل
وإما سقطت على بيدر فحوصل من السنبل الحاصل
ولا تلبثن إذا ما لقطت فتنشب في كفة الحابل
ولا توغلن إذا ما سبحت فإن السلامة في الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف وبع آجلا منك بالعاجل
ولا تكثرن على صاحب فما مل قط سوى الواصل

ثم قال أخزنها في تامورك واقتد بها في أمورك وبادر إلى صحبك في كلاءة ربك فإذا بلغتهم فأبلغهم تحيتي واتل عليهم وصيتي وقل لهم عني إن التمهر في الخرافات لمن أعظم الآفات ولست ألغي اختراعي ولا أجلب الهوس إلى راسي قال الراوي فلما وقفنا من فحوى شعره على نكره ومكره تندمنا على تزكيره وتلاومنا على الاغترار بإفكه

ثم تفرقنا بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

المقامة السابعة عشرة المعروفة بالقهقرية

حدث الحارث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين ومطامح العين فتية عليهم سيماء الحجى وطلاوة نجوم الدجى وهم في تماراة مشتدة الهبوب ومباراة مشتطة الألهوب فهزني لقصدهم هوى المحاضرة واستحلاء جنى المناظرة فلما انخفت رهطهم وانتظمت في سمطهم قالوا أأنت ممن يلج في الهيجاء ويلقي دلوه في الدلاء فقلت بل أنا من نظارة الحرب لا من أبناء الطعن والضرب فاضربوا عن حجاجي وأفاضوا في التحاجي وكان في جبوجة حلقتهم وإكليل رفقتهم شيخ قد دبجته الهموم ولوحته السموم حتى عاد أنحل من قلم وأقحل من جلم إلا أنه كان يبدي العجاب إذا أجاب ويبذ السحاب كلما أبان فأعجبت بما أوتي من الإصابة والتبريز على تلك العصابة وما زال يفض كل معمى ويصمي في كل مرمى إلى أن خلت الجعاب ونفد

السؤال والجواب فلما رأى انقباض القوم واضطرارهم الى الصوم عرّض
بالمطارحة واستأذن في المفاتحة فقالوا له حبذا ومن لنا بذا فقال أتعرفون
رسالة أرضها سماؤها وصبحها مساؤها نسجت على منوال البين وتحلّت
في لونين وصلت الى الجهتين ان برغت من مشرقها فما اهلك برونقها وبدت ذات وجهين
وان طلعت من مغربها فما لعجبها قال فكأنّ القوم رُمُوا بالصُّمات
وحقّت عليهم كلمة الانصات فما نبس منهم انسان ولا فاه لهم
لسان فحين رآهم بكمًا كالأنعام وصموتًا كالأصنام قال لهم قد أجّلتكم
أجل العدّة وأرخيت لكم طول المدّة ثم هاهنا مجمع الشمل وموقف الفصل
فان سمحت خواطركم مدحناها وان صلدت زنادكم قدحناها فقالوا و
الله ما لنا في لجّة هذا البحر مسبح ولا في ساحله مسرح فأرح أفكارنا
من الكدّ وهنّ العطية بالنقد واتّخذ اخوانًا يثبون اذا وثبت و
ينثبون متى استثبت فأطرق ساعة ثم قال سمعًا لكم وطاعة فاستملوا

مني

منّي وانقلوا عني الانسان صنيعة الاحسان وربّ الجميل فعل الندب
وشيمة الحرّ ذخيرة الحمد وكسب الشكر استثمار السعادة وعنوان الكرم
تباشير البشر واستعمال المداراة يوجب المصافاة وعقد المحبّة يقضي
النصح وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق سحر الألباب وشرك الهوى
آفة النفوس وملل الخلائق شين الخلائق وسوء الطمع يباين الورع و
التزام الحزامة زمام السلامة وتطلّب المثالب شرّ المعايب وتتبّع العثرات
يمحض المودّات وخلوص النية خلاصة العطية وتهنية النوال تمن
السؤال وتكلّف الكلف يسهّل الخلف وتيقّن المعونة يسني المؤنة وفضل
الصدر سعة الصدر وزينة الرعاة مقت السعاة وجزاء المدائح نيل
المنائح ومهر الوسائل تشفيع المسائل ومجلبة الغوائل استغراق الغاية
وتجاوز الحدّ يكلّ الحدّ وتعدّي الأدب يحبط القرب ومناسي الحقوق
ينشي العقوق وتحاشي الريب يرفع الرتب وارتقاء الأخطار باقتحام

الأخطار وتنوه الأقدار بمواتاة الأقدار وشرف الأعمال في تقصير الآمال
وإطالة الفكرة تنقح الحكمة ورأس الرياسة تهذيب السياسة ومع
اللجاجة تلغى الحاجة وعند الأوجال تتفاضل الرجال وبتفاضل الهمم
تتفاوت القيم وبتبدل الغير تبين التدبير وبتحلل الأحوال تتبين الأهوال
وبموجب الصبر ثمرة النصر واستحقاق الأحماد بحسب الاجتهاد ووجوب
الملاحظة كفاء المحافظة وصفاء الموالي بتعهد الموالي وتجلي المروات
بحفظ الأمانات واختبار الإخوان بتخفيف الأحزان ودفع الأعداء
بكف الأوداء وامتحان العقلاء بمقاربة الجهلاء وتبصر العواقب
يؤمن المعاطب وانتقاء الشيعة بنشر السمعة وقبح الجفاء ينافي الوفاء
وجوهر الأحرار عند الأسرار ثم قال هذه مائتا لفظة تحتوي على أدب
وعظة فمن ساقها هذا المساق فلا مراء ولا شقاق ومن رام عكس
قالبها وأن يردها على عقبها فليقل الأسرار عند الأحرار وجوهر الوفاء

ينافي

ينافي الجفاء وقبح السمعة بنشر الشيعة ثم على هذا المنهج فليسحبها ولا
يرهبها حتى تكون خاتمتها بقرها وآخرتها دردها ورب الإحسان صنيعة
الإنسان قال الراوي فلما صدع برسالته الفريدة وأملوحته المفيدة
علمنا كيف تتفاضل الإنشاء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
ثم اعتلق كل منا بذيله وفلذ له فلذة من نيله فأبى قبول فلذه
وقال لست أرزأ تلامذتي فقلت له كن أبا زيد على شحوب سحنتك
ونضوب ماء وجنتك فقال أنا هو على تحولي وتحولي وقشف محولي
فأخذت في ترحيبه على أثر تعنيفه وتعزيته على تحولق واسترجع ثم أنشد
من قلب موجع شعر سل الزمان على عضبه ليروعني وأحد غربه
واستل من جفني كراه مراغما وأسال غربه وأجالني في الأفق أطوي شرقه
وأجوب غربه فبكل جو طلعة في كل يوم لي وغربه وكذا المغرب شخصه
متغرب ونواه غربة ثم ولى يجر عطفيه ويخطر بيديه ونحن متلفت

اليه ومتهافت عليه ثم لم نلبث ان حللنا الحبا وتفرقنا ايادي سبا

المقامة الثامنة عشر تعرف بالسنجارية

حكى الحارث بن همام قال قفلت ذات مرة من الشام أمّ مدينة السلام في ركب من بني نمير ورفقة أولي خير ومير ومعنا ابو زيد السروجي عقلة العجلان وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمشار اليه بالبنان في البيان فصادف نزولنا سنجار أن أولم بها أحد التجار فدعا الى مأدبته الجفلى من اهل الحضارة والفلا حتى سرت دعوته الى القافلة وجمع فيها بين الفريضة والنافلة فلما أجبنا مناديه وحللنا ناديه أحضر من أطعمة اليد واليدين ما حلا في الفم وحلي بالعين ثم قدم جاما كأنما جمد من الهواء او جمع من الهباء او صيغ من نور الفضاء او قشر من الدرة البيضاء وقد اودع لطايف النعيم وضمخ بالطيب العميم وسيق اليه شرب من تسنيم وسفر عن مرأى وسيم وأرج نسيم فلما اضطرمت بحضرة الشهوات وقرمت

الى

الى مجتنى اللذات وشارفت أن يشنّ عليه الغارات وينادي عند نهبه يا للثارات نفر ابو زيد كالمجنون وتباعد عنه تباعد الضب من النون فراودناه على أن يعود وأن لا يكون كقدار في ثمود فقال والذي يحيي الأموات من الرجام لا عدت دون رفع الجام فلم نجد بدا من أن نلبي وأبرار حلفه فأشلناه والعقول معه شائلة والدموع عليه سائلة فلما فاء الى مجثمه وخلص من مأثمه سألناه لم قام ولأي معنى استرفع الجام فقال ان الزجاجة نمّام وانى آليت مذ اعوام الا يضمّني ونمّاما مقام فقلنا له وما سبب يمينك الصرى وآليتك الحرى فقال انه كان لي جار لسانه يتقرب وقلبه عقرب ولفظه شهد يُنقع وخبؤه سم منقع فملت لجاوره الى محاورته واغتررت بمكاشرته في معاشرته واستهوتني خضراء دمنته لمنادمته وأغرتني خدعة تميمه بمنادمته فانتجته وعندي انه جار مكاسر فبان انه عقا كا

وأسنده على أنه حب موالس فوضح أنه حباب موالس وملحنه وما أعلم
أنه عند نقده ممن يفرح بعقده وعاقرته ولم أدر أنه بعد فقره ممن
يطرب بالمفرة وكانت عندي جارية لا يوجد لها في الكمال مجارية إن
سفرت خجلت النيران وصليت القلوب بالنيران وإن تبسمت أزرت بالجمان
وبيع المرجان بالمجان وإن رنت هيجت البلابل وحققت سحر بابل
إن نطقت عقلت لب العاقل واستنزلت العصم من المعاقل وإن قرأت
شفت المفؤود وأحيت الموؤود وخلتها أوتيت من مزامير داود وإن
غنت ظل معبد لها عبدا وقيل بعدا لإسحق وبعدا وإن زمرت
أضحى زنام عندها زنيما بعد أن كان لجيله زعيما وبالإطراب زعيما
وإن رقصت أمالت العمائم عن الرؤوس وأنستك رقص الحبب
في الكؤوس فكنت أدرأ معها حمر النعم وأحلي بتمليها جيد النعم
وأحجبها عن الشمس والقمر وأذود ذكرها عن شرائع السمر وأنا

مع

مع ذلك ألج من أن تربي بها هادية أو يكمن لها ساطح أو ينم عليها
برق مليح فاتفق لوشل الحظ المنحوس ونكد الطالع المنكوس أن أنطقني
بوصفها حميا المدام عند الجار النمام ثم ثاب الفهم بعد أن صرد
السهم فأحسست الخبال والوبال وضيعة ما أودع ذلك الغربال بيد
أني عاهدته على عكم ما لفظته وأن يحفظ السر ولو أحفظته
فزعم أنه يخزن الأسرار كما يخزن اللئيم الدينار وأنه لا يهتك الأستار
ولو عرض لأن يلج النار فما غبر على ذلك من الزمان إلا يوم أو يومان
حتى بدا لأمير تلك المدرة وواليها ذي المقدرة أن يقصد باب
قبله مجتديا عرض خيله ومستمطرا عارض نيله وارتاد أن تحفه
تحفة تلائم هواه ليقدمها بين يدي نجواه وجعل يبذل الجعائل
لرواده ويسني الرغائب لمن يظفره بمراده فأسف ذلك الجار الختار إلى
بذوله وعصى في ادراع العار عذل عذوله فأتى الوالي ناشرا اذيره

وانا مع ما كنت اسر دونه اليه فاذا عني الا انساب طاغيه الى و
ابتسال حقد بني على تسويم ابنائه بالدرع النسيم على ان احكم عليه
في الفتن فقضيت من المه ملعبة فرعون وجوده من اليم ولم ازل ادافع
عنها ولا يغني الدفاع واستشفع اليه ولا الاستشفاع وكلما ازددت
ازدياد الاعتياص وازدياد التناصر تحرم وتصرم وحنق على الايام
ونقضه مع ذلك لا انتهج بمعارفه بيدي ولا ابان انزع قلبه من صدى
حتى آل الوعيد ايقاعا والتفريع قراعا فبادرت الاشفاق من الحين
الى ان فضضته سواد العين بصفرة العين ولم يحط الوالي بغير الاثم
والبين فعاهدت الله تعالى من ذلك العهد ان لا احضر مقاما
من بعد والرجاج مخصوصا بهذه الطباع الذميمة وبه يضرب المثل
في التيم فقد جرى عليه سباعتي ولذلكم اكتسب لم امدة الكبر معي
فلا تعد لو في تعد ما قد شرحته على ان حرمته في اقطاف القطاف

فقد

فقد بان عذري في صنيعي وانه سادن في قيمتي من تليدي وطارفي
على ان ما نقموه دونكم من نكاهة الذين الحلو الذي كل عارف قال
الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا له قدما
وقد آن لتتمة خبر البئر حتى انتزع عن حمالة الحطب ما انتزع
ثم سالناه عما احدثت جادة الفتيان ودخلله المقتات بعد ان
داس له نبل ليتحاشز وجذم حبل التغاير فقال اخذ في الانخذال
والاستكانة والانقطاع الى بذوي المكابدة وكنت خرجت على
نفسي ان لا ابرح حجة البيت او يرجع الى ابي فلم يكن له منه سوى
الرد والاصرار على الصد وهو لا يكتب من الخجل ولا ينبس من
وقلة الوصيل بل يلظ بالوسائل ويلح في المسائل فما انقذني من
ابرامه ولا ابعد عاديه نبل مرامه الا ابيات نفثتها الصدر
الموتور والخاطر المبثور فالها كانت مدحرة لشيطانه ومجمة له

في اوطانه وعند انتشارها بث طلاق الجود ودعا بالويل والثبور
وابن من تر وصلي المقبور كما يئس الكفار من اهل القبور فناشدناه
ان ينشدنا اياها وينقذنا بياتها فقال اما خلق الانسان من عجل
ثم انشد لا بروبر نخل ولا بثنيه وجل ونديم محضته صدق ودي
اذ توهمته صديقا حميما ثم اولته قطيعة قال حين القيته صد ملا
حميما وخلته قبل ان يجرب الفا ذا ذمام فبان خلفا ذميما ونحرته كليما
فاسى منه قلبي بما جناه كليما وتظنيته معينا رحيما فتبينته
لعينا رجيما وترائيته مريدا فجلى عنه سكي له مريدا لئيما وتوهمت
ان يهب الاسهم ما بت من لسعه الذي اعجز الراقي سليما وبات
مني سليما وغدا امن غداة افترقنا مستقيما والجسم مني سقيما لم
يكن رابعا خصيبا ولكن كان بالشر رابعا لي خصيما قلت لما بلوته
ليته كان عديما ولم يكن لي نديما نغص الصبح حين نم الى قلبي

لأن الصباح ملفي نوما ودعاني الى هوى الليل اذ كان سواد الدجى
رقيبا كتوما وكفى من يثني ولو فاه بالصدق اثاما فيما اتاه ولوما
قال الراوي فلما سمع رب المنزل قريضه وسجعه واستملح تقريظه
وسبعه تبوأه مهاد كرامته وصدره على تكرمته ثم استحضر
عشر صحاف من الغرب فيها حلواء القند والضرب وقال له لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة ولا بدع ان يجعل البري كذي الظنة
وهذه الآنية تنزل من لذ الابرار في صون الاسرار فلا تولها
الابعاد ولا تلحق هودا بعاد ثم امر خادمه بنقلها الى مثواه ليحكم
فيها بهواه فاقبل علينا ابو زيد وقال اقرؤوا سورة الفتح وابشروا
بايذان الفرج فقد جبر الله كسركم وسنى اكلكم وجمع في ظل الحلواء
شملكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فلما هم بالانصراف مال
الى استهداء الصحاف فقال للادباء ان من دلائل الظرف سماحة المهدي

بالظرف فقال كلاهما والعلام فاحذف الكلام وانهض بلا لام فوثب
في الجواب وشكره شكر الروض للسحاب ثم أفادنا أبو زيد الحوائه
وحكمنا في حلوائه وجعل يقلب الأواني بيده وينفض عددها على
عدده ثم قال لست أدري أأشكو ذلك النمام أم أشكر وأتناسى فعلته
التي فعل أم أذكر فإنه وإن كان أسلف الجريرة ونمّ النميمة فمن غيره
أهلكت هذه الديمة وبسببه انحازت لي هذه الغنيمة وقد خطر بالي
أن أرجع إلى أشبالي وأقنع بما أتيح لي ولا أتعب نفسي ولا أجمالي وأنا
أودعكم وداع محافظ وأستودعكم خير حافظ ثم استوى على راحلته راجعا
في حافرته ولاويا إلى ذا فريه فغادرنا بعد أن وخدت عنه ودنا
أنه كديس غاب صدره أو ليل أفل بدره

المقامة التاسعة عشرة تعرف بالنصيبية

حكى الحارث بن همام قال أمحل العراق ذات العوام خلا
أنواء الغيم وتحدث الركبان بريف نصيبين وبلهنية أهلها المخصبين

فانتعدت

فانتعدت مهريا واعتقلت سمهريا وسرت تلفظني أرض إلى أرض و
تجذبني دفع من خفض حتى بلغتها نقضا على نقض فلما أنخت بمغناها
الخصيب وضربت في مرعاها بنصيب نويت أن ألقي بها جراني وأتخذ
أهلها جيراني إلى أن تحيى السنة الجماد ويتعهد أرض قومي العهاد فوالله
ما تمضمضت مقلتي بنومها ولا تمخضت ليلتي من يومها أو ألفيت أبا
زيد السروجي يجول في أرجاء نصيبين ويخبط بها خبط المصابين
والمصيبين وهو ينثر من فيه الدرر ويحتلب بكفيه الدرر فوجدت
جهادي قد حاز مغنما وقدحي القدح قد صار توأما ولم أزل أتبع ظله
أينما انبعث وألتقط لفظه كلما نفث إلى أن عراه مرض امتد مداه
وعرفت مداه حتى كاد يكلبه نوب الحباء ويسلمه إلى أبي يحيى فوجدت
لفوت ملقاه وانقطاع سقياه ما يجد المبعد عن مرامه والمرضع
عند فطامه ثم أرجف بأن دهنه قد غلق ومخلب الحمام به قد علق

فقلق صحبه لإرجاف المرجفين وانثالوا إلى عقوته موجفين وقال
حبارى بميد عام شجوهم كأنهم ارتضعوا الخندريسا أسالوا الغروب
وعطوا الجيوب وصكوا الخدود وشجوا الرؤسا يودون لو ساء ما المنون
وغالت نفائسهم والنفوسا قال الراوي وكنت فيمن ألف بأصحابه
وأغذ إلى بابه فلما انتهينا إلى فنائه وتصدينا لاستنشاء أنبائه
برز إلينا فتاه مفترة شفتاه فاستطلعناه طلع الشيخ في شكاته
وكنه قوى حركاته فقال قد كان في قبضة المرضة وعركة الوعكة
إلى أن شفه الدنف واستشفه التلف ثم من الله تعالى بتنفيس
ذمائه فأفاق من إغمائه فارجعوا أدراجكم وانضوا انزعاجكم فكأن
قد غدا وراح وسقاكم الراح فأعظمنا بشراه وأفرحنا أن نراه وقد
موذنا بنا ثم خرج إذنا لنا فلقينا منه لقى ولبانا طلقا وجلنا مجلا
ببريره محدقين إلى أساريره فقلب طرفه في الجماعة ثم قال الخلوها

نبت الساعة وأنشد شعر عافاني الله وشكرا له من علة كادت تعفيني
ومن بالبرء على أنه لا بد من حتف سيبريني ما أبلتنا ملي ولكنه إلى
نفضي الأكل ينسيني إن حم لم يغن حميم ولا حمى كليب منه يحميني وما
أبالي لعنى يومه أم أخر الحين إلى حين فأي فخر في حواة أرى فيها
البلايا ثم تبليني قال فدعونا له بامتداد الأجل وارتداد الوجل ثم
تداعينا إلى القيام لاتقاء الإبرام فقال كلا بل اثنوا أباص يومكم
عندي لتشفوا بالمفاكهة وجدي فإن مناجاتكم قوت نفسي ومغناطيس
أنسي فتحرينا مرضاته وتحامينا معاصاته وأقبلنا على الحديث نمخض
زبده ونلغي زبده إلى أن حان وقت المقيل وكلت الألسن من
القال والقيل وكان يوما حامي الوديقة بائع الحديقة فقال كادت
النعاس قد أمال الأعناق وداود الأماق وهو خصم الدد وحطب
لا برد فصلوا الحبلة بالقيلولة واقتدوا فيه بالآثار المنقولة قال

الراوي فاتبعنا ما قال وقلنا وقال فضرب الله على الاذان وافرغ النوم
في الاجفان حتى خرجنا من حكم الوجود وصرنا بالهجود عن الوجود
فما استيقظنا الا والحر قد باخ واليوم قد شاخ فكرعنا الصلواة
العجماوين وادينا ما حال من الدين ثم تحثثنا للارتحال الى ملتقى
الرحال فالتفت ابو زيد الى شبله وكان على شاكلته وشكله وقال
اني لاخال ابا عمرة قد اضرم في احشائهم الجمرة فاستدع ابا جامع
فانه يزري كل جايع وادفر بابي نعيم الصابر على كل ضيم ثم عززه بابي
حبيب المحبب الى كل لبيب المقلب بين احراق وتعذيب واهب
بابي ثقيف فحبذا هو من اليف وهلم بابي عون فما مثله من عون
ولو استحضرت ابا جميل لجمل اي تجميل وجهل بام القرى المذكرة
للكسرى ولا تتناس ام جابر فكم لها من ذاكر وناد ام الفرج ثم افلك
بها ولا حرج واختم بابي رزين فهو مسلاة كل حزين وان تفرد به

ابا

ابا العلاء ثم اسمك من الخلاء واياك واستدناء المرجفين قبل
استقلال حمول البين واذا نزع القوم عن المراس وصافحوا ابا اياس
فاطف عليهم ابا السرور فانه عنوان السرور وقال ففقه ابنه لطايف
رموزه بلطافة تمييزه فطاف علينا بالطيبات والطيب الى ان اذنت
الشمس بالمغيب فلما اجمعنا على التوديع قلنا له الم تر الى هذا اليوم
البديع كيف بدا صبحه قمطريرا ثم لاح مسيه مستنيرا فتحجب حتى اطال ثم
رفع راسه وقال شعر لا تياسن عند النوب من فرجة تجلو الكرب
فلكم سموم هب ثم جرى نسيما وانقلب وسحاب مكروه نشا فاضمحل
وما سكب ودخان خطب خيف منه فما استبان له لهب ولطالما
ما طلع الاسى وعلى تقبله غرب فاصبر اذا ما ناب دهر فالزمان
ابو العجب وترج من روح الاله لطايفا لا تحتسب قال فاستملينا
ابياته الغرر وابنّا له الشكر وودعناه مسرورين بسره مغمومين ببينه

تفسير ما تضمنته هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والكنى الطفيلية والكنايات الصوفية قوله
ذات العويم يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين والبلهنية رغد العيش
ومنه قولهم عيش ابله والسمهرية الرماح وفي تسميتها بذلك قولان احدهما
انها سميت به لصلابتها من قولهم اسمهر الشيء اذا اشتد وقيل انها منسوبة
الى سمهر زوج ردينة وكانا جميعا يقومان الرماح فنسبت اليهما وقوله القضا
على نقض اي مهزول على مهزول والجران باطن عنق الجمل وقيل قد تعلمنه البابا
وسمي جران العود الشاعر لقوله خذا حذرا يا جارتي فانني رايت جران العود قد كاد
يصلح وذلك انه اتخذ لزوجتيه اللتين تغضبانه سوطا من الجران ووضعه
في الشمس ليجف فانذرهما بجفافه وقرب ضربهما به وقوله فضرب الله على اذانه
اي انامنا ومنه قوله عز وجل فضربنا على اذانهم في الكهف اي انمناهم وقيل
في تفسيره منعناهم السمع وقوله نكر عنا الصلوة العجماوين اي غسلنا الكار عنا
وهو كناية عن الوضوء والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك لانه لا يجهر فيهما با

القراءة

القراءة فيهما ومنه الحديث صلوة النهار عجماء وقوله هلم اي قل له هلم وهي
تاتي بمعنى هات واقبل واصلها ها بمعنى التنبيه ولم اي اجمع والافصح ان
توحد لفظها مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق القران في قوله
تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا ومن العرب من يقول للمذكر
الواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللمؤنث الواحدة هلمي وللاثنين
هلما وللجمع هلممن وقوله حيهل اي عجل يقال حيهل بفلان بتسكين اللام
وفتحها وبتنوينها وباثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود في عمر بن الخطاب اذا
ذكر الصالحون فحي هلا بعمر وفي حيهل لغات اضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا
موضع استيفاء شرحها فهذا تفسير الالفاظ اللغوية واما تفسير الكنى الطفيلية
والكنايات الصوفية فابو يحيى كنية ملك الموت عليه السلم وابو عمرة كنية
الجوع ويكنى ايضا ابا مالك ومنه قول الراجز ابو مالك يعتادنا في الظهائر
وابو جامع الخوان وابو نعيم الخبز الحوارى وابو حبيب الجدي وابو ثقيف الخل

وابي عون الملح وابو جميل البقل وام القرى الدجاج وام جابر الهريسة وام
الفرج الجوذابة وابو رزين الخبيص وابو العلاء الفالوذ وابو اياس الغسول و
الطست والابريق وابو الريح البخور المقامة العشرون تعرف بالفارقية حكى الحارث بن
همام قال يممت ميافارقين مع رفقة موافقين لا يمارون في المناجاة
ولا يدرون ما مطعم المداجاة فكنت بهم كمن لم يرم عن وجاره ولا
ظعن عن اهله وجاره فلما انخنا بها مطايا التسيار واستقللنا عن
الاكوار الى الاوكار تواصينا بادكار الصحبة وتناهينا عن التقاطع
في الغربة واتخذنا ناديا نعمره طرفي النهار ونتهادى فيه طرف الاخبار
فبينما نحن به في بعض الايام وقد انتظمنا في سلك الالتئام اذ وقف
علينا ذو مقول جري وجرس جهوري فحيا تحية نفاث في العقد
قناص للاسد والنقد ثم قال عندي يا قوم حلت عجيبة فيه
اعتبار للبيب الاريب رايت في ريعان عمري اخا باس له حد الحسام

القضيب

القضيب يقدم في المعرك اقدام من يوقن بالفتك ولا يرتاب بفرج
الضيق بكراته حتى يرى ما كان ضنكا رحيبا ما بارز الاقران الا انثنى
عن موقف الطعن برمح خضيب ولا سما يفتح مستصعبا مستغلق الباب
منيعا مهيب الا ونودي حين يسمو له نصر من الله وفتح قريب هذا
وكم من ليلة باتها يميس في برد الشباب القشيب يرشف العذب بثغر
وهو لدى الكل المفدى الحبيب فلم يزل يبتز دهره ما فيه من
بطش وعود صليب حتى اصارته الليالي لقا يعافه من كان منه قريب
قد عجز الراقي تحليل ما به من الداء واعيى الطبيب وصار للبيض
وصار منه من بعد ما كان المجاب المجيب وآض كالمنكوس في خلقه
ومن يعش يلق دواهي المشيب وها هو اليوم مسجى لمن يرغب في تكفين
مستغرب ثم انه اعلن في النحيب وبكا بكاء المحب على الحبيب فلما
رقات دمعته وانفثات لوعته قال يا نجعة الرواد وقدوة الاجواد

والله ما نطقت ببهتان ولا أخبرتكم إلا عن عيان ولو كان في عصاي
سيرٌ ولعيني مطيٌّ لاستأثرت بما أدعوكم إليه ولما وقفت موقف الدالّ
عليه ولكن كيف الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح
قال الراوي فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون ويتخافتون فيما يأتون
فوهمهم أنهم على صفقة خسران أو وطئا البنية ببرهان ففرط منه أن قال
يا بلابل الفلاح وبراعم البقاع ما هذا الارتياء الذي يأباه الحياء
كأنكم كلفتم متعذرًا لا شقة أو استوهبتم بلدة لا بردة أو هززتم لكسوة
البيت لا لتكفين الميت أو بان لا تندى صفاته ولا ترشح حصاته
فلما بصرت الجماعة بدلائه وعرفت مدى فيه دفاه كل منهم بنيله
واحتمل لله خوف سبيله قال الحارث بن همام وكان هذا الثناء
وافقا خلقي ومحبًّا بظهري عن طرفي فلما أرضاه القوم لتسليهم
وحوى على الثناء عليهم خلعت خاتمي عن خنصري ولفت إليه بصري

فاذا

فإذا هو شيخنا السروجي بلا فرية ولا مرية فأيقنت أنها الكذوب
نكَّتها وأحوله نصبها إلا أني طويته على غرّه وصنت شغله
عن قرّه فخصصته بالخاتم وقلت أوصله لنفقة المأتم فقال
لك ما أضرم شعلتك وأكرم فعلتك ثم انطلق يسعى قدماً و
يهرول لهرولته قدماً فقرعت إلى عرفان ميته واستجلاء دعوى
حميته فقرعت ظنوني والهب الهوى حتى أدركته على غلوة
واجتليته في خلوة فأخذت بمجامع أردانه وعففته عن سنن مبدأ
وقلت له والله ما لك مني ملجأ ولا منجى أو تريني منك وتكشف
عن سراويله وأشار إلى غرموله فقلت له قاتلك الله فما أعبثك
بالتقى وأحبك على اللقى ثم عدت إلى أصحابي عود الرائد الذي
لا يكذب أهله ولا يبرئ قوله فأخبرتهم بالذي دبّ وما ورث
ولا ذاب فقهقهوا من كذب وكذبت وتعنوا ذلك المتبت

المقامة الرازية حدث الحارث بن همام قال عنيت مذ احكمت
تدبيري وعرفت قبيلي من دبيري بأن أصغي إلى العظات وألغي الكلم
المحفظات لأتحلى بمحاسن الأخلاق ومازلت آخذ نفسي بهذا الأدب
وأخمد به جمرة الغضب حتى صار التطبع فيه طباعا والتكلف له هوى
مطاعا فلما حللت بالري وقد حللت حبى الغي وعرفت الحي من اللي
رأيت بها ذات بكرة زمرة إثر زمرة وهم منتشرون انتشار الجراد و
مستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه ويحلون
ابن سمعون دونه فلم يكن أدنى لاستماع المواعظ واختبار الواعظ
أن أماسي اللاغط واحتمل الضاغط فاصحبت أصحاب الطواعن و
انخرطت في سلك الجماعة حتى أفضينا إلى ناد جمع الأمير والمأمور
والمحتشد النبيه والمغمور وفي وسطها اليه وسط هالة شيخ قد
تقوس واقعنسس وتقلنس وتطلس وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور

ويلين الصخور وسمعته يقول وقد افتتن بمرتقى العقول يا ابن آدم
ما أغراك بما يغرك وأضراك بما يضرك وألهجك بما يطغيك وأبهجك
بمن يطريك تعنى بما يعنيك وتهمل ما يعنيك وتنزع في قوس تعديك
وتتذلل للحرص الذي يرديك لا بالكفاف تقتنع ولا من الحرام تمتنع
ولا للعظات تستمع ولا بالوعيد ترتدع دأبك أن تتقلب مع الأهواء
وتخبط خبط العشواء وهمك أن تدأب في الاحتراث وتجمع التراث للوراث
يعجبك التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين يديك وتسعى أبدا لغيرك
ولا تبالي ألك أم عليك أتظن أن ستترك سدى وأن لا تحاسب غدا
أم تحسب أن الموت يقبل الرشا أو يميز بين الأسد والرشا كلا والله
لن يدفع المنون مال ولا بنون ولا ينفع أهل القبور سوى العمل
المبرور فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى
وعلم أن الفائز من ارعوى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف

به ثم أنشد وجلا بصوت زجل   لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى إذا
سكن المثري الثرى وثوى به فجد في مراضي الله بالمال راضيا بما تقتني
من أجره وثوابه وبادر به صرف الزمان فإنه بمخلبه الأشغى يعول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره فكم خامل أخنى عليه ونابه وعاص
هوى النفس الذي ما أطاعه أخو ضلة إلا هوى من عقابه وحافظ
على تقوى الإله وخوفه لتنجو مما يتقى من عقابه ولا تله عن تذكار ذنبك
وابكه بدمع يضاهي الوبل حال مصابه ومثل لعينيك الحمام ووقعه
وروعة ملقاه ومطعم صابه وأن قصارى مسكن الحي حفرة سينزلها
مستنزل عن قبابه فواها لعبد ساءه سوء فعله وأبدى التلافي قبل
إغلاق بابه قال فظل القوم بين عبرة يذرونها وتوبة يظهرونها
حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الأصوات
وآن الإنصات وأسكتت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالأمس

الحاضر وجعل يجر إليه من عامليه الجائر والأمير صاغ إلى خصمه
لاه عن كشف ظلامته فلما يئس من دوحه استنهض الواعظ لنصحه فقص
قصة اليتيم وأنشد معرضا بالأمير   عجبا لراج أن ينال ولاية
حتى إذا ما نال بغيته بغى وسطا ولج في المظالم والغى في ورده الطورا
وطورا ولغا ما إن يبالي حين يتبع الهوى فيها أصلح دينه أم أوتغا
يا ويحه لو كان يوقن أنه ما حاله إلا تحول لما طغى أو لو تبين ما
ندامة من صغى سمعا إلى وشي إفك الوشاة لما صغى فانقد لمن أضحى
الزمام بكفه وتعلمن أن التقي الوعابر أو لغا وادرع المراد إذا دعاك لرعيه
ورد الأجاج إذا أتاك السيغا واحمل أذاه وإن أمضك مسه وأسال لك
غرب الدمع منك وأفرغا فليضحكن الدهر منه إذا نبا عنه وشب
لكبته نار الوغا وليبلين بالشمات إذا بدا متحليا من شغله متفرغا
ولتأوين له إذا ما حثه أضحى على ترب الهوان ممرغا هذا له ولسوف

يوقف موقفا فيه يرى رب الفصاحة الثغا وليحشرن اذل من نقع الفلا
وليحاسبن على النقيصة والثغا وليؤاخذن بما اجتنى ومن اجتنى وبطا
بما اجتنى وبما ادعى وليناقشن على الدقائق مثل ما قد كان يفعل
بالورى بل اهلنا حتى يعض على الولاية كفه ويود لو لم يبغ منها ما
بغى ثم قال ايها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية دع الادلال بدولتك
والاغترار بصولتك فان الدولة ريح قلب والقدرة برق خلب
وان اسعد الرعاة من سعدت به رعيته وان اشقاهم في الدارين
من ساءت رعايته فلا تك ممن نبذ الاخرة ويلغيها ويحب العاجلة
ويبتغيها ويظلم الرعية ويؤذيها واذا تولى سعى في الارض ليفسد
فيها فوالله ما يغفل الديان ولا يهمل الانسان ولا تلغى الاساءة
والاحسان بل سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان قال فوجم الوالي
لما سمع وامتقع لونه وانتقع وجعل يتافف من الامرة ويردف

الزفرة

الزفرة بالزفرة ثم عمد الى الشاكي فاشكاه والى المشكو منه فانحيا
والطف الواعظ حباه وعزم عليه ان يغشاه فانقلب عنه المظلوم
منصورا والظالم محصورا وبرز الواعظ يهادى بين رفقته ويباهي
بعوذ صفقته فاعتقبته اخطو متقاصرا وارنو اليه باصرا فلما استشف
ما اخفيه وفطن لتقلب وجهي فيه قال خير دليليك من ارشد ثم اقترب
مني وانشد   انا الذي تعرفه يا حارث   حدث ملوك فكه منافث
اطرب ما لا تطرب المثالث   طورا اخو جد وطورا عابث   ما غيرتني بعدك
الحوادث   ولا التحى عودي خطب كارث   ولا فرى نابي حد فارث   بل
مخلبي بكل صيد ضابث   وكل سرح فيه ذئبي عائث   حتى كاني للانام
وارث   سامهم وحامهم ويافث   قال الحارث بن همام فقلت له تالله
انك لابو زيد ولقد قمت لله ولا قيام عمرو بن عبيد فهش هشاشة
الكريم اذا ام وقال اسمع يا ابن ام   عليك بالصدق ولو انه   وانشد

آخر فلك الصدق بنادِ الوعيد وابغ رضا الله فأغبى الورى من
أسخط المولى وأرضى العبيد ثم إنه ودّع أخدانه وانطلق يجرّ
أردانه فطلبناه من بعد بالريّ واستنشرنا أخباره من مدارج
الطيّ فما عرفنا من عرّفه ولا أدري أيّ الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون وتعرف بالفراتية

حكى الحارث بن همّام قال أويت في بعض الفترات
إلى سقي الفرات وأعذبت أخلافًا من أبناء الفرات فاطّفت بهم لتهذّب
لا لذهبهم وكانت غنيتي لأدبهم لا لمآدبهم فخالطت منهم أصناف
العقلاء بن ووصلت بهم إلى الكور بعد الحور حتى أنهم أشركوني
في المرتع والمربع وأحلّوني محلّ الأنملة من الإصبع واتّخذوني ابن النديم
عند الولاية والعزل وخازن سرّهم في الجدّ والهزل فاتّفق أن ندبوا
في بعض الأوقات لاستقراء مزارع الرزداقات فاختاروا من الجواري
المنشآت جارية حالكة الشباب تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب

في الحباب كالحباب ثم دعوني إلى الموافقة واستدعوني للمرافقة
فلما تورّكنا على المطيّة الدهماء وتبطّنّا الوليّة الماشية على الماء
ألفينا بها شيخًا عليه سحق سربال ورثّ بال فعافت الجماعة حضوره
وعنّفت من أحضره وهمّت بإبرازه من السفينة لولا ما تاب إليها
من السكينة فلما لمح منا استثقال ظلّه واستبراد طلّه تعرّض للمنافثة
فصمت وجدّل بعد أن عطس فما شمّت فأخذ ينظر فيما آل حاله
إليه وينتظر نضح المبغيّ عليه وجلنا نحن في شجون من جدّ ومجون
إلى أن اعترض ذكر الكتابتين وفضلهما وتبيان أفضلهما فقال قائل
إنّ كتبة الإنشاء أنبل الكتّاب ومال مائل إلى تفضيل الحسّاب
واحتدّ الحجاج وامتدّ اللجاج حتى لم يبق للجدال مطرح ولا للمراء مسرح
فقال الشيخ لقد أكثرتم يا قوم اللغط وأثرتم الصواب والغلط فإنّ
جليّة الحكم عندي فارتضوا بنقدي ولا تستفتوا أحدًا بعدي اعلموا

ان صناعة الإنشاء أرفع وصناعة الحساب أنفع وقلم المكاتبة خاطب
وقلم المحاسبة حاطب وأساطير البلاغات تنسخ لتدرس ودساتير
الحسابات تنسخ وتدرس والمنشي جهينة الأخبار وحقيبة الأسرار
ونجي العظماء وكبير الندماء وقلمه لسان الدولة وفارس الجولة
ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وهو البشير والنذير والشفيع والسفير
به تستخلص الصياصي وتملك النواصي ويقتاد العاصي ويستدنى القاصي
وصاحبه بريء من التبعات آمن كيد السعاة مقرض بين الجماعات
غير معرض لنظم الجماعات فلما انتهى في الفصل إلى هذا الفصل
لحظ من لحظات القوم أنه ازدرع حبا وبغضا وأرضى بعضا وأحفظ بعضا
فعقب كلامه بأن قال الا أن صناعة الحساب موضوعة على التحقيق
وصناعة الإنشاء مبنية على التلفيق وقلم الحاسب ضابط وقلم المنشي
خابط وبين إتاوة توظيف المعاملات وتلاوة طوامير السجلات بون

لا يدرك

لا يدرك قياسه ولا يعتوره التباس إذ الإتاوة تملأ الأكياس والتلاوة
تفرغ الراس وخراج الأوارج يغني الناظر واستخراج المدارج يعني الناظر ثم
إن الحسبة حفظة الأموال وحملة الأثقال والنقلة الأثبات و
السفرة الثقات وأعلام الإنصاف والانتصاف والشهود المقانع
في الأخلاف ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان وقطب الديوان
وقسطاس الأعمال والمهيمن على العمال وإليه المآب في السلم والهرج
وعليه المدار في الدخل والخرج وبه مناط الضر والنفع وفي يده
رباط الإعطاء والمنع ولولا قلم الحساب لأودت ثمرة الاكتساب ولا
اتصل التغابن إلى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلول العرى
والظلامات مطلولا وجيد التناصف مغلولا وسيف التظالم مسلولا
على أن يراع الإنشاء متقول ويراع الحساب متأول والمحاسب مناقش
والمنشي أبو براقش ولكليهما حمة حين يرقى إلى أن يلقى ويرقى وأعنات

فيما ينبغي حتى يغشى وبشرنا الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل

ما هم قال الحارث بن همام فلما امتع الأسماع بما راق وولع استنبا

فاسترابَ وابى الإنتساب ولو وجد منتاباً الأنساب فحصلت من لبه

على غمرٍ حتى اذكرت بعد امةٍ فقلت والذي سخر الفلك الدوار و

الفلك التيار إني لأجدك ابى زيد وانكت اعهده ذا دواء واملٍ

فتبسم ضاحكاً من قولي وقال انا هو على استحالة حالي وحولي فقلت

لأصحابي هذا الذي لا تبرى فريه ولا تُبارى عبقريّه فخطوا منه الود

وبذلوا له الوجد فرغب عن الالفة ولم يرغب في التحفة وقال اما

بعد ان تحققتم حقيقتي لأجل سحقي وكشفتم بالي لإخلاق سربالي فما ارى لكم

الإيلاء لعين التحية ولا لكم مني الا الصحبة السفينة ثم انشد اسمع اخي

وصيةً من ناصحٍ ما شاب محض النصح منه بغشه لا تعجلن بقصةٍ

مبونةٍ في مدح من لم تبله او خدشه وقف القضية فيه حتى تجتلي و

يجلى

في حالي رضاه وبطشه وتبين خُلّب برقه من صدقه للشائمين وو بله

من طشه فهناك ان ترما يشين فواره كرماً وان ترما يزين فافشه ومن

استحق الإنقاء فرقه ومن استحط فحطه في حشه واعلم بان التبر في عرق

الثرى خافٍ الى ان يستثار بنبشه وفضيلة الدينار يظهر سرها من

حكه لا من ملاحة نقشه ومن الغباوة ان تعظم جاهلاً لصقال ملبسه

ورونق عرشه او ان تهين مهذباً في نفسه لدروس بزته ورثة فرشه

ولكم اخي طمرٍ هب لفضله ومفوّق البردين عيب لفحشه واذا الفتى

لم يغش عاراً لم تكن اسماله الا مزاً في عرشه ما ان يضر العضب كون

قرابه خلقاً ولا البازي حقارة عشه ثم ما عتم ان استوقف الملاح

وصعد من السفينة وساح فندم كل منا على ما افرط في ذاته واغضى

جفنه على قذاته وتعاهدنا على ان لا نحتقر شخصاً لرثاثة برده وان لا

نزدري سيفاً مخبواً في غمده المقامة الثالثة وتعرف ب[illegible] حكى الحارث

بن همام قال نبا بي مألف الوطن في شرخ الزمن لخطب خشي وخوف غشي
فأرقت كأس الكرى ونصصت ركاب السرى وجبت في سيري وعورا
لم تدمّها الخطى ولا اهتدت اليها القطا حتى وردت حمى الخلافة
والحرم العاصم من المخافة فسروت ايجاس الروع واستشعاره وتسربلت
لباس الأمن وسنان وقصرت همي على لذة أجتنيها وملحة أجتليها
فبرزت يوما الى الحريم لأروّض طرفي وأجيل في طرفه طرفي فإذا فرسان
متتالون ورجال متتالون وشيخ طويل اللسان قصير الطيلسان قد
لبّب فتى جديد الشباب خلق الجلباب فركضا إثر النطاح حتى وافيا
باب الإمارة وهناك صاحب المعونة متربعا في دسته ومروّعا بسمته
فقال له الشيخ أعزّ الله الوالي وجعل كعبه العالي إني كفلت هذا الغلام
فطيما وربيته يتيما ثم لم آله تعليما فلما مهر وظهر جرّد سيف العدوان
وشهره ظلم أهله بلبوى على وتبجح حين يروى مني ويلتفح فقال له الفتى

علام عثرت مني حتى تنشر هذا الخزي عني فوالله ما سترت وجه برّك ولا
هتكت حجاب سرّك ولا شققت عصا أمرك ولا ألغيت تلاوة شكرك
فقال له الشيخ ويلك وأي ذنب أخزى من ذنبك وهل عيب أفحش
من عيبك وقد ادّعيت سحري واستلحقته وانتحلت شعري واسترقته
واسترقاق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء والصفراء وغيرتهم
على بنات الأفكار كغيرتهم على البنات الأبكار فقال الوالي للشيخ
وهل حين سرق سلخ أو مسخ أو نسخ فقال والذي جعل الشعر ديوان
العرب وترجمان الأدب ما أحدث سوى أن بتر ستة أشطر وأغار
على ثلثي سرحه فقال له الوالي أنشدنا أبياتك برمّتها ليتضح ما اختانه
من جملتها فأنشد شعرا يا خاطب الدنيا الدنيّة إنها شرك الردى
وقرارة الأكدار دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا تبّا لها
من دار وإذا أظلّ سحابها لم ينتقع منه صدى لجهامه الغرّار غارها

لا تنقضي وأسيرها لا يفتدى بجلائل الأخطار كم مزدها بغرورها حتى بدا
متمردا متجاوز المقدار قلبت له ظهر المجن وأولعت فيه المدى ونزت
لأخذ الثار فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الإبرار وارقب
إذا ما سالمت من كيدها حرب العدى وتوثب الغدار واعلم بأن
خطوبها تفجا ولو طال المدى ووني سرى الأقدار فقال له الوالي ثم ماذا
صنع هذا قال أقدم للؤمه في الجراء على أبيات الذاهبة الأحرار فحذف
منها جزئين ونقص من أوزانها وزنين حتى صار الوزن فيها دونين
فقال بين ما أخذ ومن أين فلذ فقال ادعني سمعك واملل الإنعام
عني دعك حتى تتبين كيف أصلت علي وتقولت قد وأجرا أمير إلى
ثم أنشد وأنفاسه تتصعد يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى

عادها

غادة لها لا تنقضي وأسيرها لا يفتدى كم مزدهي بغرورها حتى بدا متمردا وأفلت
له ظهر المجن وأولعت فيه المدى فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى وارقب إذا ما سالمت من
كيدها حرب العدا واعلم بأن خطوبها تفجا ولو طال المدا فالتفت الوالي
إلى الغلام وقال تبا لك من خريج مارق وتلميذ سارق فقال الفتى
برئت من الأدب وبنيه ولحقت بمن يناويه ويقوض مبانيه إن كانت
أبياته نمت إلى علمي قبل أن ألفت نظمي وإنما اتفق توارد الخواطر
كما قد يقع الحافر على الحافر قال فكأن الوالي جوز صدق زعمه فندم على
بادرة ذمه وظل يفكر فيما يكشف له عن الحقائق ويميز به الفائق من المائق
فلم ير إلا أخذهما بالمناضلة ولزهما في قرن المساجلة فقال لهما إن
أردتما افتضاح العاطل وانضاح الحق من الباطل فترسلا في النظم وتبا
وتجاولا في حلبة الإجازة وتجاريا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من

حتى عن بنيه فقالا لا آله بلسان واحد وجواب متوارد قد رضينا

بسبرك فمرنا بأمرك فقال إني مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس وأراه لها

كالرئيس فانظما الآن عشرة أبيات تلحما لها بوشيه وترصعا لها بحليه

وضمناها شرح حالي مع إلف لي بديع الصفة ألمى الشفة مليح التثني

كثير التيه والتجني مغرى بتناسي العهد وإطالة الصد وإخلاف الوعد

وأنا له كالعبد قال فبرز الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا وتجاريا

بيتا فبيتا على هذا النسق إلى أن كمل نظم الأبيات والنسق وهي   ولحوى

حوى دقي برقة لفظه وغادرني إلف السهاد بغدره تصدى لقتلي

بالصدود وإنني لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره أصدق منه الزور خوف

ازوراره وأرضى استماع الهجر خشية هجره وأستعذب التعذيب منه

وكلما أجد عذابي حب ريم ناسي ذمامي والتناسي مذمة

وأحفظ قلبي وهو حافظ سره وأعجب ما فيه التباهي بعجبه وكبره

عن

عن أن أفوه بكبره له مني المدح الذي طاب نشره ولي منه طي الود

من بعد نشره ولو كان عدلا ما تجنى فقد جنى علي وغيري يجتني رشف

ثغره ولولا تثنيه تثنيت عنه بدارا إلى من أجتلي نور بدره وإني على

تصريف أمري وأمره أرى الموت حلوا في انقيادي لأمره فلما أنشداها

الوالي مترسلين بهت لذكائهما المتعادلين وقال أشهد بالله

أنكما فرقدا سماء وكزندين في وعاء وإن هذا الحدث لينفق مما

آتاه الله ويستغني بوجده عمن سواه فتب أيها الشيخ من اتهامه

وثب إلى إكرامه فقال الشيخ هيهات أن تراجعه مقتي أو تعلق به

ثقتي وقد بلوت كفرانه للصنيع ومنيت منه بالعقوق الشنيع فاعترض

الفتى وقال يا هذا إن اللجاج شؤم والخرق لؤم وتحقيق الظنة إثم و

إعنات البريء ظلم وهبني اقترفت جريرة أو اجترحت كبيرة أما تذكر

إذ أنشدتني لنفسك في إبان أنسك   سامح أخاك إذا خلط منه

الإصابة بالغلط وتجافَ عن تعنيفه إن زاغ يوما أو فرط واطعه

إن عاصى وهُن إن عزّ وادنُ إذا شحط واحفظ صنيعك عند شكر

الصنيعة أم غمط وأوفِ الوفاء وإن أخلّ بما اشترطت وما اشترط

واعلم بأنك إن طلبت مهذبا رمت الشطط من ذا الذي ما ساء

قطّ ومن له الحسنى فقط أو ما ترى المحبوب والمكروه لُزّا في نمط كا

لشوك يبدو في الغصون مع الجنى الملتقط ولذاذة العمر الطويل

يشوبها نغص الشمط ولو انتقدت بني الزمان وجدت أكثرهم سقط

قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصلّ ويلحظ لحظة الباز

المطلّ ثم قال والذي زيّن السماء بالشهب وأنزل الماء من

السحب ما دعوي عن الاصطلاح إلا لتوقّي الافتضاح فإن هذا

الفتى اعتاد أن أمونه وأدلّي شونه وقد كان الدهر يبخ ولم

أكن أشحّ فأما الآن فالوقت عبوس وحشو العيش بؤس حتى إنّي

هذه

هذه عادته وبي لا تطور به فاقة قال فرقّ لمقالهما قلب الوالي

وأوى لهما من عنت الليالي وصبا إلى اختصاصهما بالإسعاف

وأمر النطّاق بالانصراف قال الحارث بن همام فكنت متشوّفا

إلى مرأى الشيخ لعلي أعلم علمه إذا عاينت وسمه ولم يكن الزحام يفرج

عنه ولا يفرج لي فأدنو منه فلما تقوّضت الصفوف وأجفل

الوقوف توسّمته فإذا هو أبو زيد والفتاة فتاه فعرفت مغزاه فيما

أتاه وكدت أنقضّ عليه لأستعرف إليه فزجرني بإيماض طرفه

واستوقفني بإيماء كفه فلزمت موقفي وأخّرت منصرفي فقال الوالي

ما مرامك ولأيّ ما سبب مقامك فابتدر الشيخ وقال إنه أنيسي

وصاحب ملبوسي فتبسّم عند هذا القول بناجذيه ودحض في حلوسه

ثم أفاض عليهما خلعتين ووصلهما بنصاب من العين واستعهدهما

أن يتغاشرا بالمعروف إلى أظلال يوم المخوف فنهضنا من ناديه

مشيد بن بشكر آباديه ونعتهما لأعرف مثواهما وأتزود من نجواهما
فلما أجن ناجي الوالي وأفضينا إلى الفضاء الخالي أدركني أحد جلاوزه
مهيبا بي إلى حوزته فقلت لأبي زيد ما أظنه استحضرني إلا ليستخبرني
فماذا أقول وفي أي واد معه أجول فقال بين له غباوة قلبه وبلة
لبه ليعلم أن ريحه لاقت إعصارا وحبوله صادف تيارا إني
أخاف أن يتقد غضبه فيلفحك لهبه أو يستشري طيشه فيسري إليك
بطشه فقال إني أرحل الآن إلى الرها وأنى يلتقي سهيل والسها فلما
حضرت الوالي وقد خلا مجلسه وانجلى تعبسه أخذ يصف أبا زيد
وفضله ويذم الدهر له ثم قال نشدتك الله ألست الذي أعاره
الدست فقلت لا والذي أحلك في هذا الدست ما أنا بصاحب
ذاك الدست بل أنت الذي تم عليه الدست فازورت مقلتاه
واحمرت وجنتاه وقال والله ما أعجزني قط فضح مريب ولا تكشيف

معيب

معيب ولكن ما سمعت بأن شخصا دلس بعد ما تطلس وتقلس فهلا
تم له أن لبس أفتدري أين سكع ذلك اللكع قلت له أشغف منك
ليتعدى طوره فظعن عن بغداد من فوره فقال لا قرب الله له نوى
ولا كلأه أين ثوى فما ولت أشد من نكره ولا ذقت أمر من مكره
ولولا حرمة أدبه لأوغلت في طلبه إلى أن يقع في يدي فأوقع به
وإني لأكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام فأفتضح بين الأنام وتحبط
مكانتي عند الإمام وأصير ضحكة للخاص والعام فعاهدني على أن لا
تفوه بما اعتمد ما دمت حلا لهذا البلد قال الحارث بن همام فعاهدته
معاهدة من لا يتأول ووفيت له كما وفى السموءل

المقامة الرابعة والعشرون وتعرف بالربيعية

حكى الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع
في إبان الربيع فتية وجوههم أبلج من أنواره وأخلاقهم أبهج من
أزهاره وألفاظهم أدق من نسيم أسحاره فاجتليت منهم ما يزري

على الربيع الزاهر ونغني عن رنات المزاهر وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد
وحظر الاستبداد وان لا ينفرد احدنا بالتذاذ ولا يستأثر ولو بزاد
فاجمعنا في يوم سما دجنه ونمى حسنه وحكم بالاصطباح مزنه
على ان نلتهي بالخروج الى بعض المروج لنسرح النواظر في الرياض النواضر
ونصقل الخواطر بشيم المواطر فبرزنا ونحن كالشهور عدة وكندماني
جذيمة مودة الى حديقة اخذت زخرفها وازينت وتنوعت
ازاهيرها وتلونت ومعنا الكميت الشموس والسقاة الشموس والناي
الذي يطرب السامع ويلهيه ويبري كل سمع ما يشتهيه فلما اطمأن
بنا الجلوس ودارت علينا الكؤوس وغل علينا ذمر عليه طمر تجهمنا
تجهم العبد الشيب ووجدنا صفو يومنا قد شيب الا انه سلم تسليم
اولي الفهم وجلس يقتص لطائف النثر والنظم ونحن نزوي من انبساطه
ونتبرى لطي بساطه الى ان غنى شادينا المغرب ومغردنا المطرب شعر

الام سعاد لا تصلين حبلي ولا تأوين لي مما الاقي صبرت عليك حتى
عيل صبري وكادت تبلغ الروح التراقي وها انا قد عزمت على انتصاف
اساقي منه خلي ما يساقي فان وصلا الذ به فوصل وان صرما فصرم
كالطلاق قال فاستفهمنا الحائك بالمثاني لم نصب الوصل الاول
ورفع الثاني فاقسم بتربة ابويه لقد نطق بما اختار سيبويه فتشعبت
حينئذ اراء الجمع في تجويز النصب والرفع فقالت فرقة رفعهما هو
الصواب وقالت طائفة لا يجوز فيهما الا الانتصاب واستبهم على
اخرين الجواب واستعر بينهما الاصطخاب وذلك الواغل يبدي ابتسام
ذي معرفة وان لم يفه ببنت شفة حتى اذا سكنت الزماجر وصمت
المزجور والزاجر قال يا قوم انا انبئكم بتاويله واميز صحيح القول
من عليله انه ليجوز رفع الوصلين ونصبهما والمغايرة في الاعراب
بينهما وذلكم بحسب اختلاف الاضمار وتقدير المحذوف في هذا المضمار

قال ففرط من الجماعة افرط في مماراته وانخرط الى مباراته فقال اما

اذ دعوتم نزال وتلبّبتم للنضال فما كلمة هي ان شئتم حرف محبوب

او اسم لما فيه حرف حلوب واي اسم يتردد بين فرد حازم وجمع

ملازم واين هاء اذا التحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل و

اين تدخل السين فتعزل العامل من غير ان تجامل وما منصوب

ابدا على الظرف لا يخفضه سوى حرف واي مضاف اخل من عرى

الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة وما العامل

الذي يتصل آخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله واي عامل

نائبه ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر لله تعالى ذكرا واي

موطن تلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال

واين يجب حفظ المراتب على المضروب والضارب وما اسم لا يفهم

الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين وفي وضعه

الاول

الاول

التزام وفي الثاني الزام وما وصف اذا اردف بالنون نقص صاحبه

في العيون وقوّم بالدون وخرج من الزبون وتعرّض للمون فهذه ثماني

عشرة وفق عددكم وزنة لددكم ولو زدتم لزدنا وان عدتم عدنا قال

المخبر بهذه الحكاية فورد علينا من احاجيه اللاتي هالت لمّا انها

ما حارت له الافكار وحالت فلما اعجزنا العوم في بحره واستسلمنا

لسحره عدلنا عن استثقال الرؤية له الى استنزال الرواية عنه ومن نحى

التبرم به الى ابتغاء التعلم منه فقال والذي نزّل النحو في الكلام منزلة

الملح في الطعام وحجب مطالعه عن بصائر الطغام لا انلتكم مراما

ولا اشفيت لكم غراما او تخولني كل يد وتختصني كل منكم بيد فلم يبق

في الجماعة الا من اذعن لحكمه ونبذ اليه خبأة كمه فلما حصله

تحت وكائه اضرم شعلة ذكائه فكشف من اسرار الغازه وبدائع

اعجازه ما جلا به صدا الاذهان وجلى مطلعه بنور البرهان قال الراوي

فهمنا حين فهمنا وعجمنا اذا اجبنا وندمنا على ما ندمنا واخذ ناشد

البه لعنداد الاكياس وتعرض عليه ان يضلع الكاس فقال ما دوبه

خناق وشرب لا يبقى له عندي خلاق فاطلنا مراودته ووالينا معاودته

ثم شمخ بانفه صلفا ونأى بجانبه انفا وانشد   نهاني الشيب

عما فيه افراحي فكيف اجمع بين الراح والراح وهل يجوز اصطباحي

من معتقة وقد انار مشيب الراس اصباحي آليت لا خامرتني الخمر ما علقت

روحي بجسمي والفاظي بافصاحي ولا اكتست لي بكاسات السلاف يد

ولا اجلت قداحي بين اقداحي ولا صرفت الى صرف مشعشعة همي

ولا رحت مرتاحا الى راح ولا انظمت على مشمولة ابدا شملي ولا اخترت

ندمانا سوى الصاحي محا المشيب مراحي حين خط على راسي فابعض به

من كاتب ماحي ولاح يلحى على جري العنان الى ملهى فتحا له من لائح لاحي

ولو لهوت وفودي شايب لخبا بين المصابيح من غشان مصباحي

توم سجاياهم توقير ضيفهم والشيب ضيف له التوقير بالصلح ثم انه

انساب انسياب الايم واجفل اجفال الغيم فعلمت انه سراج سروج وبدر

الادب الذي يجتاب البروج وكان قصارانا التحرق لبعده والتفرق

من بعده تفسير ما اودع هذه المقامة من النكت العربية والاحاجي النحوية

اما صدر البيت الاخير عن الاغنية الذي هو فان وصلا الذ به فوصل

فانه نظير قولهم المرء مجزي بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وهذه المسئلة اورد عما

سيبويه كتابه وجوز في اعرابها اربعة اوجه احدها وهو اجودها ان

تنصب خبر الاول وترفع الثاني وتنصب شر الاول وترفع الثاني ويكون

تقديره ان كان عمله خيرا فجزاؤه خير وان كان عمله شرا فجزاؤه شر فتنصب الاول

على انه خبر كان وترفع الثاني على انه خبر مبتدا محذوف وقد حذف في

هذا الوجه كان واسمها للدلالة حرف الشرط الذي هو ان عليها ونقديرهما

وحذف ايضا المبتدا للدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه كقولهم ان ناني

نائت مكرم لانه كثيرا ما يقع بعدها والوجه الثاني ان تنصبهما جميعا ويكون
تقدير الكلام ان كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وان كان عمله شرا فهو يجزى شرا
فينتصب الاول على انه خبر كان وينتصب الثاني انتصاب المفعول به والوجه
الثالث ان ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان في عمله خير فجزاؤه
خير فترفع خير الاول على انه اسم كان وخير الثاني بانه خبر مبتدأ محذوف على ما
بين في شرح الوجه الاول وقد يجوز ان يرفع خير الاول على انه فاعل كان
وتجعل كان المقدرة هاهنا هي التامة التي تاتي بمعنى حدث ووقع فلا يحتاج
الى خبر كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ويكون التقدير في المسئلة
ان كان خير فجزاؤه خير اي ان حدث خير فجزاؤه خير والوجه الرابع وهو اضعفها
ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث وتنصب الثاني على ما بين
ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير ان كان في عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى
حسب هذا التفسير والمقدرات المحذوفات فيه يجري اعراب البيت الذي غني به

ومما

ومما ينتظم في هذا السلك قول المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف وان
خنجرا فخنجر واما الكلمة التي هي حرف محجوب او اسم لما فيه حرف حلوب فهي
نعم ان اردت بها تصديق الاخبار او العدة عند السؤال فهي حرف وان
عنيت بها الابل فهي اسم والنعم تذكر وتؤنث وتطلق على الابل اذا انفردت
وعلى كل ماشية فيها ابل وفي الابل الحرف وهي الناقة الضامرة سميت حرفا
تشبيها لها بحرف السيف وقيل انها الضخمة تشبيها له بحرف الجبل واما الاسم
المتردد بين فرد حادم وجمع ملازم فهو السراويل قال بعضهم هو جمع واحده
سروال مثل شملال وشماليل فعلى هذا القول جمع وقال بعضهم هو واحد جمعه
سراويلات فعلى هذا القول هو فرد وحكي عن ضمرة الخضر بانه حادم ومعنى قوله
ملازم اي لا ينصرف وقد اعترف فيه بانه ملازم وانما لم ينصرف هذا النوع
من الجمع وهو كل جمع ثالثه الف بعدها حرف مشدد او حرفان او ثلاثة احرف
لثقله وتفرده دون غيره من الجموع بان لا نظير له في الاسماء الآحاد وانما

الهاء التي اذا التحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل فهي الهاء اللاحقة بالجمع المقدّم
ذكره كقولك صيارفة وصياقلة فينصرف هذا الجمع عند لحاق الهاء به لانها
قد اضافته الى مثال الاحاد نحو دواهية وكراهية فخفّ لهذا السبب وصرف
لهذه العلة وقد كنّى في هذه الاحجية عمّا لا ينصرف بالمعتقل كما كنّى في
التي قبلها عمّا لا ينصرف بالملازم واما السين التي تعزل العامل من غير ان
تجامل فهي السين التي تدخل على الفعل المستقبل وتفصل بينه وبين ان التي
كانت قبل دخولها من ادوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل ان عن
كونها الناصبة للفعل الى ان تصير المخففة من الثقيلة وذلك كقوله تعالى
علم ان سيكون منكم مرضى وتقديره علم انه سيكون واما المنصوب على الظرف
الذي لا يخفضه سوى حرف فهو عند ولا يجره من حروف الجر غير من خاصة
واما قول العامة ذهبت الى عنده فلحن واما المضاف الذي اخلّ من عرى
الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة فهو لدن ولدن من الاسما

الملازمة

الملازمة للاضافة وكلما يأتي بعدها مجرور بها الا غدوة فان العرب
نصبتها بلدن لكثرة استعمالها اياها في الكلام ثم نونتها ايضا لتبين
بذلك انها منصوبة على الظرف لا انها من نوع المجرورات التي لا تنصرف
وعند بعض النحويين ان لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا
وهو ان عند يشتمل معناها على ما ملكته ومكنته مما دنا منك
وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك واما
العامل الذي يتصل آخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا
ومعكوسها اي وكلتاهما من حروف النداء وعملهما في الاسم المنادى
سيان وان كانت يا اجول في الكلام واكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم
ان ينادى باي القريب فقط كالهمزة واما العامل الذي نائبه اوجب
منه وكرا واعظم مكرا واكثر لله تعالى ذكرا فانه باء القسم وهذه البا
هي اصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك اقسم

بالله ولدخولها ايضا على المضمر كقولك بك لافعلن ثم ابدلت الواو منها
في القسم لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معناهما لان الواو
تفيد الجمع والباء تفيد الالصاق والمعنيان متقاربان ثم صارت الواو
المبدلة من الباء ادور في الكلام واعلق بالاقسام ولهذا اغرى بها
اكثر بالله ذكرا ثم ان الواو اكثر موطنا من الباء لان الباء لا تدخل الا
على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة
بالقسم وتارة باضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل وادوات العطف
كما في قوله تعالى ويعفوا عن كثير ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ولهذا
وصفها برحب الوكر وعظم المكر واما الموطن الذي يلتبس فيه الذكران
بربات النسوان وتبرز ربات الحجال بعمايم الرجال فهو اول مراتب العدد المضاف
وذلك ما بين الثلثة الى العشرة فانه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث
بحذفها كقوله تعالى وسخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام والهاء في غير

هذا الموطن من خصايص المؤنث كقولك قايم وقايمة وعالم وعالمة فقد
رايت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما
في ضد قالبه وبرز في بزة صاحبه واما الموضع الذي يجب فيه حفظ
المراتب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول فيتعذر
ظهور علامة الاعراب فيهما او احدهما وذلك اذا كانا مقصورين مثل عيسى
وموسى او من الاسماء الاشارة نحو ذا وهذا فيجب لازالة اللبس اقرار كل
منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتاخره واما
الاسم الذي لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصاد منه على حرفين
فهو مهما وفيها قولان احدهما انها مركبة من مه التي هي بمعنى اكفف ومن ما
والقول الثاني وهو الصحيح ان الاصل فيها ما فزيدت عليها ما اخرى كما زيد
ما على ان فصار لفظها ماما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فابدلوا
من الالف الاولى هاء فصار مهما ومهما من ادوات الشرط والجزاء وموقع لفظ

بها لم يتم الكلام ولا يعقل المعنى الا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل افعل
وتكون ملزمًا للفعل فان انصرف على حرفين وهما مه التي بمعنى اكفف
فهم المعنى وكنت ملزمًا من خاطبته ان يكف واما الوصف الذي اذا اردف
بالنون نقص صاحبه في العيون وقوّم بالدون وخرج من الزبون وتعرّض
للهون فهو ضيف اذا لحقته النون استحال الى ضيفن وهو الذي يتبع الضيف
ويتنفل في التقدمة المقامة الخامسة والعشرون وتعرف بالكرجية حكى الحارث بن همام
قال شتوت بالكرج لدين اقتضيه وارب اقضيه فبلوت من شتائها
الكالح وصرّها النافح ما عرّفني جهد البلاء وعكفني على الاصطلاء
فلم اكن ازايل وجاري ومستوقد ناري الا لضرورة ادفع اليها او
اقامة جماعة احافظ عليها فاضطررت في يوم جوّه مزمهرّ ودجنه
مكفهرّ الى ان برزت من كناسي لمهمّ عناني فاذا شيخ عاري الجلدة
بادي الجردة قد اعتمّ بريطة واستثفر بفوطة وحواليه جمع كثيف الحواشي

وهو

وهو ينشد ولا يحاشي   يا قوم لا ينبئكم عن فقري اصدق من عريي
او ان الفقر فاعتبروا بما بدا من ضري   باطن حالي وخفيّ امري وحاذروا
انقلاب سلم الدهر فانني كنت نبيه القدر اوي الى وفر وحدّ يفري
نفيد صفري ونبيذ سمري وتشتكي كومي غداة اقري فجرّد الدهر
سيوف الغدر ومشّ غارات الرزايا الغبر ولم يزل يسحتني ويبري حتى
عفت داري وغاض درّي وبار شعري في الورى وشعري وصرت
نضو فاقة وعسر عاري المطا مجرّدا من قشري كانني المغزل في التعرّي
لا دفء لي في الصنّ والصنبر غير التضحي واصطلاء الجمر فهل خضم ذو ندى
غمر يسترني بمطرف او طمر طلاب وجه الله لا لشكري ثم قال يا اولي
الثراء الرافلين في الفراء من اوتي خيرًا فلينفق ومن استطاع ان يرفق
فليرفق فان الدنيا غدور والدهر عثور والمكنة زورة طيف والفرصة
مزنة صيف واني والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته واعددت

لا أهبَ له قبل موافاته وها أنا اليوم بادي ساعدي وبادي ولدي
بُردتي وحفوتي جُنّتي فليعتبر العاقل بحالي وليبادر صرفَ الليالي فإنّ
السعيد من اتّعظ بسواه واستعدّ لمسراه فقيل له قد جلوت علينا أدبك
فاجل لنا نسبك فقال تبّاً للمفتخر بعظمٍ نخرٍ إنما الفخر بالتقى والأدب
المستقى ثم أنشد لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلّى يومه
لا ابن أمسه وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه
ثم إنه جلس محقوقفاً واجرنثم مقفقفاً وقال اللهم يا من عمر بنواله
وأمر بسؤاله صلّ على محمد وآله وأعنّي على البرد وأهواله وأتح لي حرّاً
يؤثر من خصاصة ويواسي ولو بقصاصة قال الراوي فلما جلّى عن
النفس العصامية والملح الأصمعية جعلت عيني تنجمه ومرامي لحظي
ترجمه حتى استبنت أنه أبو زيد وأنّ تغرّبه أحبولة صيد ولم يهُ
أنّ عرفني فادّكر ولم يأمن أن يهتكه فقال أقسم بالسمر والقمر

والزُّهر والزَّهر إنه لن يسترني إلا من طاب خيمه وأُشرب ماء المروءة
أديمه فعقلت ما عناه وإن لم يبد القوم معناه وساءني ما عاينته
من الرعدة واقشعرار الجلدة فعمدت لفروة هي بالنهار دثاري وفي الليل
فراشي فنضوتها عني وقلت له اقبلها مني فما كذب أن افتراها
وعيني تراها ثم أنشد شعرا لله من ألبسني فروة أضحت من الرعدة لي جُنّة
ألبسنيها واقياً مهجتي وقي شرّ الإنس والجِنّة سيكتسي اليوم ثناي وفي
غدٍ سيكسى سندس الجنة قال فلما فتن قلوب الجماعة بافتنانه في العزّ
ألقوا عليه من الفراء المغشاة والجباب الموشاة ما آده ثقله ولم يكد
يقلّه فانطلق متبشّراً بالفرج متشفّياً للكرج وتبعته إلى حيث
ارتفعت التقية وبدت السماء نقية فقلت له لشدّ ما قرسك
البرد فلا تغترّ من بعد فقال ويك ليس من العدل سرعة العذل فلا
تعجل بلوم هو ظلم ولا تقف ما ليس لك به علم فوالذي نوّر الشيبة

وطيب نشر طيبة لو لم افرط لحت بالخيبة وصفر العيبة ثم نزع
الى الفرار وتبرقع بالاكفهرار وقال اما تعلم ان شنشنتي الانتقال
من صيد الى صيد والانعطاف من عمرو الى زيد واراك قد عففتني
وعققتني وصددتني وافنيت اضعاف ما اهديتني فاعفني عافاك الله
تعالى من لغوك واسدد [illegible]ني باب جدك ولهوك فجبذته جبذ
الثلعابة وجعجعت به للدعابة وقلت له والله لو لم اوارك واغط
على عوارك لما وصلت الى صلة ولا انقلبت اكسى من بصلة فجازني
عن احساني اليك وستري لك وعلك بان تسمح لي برد الفروة
او تعرفني كافات الشتوة فنظر الي نظر المتعجب وازمهر ازمهرار المتغضب
ثم قال اما رد الفروة فابعد من رد امس الذاهب واللبن الغائب واما
كافات الشتوة فسبحان من طبع على ذهنك واوهى وعاء خزنك حتى
انسيت ما انشدتك بالدسكرة لابن سكرة جاء الشتاء وعندي من

حوائجهم

حوائجه سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا كن وكيس وكانون وكاس طلا بعد
الكباب وكس ناعم وكسا ثم قال الجواب يغني خير من جلباب يدني فاكفف
بما وعيت وانكفئ من حيث اتيت ففارقته وقد ذهبت فروتي
لشقوتي وحصلت على الرعدة طول شتوتي

المقامة السادسة والعشرون الرقطاء

حكى الحارث بن همام قال حللت سويقة الاهواز لابسا حلة الاعواز
فلبثت فيها مدة اكابد شدة وازجي اياما مسودة الى ان رايت نماء
المقام من عوادي الانغام فرمقتها بعين القالي وفارقتها مفارقة
الطلل البالي وظعنت عن وشلها اكتنز الازواد واكظا الى المياه الغزار
حتى اذا امرت سهام رحلتين وبعدت عن ساحري ليلتين تراءت لي خيمة
مضروبة ونار منشوبة فقلت ايتها العلى انفع صدى او اجد على النار
هدى فلما انتهيت الى ظل الخيمة رايت غلمة روقة وشارة مرموقة
وشيخا عليه ابهة سنية ولديه فاكهة جنية فحييته ثم تحاميته

فضحك اليّ واحسن الردّ عليّ وقال ألا تجلس الى من تتوق فاكهته و
تتوق مفاكهته فجلست لاغتنام محاضرته لا لالتهام ما يحضره
فحين سفر عن ادابه وكشر عن انيابه عرفت انه ابو زيد بجنس ملحه
وفتح فلجه فغادر فلاح وحفت بي فرحتان ساعتئذ ولم ادر بايهما
انا اصفى فرحا واوفى مرحا أبإسفاره من دجنة اسفاره ام بخصب
رحاله بعد امحاله وتاقت نفسي الى ان افض ختم سره وابطن داعية
تبره فقلت له من اين ايابك والى اين انسيابك وبما امتلأت
عيابك فقال اما المقدم فمن طوس واما المقصد فالى السوس واما
الجدة التي اصبتها فمن رسالة اقتضبتها فسألته ان يعيرني حلته
وتبرد علي رسالته فقال دون مرامك حرب السوس او تصحبني
الى السوس فصاحبته اليها قهرا وعكفت بها عليه شهرا وهو يعللني
كاسات التعليل ويجرني اعنة التأميل حتى اذا احرج صدري وعيل

صبري

صبري قلت له انه لم يبق لك علة ولا في المقام تعلة وفي غد ازجر
غراب البين وارحل عنك بخفي حنين فقال حاش لله ان اخلفك
او اخالفك وما ارجأت ان احدثك الا لالبثك واذا كنت قد
استربت بعدتي واغراك ظن السوء بمباعدتي فاصخ لقصص سيرتي
الممتدة واضفها الى اخبار الفرج بعد الشدة فقلت له هات
فما اطول طيلك واهول حيلك فقال اعلم ان الدهر العبوس الفاني
الى طوس وانا يومئذ فقير وقير لا ابل لي ولا بقير فالجاني الصفر الذي
الى التطوق بالدين فادنت لسوء الاتفاق ممن هو عسر الاخلاق
ونهمت لسيء النفاق فتوسعت في الانفاق فما افقت حتى تقاضى
دين لزمني حقه ولازمني مستحقه فحزبني امري واطلعت غريمي
على عسري فلم يصدق املاقي ولا نزع عن ارهاقي بل جد في التقاضي
ولج في اقتيادي الى القاضي وكلما خضعت تهيبا لكلامه واستنزلت منه

رفق الكرام ورغبته في أن ينظر لي بمياسرة او ينظرني الى ميسرة فقال لي
لا تطمع في الانظار واحجان النضار فوحقك ما ارى ما لك
الخلاص او تبيع سبائك الخلاص فلما رايت احتداد لدده وان
لا مناص لي من يده شاغبته ثم واثبته ليرافعني الى والي الجرائم الا الى
الحاكم في المظالم لما كان بلغني من افضال الوالي وفضله وتشدده القاضي
وتجلّه فلما حضرنا باب امير طوس الفيت ان لا باس ولا بوس فاستدعيت
دواة وبيضاء وانشات اليه رسالة رقطاء وهي اخلاق سيدنا
تحب وبعقوته يلب وقربه تحف ونايه تلف وخلته نسب
وقطيعته نصب وغربه ذلق وشهبه تالق وظلفه زان وقويم
نهجه بان وذهنه قلب وجرب ونغبه شرق وغرب سيد
قلب سوف مبر فطن مغرب عزوف عيوف مخلف متلف اغر ند
نابه فاصل ذكي انوف مفلق ان ابان طب اذا ناب هياج وجل

خطب

خطب مخوف مناظم شرفه تالف وشؤبوب حبائه يكف ونائل
يديه فاض وشح قلبه غاض وخلف تخايله يخلب وذهب عبابه
يحزب من لف لفه فلج وغلب وتاجر بابه حلب وخلب كف عن
هضم بري وبري من دنس غوي وقرن لبانه بعز ونكب عن
مذهب كل لبس ونوّاب عند لهزة شر بل يعف عفة بر فلذ ليحب
ويستحق عفافه شغفا به فلبابه خلاب اخلاقه غرر وفوقه
فوق اذا ناضلته غلاب سيح لهش ودو تلاف ان هفا خل فلبس
بجفه بر ثاب لا باخل بل باذل لحرف اذا اعتر بر لا بكليه باب
ان عض ازل فل غرب عضاضه بمنابر فانحت منه ناب وجذ
بمن لب وفطن وقرب وشطن ان ادعن لقريع دمن وجابر من
مذ دضع ندى لبانه حضر بافاضته لهنانه نغش وفرج وصافر
فابهج ونافر فازعج وفا وبحق ابلج اتعب من بسلى وقرظ اذ هز وبلى

ووقح صفاته بحب عفاته فلا اخلاه ذا لهجة يمدّ طلّ حضره فانه بزين
البس ضوء شهبه زان مزايا طرفه يلبس خوف ربه فليمن سيدنا
فوّن بمفاخرتنا تلك وجلت وقوته بصنائع تمت ونمت وبلائم
فرب حضن بزّ غوث رفقه يحط من حظوته فانه تليد ندب وشريد
جدب وجريح نوب ارثت وناظم قلائد تشترب اذا جاش لخطب فلا
يوجد قائل ثم قس ثم باقل فان حبر قلت حبر قد نمت وخلت دنيا
قد نمت هذا ثم شرّ مرض وقوته قرض وقلقه عشق وجلباب خلق
وقد قلق لتوعر غريم غاشم كتيجته يجني لازم فان من سيدنا بكفه
لهبات كفه توشح بمجد فاق وباء باجر فكم من وثاق لا اخلت بجا
خلقه نزفد شايم بر فرب من دبّ اذ لجّ ابدى قال فلما استشف
الامير لالئها ولمح السرّ المودع فيها اوعز في الحال بقضاء ديني وفضل
ما بين خصمي وبيني ثم استخلصني لمكاثرته واختصني باثرته فلبثت بضع

سنين انعم في نعيم ضيافته وارتع في ريف رافته حتى اذا غربت مواهبه
واطال ذيلي ذهبه تلطفت في الارتحال على ما بي من حسن
الحال قال فقلت له شكرا لمن اتاح لك لقيان السمح الكريم وانقذك
بي من ضغطة الغريم فقال الحمد لله على سعادة الجد والخلوص
من الخصم الالد ثم قال ايما احب اليك ان احذيك من العطاء
ام اتحفك بالرسالة الرقطاء قلت املاء الرسالة احب الي
فقال وحقك اخف علي فان نحلة ما يلج في الاذان اهون من نحلة
ما يخرج من الاردان ثم كانه انف واستحيى فجمع لي بين الرسالة والحذيا
فغرت منه بغنيمتين وفصلت عنه بغنميين فابت الى وطني قرير
العين بما حزت من الرسالة والعين

المقامة السابعة والعشرون وتعرف بالبدوية

حكى الحارث بن همام قال ملت في ريق زماني الذي غبر الى مجاورة
اهل الوبر لآخذ اخذ نفوسهم الابية والسنتهم العربية فثمرت

تشمّر من لا يألو جهدًا وجعلتُ أضربُ في الأرض غورًا ونجدًا الى أن
اقتنيتُ هجمةً من الراغية وثلّةً من الثاغية ثمّ أويتُ الى عربٍ
أرداف أقيالٍ وأبناء أقوالٍ فأوطنوني أمنع جنابٍ وفلّوا عنّي حدّ
كلّ نابٍ فما نابني عندهم همٌّ ولا قرع صفاتي سهمٌ الى أن أضللتُ
في ليلةٍ منيرة البدر لقحةً غزيرة الدرّ فلم أطب نفسًا بإلغاء طلبها
وإلقاء حبلها على غاربها فامتطيتُ فرسًا محضارًا واعتقلتُ لدنًا
خطّارًا وسريتُ ليلتي جمعاء أجوب البيداء وأقري كلّ شجراء ومرداء الى
نشر الصبح ذوائبه وحيعل الداعي فنزلتُ عن متن الركوبة لأداء المكتوبة
ثمّ جلتُ في صهوتها وفررتُ من شحوتها وسرتُ لا أرى أثرًا الا قفوته
ولا نشزًا الا علوته ولا واديًا الا أجزته ولا راكبًا الا استطلعته
وجدّي مع ذلك يذهب هدرًا ولا أجد ودّه صدرًا الى أن حميت
صكّة عُمَيّ ولفح هجيرٍ يذهل غيلان عن ميّ وكان يومًا أطول من ظلّ

القناة

القناة وأحرّ من دمع المقلاة فأيقنتُ أنّي إن لم أستكنّ من الوقدة و
أستجمّ بالرقدة أدنفني اللغوب وعلقت بي شعوب فعجتُ الى سرحةٍ كثيفة
الأغصان وريقة الأفنان لأغوّر تحتها الى المغربان فوالله ما استراح
نفسي ولا استراح فرسي حتى نظرتُ الى سانحٍ في هيئة سائحٍ وهو ينتحي نحوي
ويشتدّ الى بقعتي فكرهتُ انتحاءه الى مناخي واستعذتُ بالله من شرّ
كلّ مفاجئٍ ثمّ ترجّيتُ أن يصدق منشدًا أو يشتبه مرشدًا فلمّا اقترب
من سرحتي وكاد يحلّ بساحتي ألفيته شيخنا السروجي متّشحًا بجرابه ومضطبنًا
أهبته بجوابه فأنساني إذ ورد وأنساني ما شرد ثمّ استوضحته من أين نجع
وكيف عُجَره وبُجَره فأنشد بديهًا ولم يقل إلهًا قل لمستطلع دخلة
أمري لك عندي كرامة وعزازة أنا ما بين جوب أرضٍ فأرضٍ وسرى
في مفازةٍ فمفازة زادي الصبر والمطيّة نعلي وجهازي الجراب والعكاز
فإذا ما هبطتُ مصرًا فبيتي غرفة الخان والنديم جرازة ليس لي ما أساء إن فات

أحزن إن حاول الزمان اهتضامه غير أني أبيت خلواً من الهم وتغنيني عن
الأسى سخانة أرقد الليل ملء جفني وقلبي بارد من حرارة وحزازة لا أبالي
من أي كأس تفوقت ولا ما حلاوة من مرارة لا ولا أستحيي أن أحمل
الذل مجاناً إلى نسب إجانة وإذا مطلب كسا حلة العار فبعداً لمن يروم
نجاحه ومتى اهتز للدناءة نكس عاف طبعي طباعه واهتزازه فالمنايا
ولا الدنايا وخير من ركوب الجنازة ثم دفع إلى طرفه وقال لأمر ما
جدع قصير أنفه فأخبرته خبرنا في البارحة وما عانيته في يومي و
البارحة فقال دع الالتفات إلى ما فات والطماح إلى ما طاح ولا تأس
على ما ذهب ولو أنه وادٍ من ذهب ولا تستمل من مال عن ودك
ولو كان ابن بوحك أو شقيق روحك ثم قال هل لك في أن تقيل
وتتحامى القال والقيل فإن الأبدان أنضاء تعب والهواجر ذات لهب
ولن يصقل الخاطر ويبسط الفاتر كقائلة الهواجر خصوصاً في شهري

ناجر

ناجر فقلت ذاك إليك وما أريد أن أشق عليك فافترش التراب
واضطجع وأظهر أن قد هجع وارتقبت على أن أحرس ولا أغفي وآخذ
السنة لما رمت لا السنة فلم أغف إلا والليل قد ولّى والنجم قد تدلّى
ولا التروح ولا المرح فبت بليلة نابغية وأحزان يعقوبية
أساور الوجوم وأسامر النجوم أفكر تارة في رحلتي وأخرى في وجهتي
إلى أن وضح لي عند افترار ثغر الضوء وحسر الجو راكب يخد في
الدو فألمعت إليه بثوبي ورجوت أن يعرج إلى صوبي فلم يعبأ
بالماعي ولا أوى لإلماعي بل سار على هينته وأصماني بسهم
إهانته فأوفضت إليه لأستردفه وأحتمل تغطرفه فلما أدركته
بعد الأين وأجلت فيه مسرح العين وجدته فتى مطيته وضالتي
لقطته فما كذبت أن أدرجته عن سنامها وجاذبته طرف زمامها
وقلت أنا صاحبها ومضلها ولي رسلها ونسلها فلا تكن كأشعب

فتشعب وتشعب واخذ يلدغ ويصيء ويتنفخ ولا ينتهي وبيننا هو بين زو
بلبن ويتاسد ويتبكين اذ غشينا ابو زيد لابسا جلد النمر وهاجما
هجوم السيل المنهمر فخفت والله ان يكون يومه كامسه وبدء مثل
شمسه فالحق بالقانطين واصير خبرا بعد عين فلم ار الا ان اذكره
العهود المنسية والفعلة الامسية وناشدته الله اوافى اليوم للثار
ام لما فيه ايلافي فقال معاذ الله ان اجهز على مكلومي او اصل جرح
كلومي بل واتيتك لاخبرك بحالك واكون يمينا لشمالك فكن
عند ذلك جاشي وانجاب استيحاشي واطلعته طلع اللقحة ونبرقع صا
بالفحة فنظر اليه نظر العربية الى الغربية ثم اشرع قبله الرمح واقسم
له بمن انار الصبح لميخ منجا الذباب ويرض من العنبر بالاياب كبو
سنانه ودنيه ولبعض به ولبده وودنه فنبذ زمام الناقة وجا
وانثنت ولها حصاص فقال لي ابو زيد تسلمها وتسمها فانها احدى

الحسنين

الحسنين ووبيل اهون من وبيلين قال الحارث بن همام فجرت بين
لوم ابي زيد وشكره وذبت بغيه بضره فكانه توحى بذات صدري
او تكهن ما خامر سري فقابلني بوجه طليق وانشد بلسان ذليق
يا اخي الحامل ضيمي دون اخواني وقومي ان يكن ساءك امسي فلقد
سرك يومي فاغتفر ذا لهذا واطرح شكري ولومي ثم قال انا شق
وانت ميق فكيف نفترق ثم ولى يفري اديم الارض ويركض طرفه
ايما ركض فما عدوت ان اقتعدت مطيتي وعدت لطيتي حتى وصلت
الى حلتي بعد اللتيا والتي تفسير ما اودع في هذه المقامة من الالفاظ اللغوية
والامثال العربية قوله ربق زماني يعني اوله ودابغه وقد يخفف فيق
ربق وقوله اخذ بفوسهم يعني اخذ بهم يق منه اخذ اخذهم وا
بكسر الهمزة وفتحها والهجمة نحو المائة من الابل والثلثة القطيع من الغنم
والراغية الابل والثاغية الشاة ومنه قولهم ما له راغية ولا ثاغية

اى لا نافرة ولا شاة قوله ارداف اقيال اى يخلفون الملوك اذا غابوا وقوله ابنا
اقوال اى فصحاء يقال للمنطيق انه ابن اقوال وقوله قد اثرت فرسا محضادا
الاثارة الوثوب على ظهر الفرس والمحضاد والمحضير الشديد العدو مأخوذ من الحضر
وهو العدو وقوله افرى كل شجراء ومرداء الافراء قطع الارض والشجراء ذات الشجر
والمرداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق الامرد لخلو وجهه من الشعر وقوله
حيعل الداعي الى صلواته يعني به قول المؤذن حي على الصلوة حي على الفلاح
والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة والحوقلة والحمدلة
والجعفلة والبسملة والحسبلة والسبحلة فالهيللة حكاية قوله لا اله الا الله
والحمدلة حكاية قوله الحمد لله والحوقلة حكاية قوله لا حول ولا قوة الا بالله
والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة حكاية قول حسبنا الله والسبحلة حكاية
قول سبحان الله والجعفلة حكاية قول جعلت فداك قوله فنزلت عن متن الكوم
يعني المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبهم

والصهوة

والصهوة مقعد الفارس من ظهر الفرس والشهوة الخطوة والجزع قطع الوادي
عرضا وقوله صكة عمي يعني به قائم الظهيرة واختلف في اصله فقيل كان
عمي رجلا مغوارا فغزا قوما عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار
مثلا لكل من جاء في ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لانه يسدر في الهواجر
فيصطك بما يستقبله كاستكاك الاعمى ثم صغر الاعمى تصغير الترخيم فقيل
عمي كما صغر واسود وازهر فقيل سويد وزهير وقوله وكان يوما اطول من ظل
القناة يوصف الليل الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بابهام
القطاة وابهام الحبارى والعرب تزعم ان ظل الرمح اطول ظل ومنه قول
الشاعر ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر قوله احر
من دمع المقلاة المقلاة هي التي لا يعيش لها ولد فدمعها ابدا حار لحزنها على
ولدها لانه يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل
للمدعو له اقر الله عينك مأخوذ من القر وهو البرد وقيل للمدعو عليه اسخن الله

عينه ماخوذ من السخنة وهي الحرارة وقيل ان اقرار العين ماخوذ من القرار فكانه
دعا له ان يرزق ما تقر عينه حتى لا يطمح الى ما لغيره وكانت الجاهلية تزعم
ان المقلاة اذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها والى هذا اشار بشر بن
ابي خازم في قوله تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن الا يلقى على المرء مئزر
وقوله علقت بي شعوب يعني المنية ولا يدخل على هذا الاسم اداة التعريف
مثل دجلة وعرفة وقوله اغور تحتها الى المغيربان التغوير النزول
للقائلة كما ان التعريس النزول آخر الليل للتهويم والاستراحة والمغيربان
تصغير المغرب وكان قياس تصغيره مغيرب الا ان العرب الحقت آخره الفا
ونونا على طريق الشذوذ وقوله مضطبنا اهب تحوله والاضطبان ان تجعله
تحت ضبنه والاحتضان ان تحمل الشيء تحت حضنه والضبن ما بين الابط
والكشح واول مراتب الحمل الابط ثم الضبن وهو اسفل الابط ثم الحضن
وهو عند الجنب والتجواب مصدر جاب وجميع المصادر التي جاءت على

ووزن تفعال هي بفتح التاء الا قولهم تبيان وتلقاء لا غير وقوله عجري وبجري
يريد به جميع امري الظاهر والباطن واصل العجر العقد الناشئة في العصب
والبجر العقد الناتئة في البطن وقوله ولم يقل ابها اي لم يأمرني بالكف
يقال للمزدرى به ولمن يستنكف ابها وقوله لامر ما جدع قصير انفه هذا قصير
مولى جذيمة الابرش وكان جدع انفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم اتاها
واوهمها ان عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة هو الذي جدع انفه اتهاما له
بانه غش خاله جذيمة اذ اشار عليه بقصدها فحظي بهذا القول عندها
حتى جهزته مرارا الى العراق فكان يأتيها بالطرف منه الى ان استصحب في
آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه
منها وقصته مشهورة وقوله ولو كان ابن بوح يعني ولد الصلب
اشارة الى انه ولد في باحة الدار وهي عرصتها وجمعها بوح وقيل ان
البوح من اسماء الذكر وقوله في شهري ناجرها شهري الحر وقيل انما

حزيران وتموز وانكر ابو بكر محمد بن دريد هذا القول وقال الطلوع النجمين وقوله
بتّ بليلة نابغيّة اومى بها الى قول النابغة فبتّ كانّي ساورتني ضئيلة
من الرقش في انيابها السمّ ناقع وقوله المعت اليه بثوبي يعني اشرت اليه به
منه المع ولمع بمعنى وقوله يلدغ ويصئي هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو
صأت العقرب تصئي صئيا وصئيا بفتح الصاد وكسرها اذا صوّتت وكان
الفرح وما احسن قول ابن الرومي في هذا المعنى تشكى المحبّ وتشكو وهي ظالمة
كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان وقوله ينزو ويلين هذا المثل يضرب
لمن يتعزّز ثمّ يذلّ ويقال انّ اصله انّ الجدي ينزو وهو صغير فاذا
كبر لان وقوله لابسا جلد النمر هذا المثل يضرب للمتنمّر الجري لانّ النمر اجرى
سبع واقلّه احتمالا للضيم ومن هذا اشتقاق قولهم تنمّر اي صار مثل النمر
وقوله فالحق بالقارظين الاصل في القارظ انه الذي يجني القرظ وهو النبات
المدبوغ به والقارظان المشار اليهما احدهما من عنزة والآخر من النمر بن قاسط

وكانا

وكانا خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكلّ
غائب لا يرجى ايابه واليهما اشار ابو ذؤيب في قوله وحتى يؤوب القارظان
كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل وقوله الغلّة الآمسيّة هذا من شواذ
النسب لانّ القياس ان يقال في النسب الى امس امسيّ بفتح الهمزة وقد كسرها هنا
في النسب وقوله حرورية تسمو مع الحرور والريح الحارّة ليلا والسموم الريح الحارّة
نهارا وقد يقام احديهما مقام الاخرى مجازا وقوله ليث العرينة يعني مأوى
السبع ويقال منه عرين وعرينة باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة
وعرين وعرينة فامّا الغيل والخيس فلم يلحقوهما الهاء وقوله افلت وله
حصاص هذا المثل يضرب لمن نجى من هلكة اشفى عليها وكاد يهوي فيها
والحصاص العدو وقيل انه الضراط وقوله ويل اهون من ويلين هذا المثل
يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول الشاعر اهون من بعض
وقوله انا تئق وانت مئق فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافرين في الخلق

فانّ الثئى هو الممتلى غيظا ماخوذ من قولهم اثأت الاناء اذا ملأته والمئق
هو الباكى فكان الثئى ينزع الى الشرّ لغيظه والمئق يضيق ذرعا باحتماله ومثله
قول بعضهم انا تئق وانت مئق فكيف نأتلف وقوله لطيّتي يعنى
لقصدى ووجهتى وقد يقال فيها طيبى بالتخفيف وقوله بعد اللتيا والتى اللتيا
تصغير التى وهو على غير قياس التصغير المطّرد لانّ القياس ان يضمّ اوّل الاسم اذا
صغّر وقد اقرّ هذا الاسم على فتحته الاصليّة عند تصغيره الّا انّ العرب عوّضته
عن ضمّ اوّله بان زادت الفا فى آخره واجريت اسماء الاشارة عند تصغيرها
على حكمه فقالت فى تصغير الذى والتى اللذيّا واللتيّا وفى تصغير ذا وذاك ذيّا
وذيّاك وقد اختلف فى معنى قولهم بعد اللتيا والتى فقيل هما من اسماء الداهية
وقيل المراد بها صغير المكروه وكبيره المقامة الثامنة والعشرون وتعرف بالسمرقندية حكى الحارث
بن همّام قال اشخصت فى بعض اسفارى الى سمرقند
وكنت يومئذ قويم النشاط حموم النشاط ارمى قوس المرح الى غرض الافراح

واستعين

واستعين بماء الشباب على ملاح الاتراب فوافيتها بكرة عروبة بعد ان
كابدت الصعوبة فنعت وما ونيت الى ان حصّلت البيت فلمّا نقلت
اليه بقدى وملكت قفل عيدى عجت الى الحمّام على الاثر فاماطت عنى
وعثاء السفر واخذت فى غسل الجمعة بالاثر ثمّ بادرت فى هيئة الخاشع
الى مسجدها الجامع لالحق بمن يقرب من الامام ويقرّب افضل الانعام
فخطبت بان حلبت فى الحلبة وتخيّرت المركز لاستماع الخطبة ولم يزل
الناس يدخلون فى دين الله افواجا ويردون فرادى وازواجا حتّى اذا اكتظّ
الجامع بحفله واظلّ تساوى الشخص وظلّه برز الخطيب فى اهبته متمايلا
خلف عصبته فارتقى فى منبر الدعوة الى ان مثل بالذروة فسلّم مشيرا
باليمين وجلس حتّى ختم نظم التاذين ثمّ قام وقال الحمد لله الممدوح
الاسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعوّ لحسم اللأواء مالك الامم
ومصوّر الرمم واهل السماح والكرم ومهلك عاد وارم ادرك كلّ سرّ علمه

ووسع كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد كل مارد حوله احمده حمد
موحد مسلم وادعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا اله الا هو الواحد
الاحد العادل الصمد لا ولد له ولا والد له ولا رده معه ولا مساعد ارسل
محمدا صلى الله عليه وآله للاسلام ممهدا وللملة موطدا ولادلة الرسل
مؤكدا وللاسود والاحمر مسددا وصل الارحام وعلم الاحكام ووسم
الحلال والحرام ورسم الاحلال والاحرام كرم الله محله وكمل الصلوات
والسلام له ورحم آله الكرماء واهله الرحماء ما همر ركام وهدر حمام وسرح
سوام وسطا حسام اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا لمعادكم
كدح الاصحاء واردعوا اهواءكم ردع الاعداء واعدوا الرحلة اعداد
السعداء وادرعوا حلل الورع وداووا علل الطمع وسووا اود العمل
وعاصوا وساوس الامل وصوروا لاوهامكم حوول الاحوال وحلول
الاهوال ومساورة الاعلال ومصارمة المال والآل وادكروا الحمام

وسكرة

وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد ووحدة مودعه و
الملك وروعة سؤاله ومطلعه والمحوا الدهر ولؤم كره وسوء مخاله
ومكره كم طمس معلما وامر مطعما وطحطح عرمرما ودمر ملكا مكرما
همه سك المسامع وسح المدامع واكداء المطامع وارداء المسمع والسامع
عم حكمه الملوك والرعاع والمسود والمطاع والمحسود والحساد والاساد الاساود و
ما مول الا مال وعكس الآمال ولا وصل الا وصال وكلم الاوصال
ولا سر الا وساء ولؤم واساء ولا اصح الا ولد الداء وروع الاوداء
الله الله رعاكم الله الام مداومة اللهو ومواصلة السهو وطول
الاصرار وحمل الاصار واطراح كلام الحكماء ومعاصاة اله السماء
اما الهرم حصادكم واللحد مهادكم اما الحمام مدرككم والصراط
مسلككم اما الساعر موعدكم والساهرة موردكم اما اهوال الطامة
مرصدكم اما دار العصاة الحطمة الموصدة حاديهم مالك ووردهم

خالق وطغا بهم السموم وهواؤهم السموم لا مال اسعدهم ولا ولد

ولا عدد حماهم ولا عدد الا رحم الله امرأ ملك هواه وام مسالك

هداه واحكم طاعة مولاه وكد لروح مأواه وعمل ما دام العمر مطاوعا

والدهر موادعا والصحة كاملة والسلامة حاصلة والا دهمه

عدم المرام وحصر الكلام والمام الالام وحموم الحمام وهدو الحواس

ومراس الارماس اها لها حسرة مؤكدة وامدها سرمد ومداوسها المها

مكمد ما لواهه حاسم ولا لسدمه راحم ولا له مما عراه عاصم الهمكم

الله احمد الالهام ورداكم رداء الاكرام واحلكم دار السلام واساله

الرحمة ولاهل ملة الاسلام وهو اسمح الكرام والمسلم والسلام قال

الحارث بن همام فلما رايت الخطبة نخبة بلا سقط وعروسا بغير نقط

دعاني الاعجاب بنمطها العجيب الى استجلاء وجه الخطيب فاخذت

اتوسمه جدا واقلب الطرف فيه مجدا الى ان وضح لي بصدق العلامات

انه

انه شيخنا ذو المقامات ولم يكن بد من الصمت في ذلك الوقت فامسكت

حتى تحلل من الفرض وحل الانتشار في الارض ثم واجهت تلقاءه

وابتدرت لقاءه فلما لحظني في القيام وحفى في الاكرام ثم استصحبني

الى داره واودعني خصائص اسراره وحين انتشر جناح الظلام وحان

ميقات المنام احضر اباريق المدام مختومة بالفدام فقلت اتحسوها

امام النوم وانت امام القوم فقال مه انا بالنهار خطيب وفي الليل

اطيب فقلت والله ما ادري اعجب من تسليك عن اناسك ومسقط

راسك ام من خطابتك مع ادناسك ومدار كاسك فاشاح بوجهه

عني ثم قال اسمع مني لا تبك الفا نأى ولا دارا ودر مع الدهر حيث

ما دارا واتخذ الناس كلهم سكنا ومثل الارض كلها دارا واصبر على خلق

من تعاشره وداره فاللبيب من دارا ولا تضع فرصة السرور فما تدري

ايوما تعيش ام دارا واعلم بان المنون جائلة وقد ادارت على الورى دارا

وأقسمت أن لا أزال قابضة ما كرّ عصر الحجا وما دارا فكيف رجاء الحجا
من شارب لم يبق كرى منه ولا دارا قال فلما أعوزتنا الكؤوس وطربت النفوس
جرّعني اليمين الغموس على أن أحفظ عليه الناموس فاتبعت مرامه ورعيت
ذمامه ونزلته بين الملأ منزلة الفضيل وسدلت الذيل على مخازي الليل
ولم يزل ذلك دأبه ودأبي إلى أن نهضنا إيابي فودعته وهو مصرّ على
التدليس ومسرّ حسو الخندريس

المقامة التاسعة والعشرون

حكى الحارث بن
همام قال ألجأني حكم دهر قاسط إلى أن أنتجع أرض واسط فقصدتها وأنا
لا أعرف بها سكنا ولا أملك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت
بالبيداء والشعرة البيضاء في اللمة السوداء قادني الحظ الناقص والجد النا
كص إلى خان ينزله شذاذ الآفاق وأخلاط الرفاق وهو لنظافة مكانه وظرافة
سكانه يرغب الغريب في إيطانه وينسيه هوى أوطانه فاستفردت منه
بحجرة ولم أنافس في أجرة فما كان إلا كلمح طرف أو خطف حرف حتى سمعت جاري

بيت بيت

بيت بيت يقول لنزيله في البيت قم يا بني لا قعد جدك ولا قام
ضدك واصحب ذا الوجه الندي واللون الدري والأصل النقي
والجسم الشقي الذي فض وذر وسجن وشهر وسقي وفطم وأدخل النار بعد
ما لطم ثم اركض إلى السوق ركض المشوق فقايض به اللاقح الملقح
المفسد المصلح المكيد المفرح المغني المروح ذا الزفير المحرق والحنين المشرق
واللفظ المقنع والنيل الممتع الذي إذا طرق رعد وبرق وناح بالحرق
ونفث في الحرق قال فلما قرنت شقشقة الهادر ولم يبق إلا الصدر
الصادر بدر فتى عليه وما معه أنس فرأيته عصلة تلعب بالعقول
وتزري بالدخول في الفضول فانطلقت في إثر الغلام لأخبر فحوى
الكلام فلم يزل يسعى سعي العفاريت ويتفقد نضائد الحوانيت حتى
انتهى عند الرواح إلى حجارة القداح فناول بائعها رغيفا وتناول
منه حجرا لطيفا فعجبت من فطانة المرسل والمرسل وعلمت أنها

قبض

سرّوجيّة وان لم اسل وما كذبت الى ان بادرت الى الخان منطلق
العنان لانظر كنه فهمي وهل قرطس الكمين سهمي فاذا انا في الفراسة فارس
وابو زيد بوصيد الخان جالس فتهادينا بشرى الالتقاء وتفاوضنا
تحيّة الاصدقاء ثم قال ما الذي نابك حتى زايلت جنابك فقلت
دهر هاض وجور فاض فقال والذي انزل المطر من الغمام واخرج
الثمر من الاكمام لقد فسد الزمان وعمّ العدوان وعدم المعوان والله
المستعان فكيف افلتّ وعلى اي وصف اجفلت فقلت اتخذت
وادّلجت بسير حثيث
الليل قميصا فاطرق ينكت في الارض ويفكّر لي في ارتياد القرض
والفرض ثم اهتزّ هزّة من اكتسب قرضا او بدت له فرص وقال لقد
علق بقلبي ان تصاهر من يأسو جراحك ويريش جناحك فقلت
وكيف اجمع بين غلّ وقلّ ومن الذي يرغب في صلّ بن صلّ فقال
انا المشير لك والوكيل لك وعليك مع انّ ذوي القوم

جبر الكبير وفكّ الاسير واحترام الفقير واستنصاح المشير الا انهم لو
خطب اليهم ابراهيم بن ادهم او جبلة بن الايهم لما زوّجوه
على
الا خمس مائة درهم اقتداء بما مهر الرسول صلعم زوجاته وعقد به انكحة
بناته على انك لن تطالب بصداق ولا تلجأ الى طلاق ثم اني
ساخطب في موقف عقدك ومجمع حشدك خطبة لم تفتق رتق
صفة
سمع ولا اخطب بمثلها في جمع قال الحارث بن همام فاردتها في
الخطبة المتلوة دون الخطبة المجلوة حتى قلت له قد وكلت اليك
هذا الخطب فدبّره تدبير من طبّ لمن حبّ فنهض مهرولا ثم عاد
متهللا وقال ابشر باعتاب الدهر واجتلاب الدرّ فقد وليت العقد
واكفلت النقد وكان قدّم ثم اخذ في مواعدة اهل الخان واعداد
حلواء الخوان فلما مدّ الليل اطنابه واغلق على كل ذي باب
بابه اذن في الجماعة الا احضروا في هذه الساعة فلم يبق فيهم

الا من كان صونه وحضر بينه فلما اصطفوا لديه واجتمع الشاهد

والمشهود عليه جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه ويلحظ التقويم

ويدعو الى ان نعس القوم وغشي النوم فقلت له يا ابن اضيع الناس

في الراس وخلص الناس من النعاس فنظر نظرة في النجوم ثم انتبه من

عقلة الوجوم واقسم بالطور والكتاب المسطور ليكشفن سر هذا

المستور وليبشرن ذكره الى يوم النشور ثم انه جثا على ركبتيه واسترعى

الاسماع لخطبته وقال الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور

كل مولود ومآل كل مطرود ساطح المهاد وموطد الاوطاد ومرسل الامطار

ومسهل الاوطار عالم الاسرار ومدركها ومدمر الاملاك ومهلكها

ومكور الدهور ومكررها ومورد الامور ومصدرها عم سماحه

وكمل ركامه وهطل وطاوع السؤال والامل واوسع الرمل

وارمل احمده حمدا ممدودا وامداه واوحده كما وحده الاواه

وهو الله لا اله للامم سواه ولا صادع لما عدله وسواه ارسل محمدا صلى

الله عليه واله علما للاسلام واماما للحكام ومسددا للرعاع ومعطل

احكام ود وسواع اعلم وعلم وحكم واحكم واصل الاصول ومهد

واكد الموعود واوعد واوصل الله له الاكرام واودع روحه السلام

ورحم آله واهله الكرام ما لمع آل وملع دال وطلع هلال وسمع

اهلال اعملوا رعاكم الله اصلح الاعمال واسلكوا مسالك الحلال

واطرحوا الحرام ودعوه واسمعوا امر الله وعوه وصلوا الارحام

وراعوها وعاصوا الاهواء واردعوها وصاهروا اهل الصلاح والورع

وصارموا رهط اللهو والطمع ومصاهركم اطهر الاحرار مولدا واسراهم

سوددا واحلاهم موردا واصحهم موعدا وها هو امكم وحل حرمكم

مملكا عروسكم المكرمة وماهر لها كما مهر الرسول ام سلمة وهو اكرم

صهر اودع الاولاد وملك ما اراد وما مملكه ولا وهم ولا وكس سها

ملاحم ولا وصم أسأل الله لكم إحماد وصاله ودوام إسعاده وألهم
كلا إصلاح حاله والإعداد لمعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله
محمد فلما فرغ من خطبته البديعة النظام العرية من الإعجام عقد الخنصر
على المئين وقال لي بالرفاء والبنين ثم أحضر الحلواء التي كان
أعدها وأبدى الابتهاج عندها فأقبلت الجماعة عليها وكدت
أهوي بيدي إليها فزجرني عن المواكلة وأقصاني عن المناولة فوالله ما كان
بأسرع من نضانض الأجفان حتى خر القوم للأذقان فلما رأيتهم كأعجاز
نخل خاوية أو صرعى بنت خابية علمت أنها إحدى الكبر وأم العبر فقلت
يا عدي نفسه وعبد فلسه أعددت للقوم حلوا أم بلوى فقال
لم أعد خبيص النبج في صحاف الخلنج فقلت أقسم بمن أطلع الزهر وهدى
بها السارين طرا لقد جئت شيئا نكرا وأبقيت لك في المخزيات ذكرا
ثم حرك فكي في صيود أمره وخيفة من عدوى عره حتى طارت نفسي
شعاعا

شعاعا وأرعدت فرائصي ارتياعا فلما رأى استطارة فرقي واستشاطة
قلقي قال ما هذا الفكر المرمض والروع المومض فإن يكن فكرك
في أجلي فأنا الآن أرتع وأطفر وأفري هذه البقعة من أقفر
وكم مثلها فارقتها وهي تصفر وإن يكن نظرك في سلك وحذارك من
حبلك فتناول فضالة الخبيص وطب نفسا عن القميص حتى تأمن
المستعدي والمعدي وتمهد لك المقام بعدي وإلا فالمفر المفر قبل
أن تنتحب وتجر ثم عمد لاستخراج ما في البيوت من الأكياس والتحوت
وجعل يتخلص خالصه كل مخزون ونخبة كل مزوع وموزون حتى
غادر ما ألفاه فحمه كعظم استخرج مخه فلما همّ بما اصطفاه وودّم وشمّر
عن ذراعيه وتحزم أقبل على إقبال من لبس الصفاقة وخلع الصداقة
وقال هل لك في المصاحبة إلى البطيحة لأصلك بأخرى مليحة فأقسمت
له بالذي جعله مباركا أينما كان ولم يجعله ممن خان في خان

انه لا قبل لي بنكاح حرتين ومعاشرة ضرتين ثم قلت له قول المطبوع
بطباعه الكائل له بصاعه قد كفتني الاولى فخرا فاطلب الاخرى لاجري
فتبسم من كلامي ودلف لالتزامي فلويت عنه عذاري وابديت
له ازوراري فلما بصر بانقباضي وتجلى له اعراضي انشد نظرا باضمار
عني المودة والزمان له صروف ومعنفي في حرب من جاورت نعيف
العسوف لا تلحني فيما اتيت فانني بهم عروف ولقد نزلت بهم فلم ارهم
يراعون الضيوف وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف ما فيهم
الا مخيف ان تمكن او مخوف لا بالضعيف ولا الوفي ولا الحفي ولا
العطوف فوثبت فيهم وثبة الذئب الضري على الخروف وتركتهم
صرعى كانهم سقوا كاس الحتوف وتحكمت فيما اقتنوه بكيدهم
رغم الانوف ثم انثنيت بمغنم حلو المجاني والقطوف ولطالما
خلفت مكاوم الحشا خلفي يطوف وورثت ارباب الالباب الكاف

والنحوف

والنحوف ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف ووقفت في هول
تولع الاسد فيه من الوقوف ولكم سفكت ولكم فتكت ولكم هتكت
حمى انوف ولكم ارتكاض موبق لي في الذنوب ولكم حقوف لكنني اعددت
حسن الظن بالمولى الرؤوف قال فلما انتهى الى هذا البيت لجأ في الاستغفار
والظ بالاستغفار حتى استمال هوى قلبي المنحرف ورجوت له ما يرجى
للمقترف المعترف ثم انه غيض دمعه المنهمل وتابط جرابه وانسل
احتمل وقال لابنه احتمل الباقي والله الواقي قال المخبر بهذه الحكاية
فلما رايت انسياب الحية والحيية وانتهاء الداء الى الكية علمت
ان ثويّ بالخان مجلبة للهوان فضممت رحلي وجمعت للرحلة
ذيلي وبت ليلتي اسري الى الطيب واحتسب الله تعالى على الخطيب

المقامة الثلثون وتعرف بالصورية

حكى الحارث بن همام قال ارتحلت من مدينة
المنصور الى بلد صور فلما حصلت بها ذا رفع وخفض ومالك

دفع وخفض بي الى مصر توقان السقيم الى الاساة والكريم الى المواساة

فرفضت علائق الاستقامة ونقضت عوائق الاقامة واعروريت

ظهر ابن النعامة واجفلت نحوها اجفال النعامة فلما دخلتها بعد

معاناة الاين ومداناة الحين كلفت بها كلف النشوان بالاصطباح و

الحيران بتنفس الصباح فبينما انا يوما اطوف وتحتي فرس قطوف اذ

رايت على اجرد من الخيل عصبة كمصابيح الليل فسالت لانتجاع الانس

عن العصبة والوجهة فقيل اما القوم فشهود واما المقصد فاملاك

مشهود فحدتني ميعة النشاط على ان سرت مع الفراط لافوز بحلاوى

اللقاط واحوز حلواء السماط فافضينا بعد مكابدة العناء الى دار

رفيعة البناء وسيعة الفناء تشهد لبانيها بالثراء والسناء فلما نزلنا

عن صهوات الخيول وقدمنا الاقدام للدخول رايت دهليزها مجللا

باطمار مخرقة ومكللا بمخارق معلقة وهناك شخص على طنفسة فوق

دكة

دكة لطيفة فرابني عنوان الصحيفة ومرأى هذه البدعة الطريفة ودعاني

النظر بتلك المناحس الى ان عمدت لذلك الجالس فعزمت عليه

بمصرف الاقدار ليعرفني من رب هذه الدار فقال ما لها مالك معين

ولا صاحب مبين انما هي مصطبة المقيفين والمكدودين ووليجة

المتشقشقين والمجلوذين فقلت في نفسي انا لله على ضلة المسعى واخالة

المرعى وهممت في الحال بالرجعى لكنني استهجنت العود من فوري و

القهقرى دون غيري فولجت الدار متجرعا الغصص كما يلج العصفور

القفص فاذا فيها ارائك منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة

وسجوف مرصوفة وقد اقبل المملك يميس في بردته ويتبهنس بين حفدته

فحين جلس كانه ابن ماء السماء نادى مناد من قبل الاحماء وحرمة

ساسان استاذ الاستاذين وقدوة الشحاذين لا عقد هذا العقد

المبجل في ذا اليوم الاغر المحجل الا الذي جال وجاب وشب في الكدية

وشبات فأعجب بقط الصهر ما أشاروا إليه وأذنوا في إحضار المنصوص
عليه فبرز حينئذ شيخ قد أمال الملوان قامته ونوّر القتبان ثغامته
فتباشر الجمع بإقباله وتبادروا إلى استقباله فلما جلس على زربيته
وسكنت الضوضاء لهيبته ازدلف إلى مسنده ومسح سبلته بيده
ثم قال الحمد لله المبتدي بالإفضال المبتدع للنوال المتقرب إليه بالسؤال
المؤمل لتحقيق الآمال الذي شرع الزكاة في الأموال وزجر عن نهر
السؤال وندب إلى مواساة المضطر وأمر بإطعام القانع والمعتر ووصف
عباده المقربين في كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين والذين
في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم أحمده على ما رزق من طعمة
هنية وأعوذ به من استماع دعوة بلا نية وأشهد أن لا إله إلا هو
وحده لا شريك له إله يجزي المتصدقين والمتصدقات ويمحق الربا
ويربي الصدقات وأشهد أن محمدا عبده الرحيم ورسوله الكريم

ابعثه

ابتعثه لينسخ الظلم بالضياء وينتصف للفقراء من الأغنياء
ورفق بالمسكين وخفض جناحه للمسكين وفرض الحقوق في
أموال المثرين وبين ما يجب للمقلين على المكثرين صلى الله
عليه صلاة تحظيه بالزلفة وعلى أصحابه أهل الصفة
أما بعد فإن الله تعالى شرع النكاح لتتعففوا وسن التناسل
لكي تتضاعفوا فقال سبحانه وتعالى لتعرفوا يا أيها الناس إنا
خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
وهذا أبو الدراج ولاج بن خرّاج ذو الوجه الوقاح والإفك الصراح
والهرج والصياح والإبرام والإلحاح يخطب سليطة أهلها وقرة
بعلها قنبس بنت أبي العنبس لما بلغه من إخلافها بإلحافها
وإسرافها في إسفافها وانكماشها على معاشها وانغماشها عند
هراشها وقد بذل لها من الصداق ثلاثا وعكاذا وصقاعا

وكرّر ذا فانكحوه انكاح مثله وصلوا حبلكم بحبله وان خفتم عيلة
فسوف يغنيكم الله من فضله اقول قولي هذا واستغفر الله
العظيم لي ولكم واسأله ان يكثر في المصاطب تناسلكم ويحرس
من المعاطب شملكم فلما فرغ الشيخ من خطبته وابرم للختن
عقد خطبته تساقط من النثار ما جاوز حد الاكثار واغرى
الشحيح بالايثار ثم نهض الشيخ يجر ذلاذله ويقدم اراذله قال
الحارث بن همام فتبعته لانظر عرض القوم واكمل بهجة اليوم
فعاج بهم الى سماط قد زينته طهاته وتناصفت في الحسن
جهاته فحين ربع كل شخص في ربضه وطفق يرتع في روضته انسللت
من الصف وفررت من الزحف فحانت من الشيخ لفتة الي ونظرة
هجم بها طرفه علي فقال لي ابن تبرم هلا عاشرت معاشرة من فيه
كرم فقلت والذي خلقها طباقا وطبقها اشراقا لا ذقت لماقا ولا لست
رفاقا

رفاقا او تخبرني اين مدب صباك فتنفس الصعداء مرارا وارسل البكاء
مدرارا حتى اذا استنزف الدمع واستنصت الجمع قال لي اسمع شعر مسقط
الراس سروج وبها كنت اموج بلدة يوجد فيها كل شيء ويروج وردها
من سلسبيل وصحاريها مروج وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج حبذا
نفحة رباها وزهاها البهيج واقاحي رباها حين تنجاب الثلوج ولمن
يرتاح عنها زفرات ونشيج من رآها قال مرعى جنة الدنيا سروج
مثل ما لاقيت مذ زحزحني عنها العلوج عبرة تهمي وشجو كلما
قر يهيج وهموم كل يوم خطبها خطب مريج ومساع في التزجي قاصرات
الخطو عوج ليت يومي حم لما حم لي منها الخروج قال الحارث بن همام
فلما تبين بلده ووعيت ما انشده ايقنت انه علامتنا ابو زيد
وان كان الهرم قد اوثقه بقيد فبادرت الى مصافحته واغتنمت
مواكلته من صحفته وظلت مدة مقامي بمصر اعشو الى شواظه

ومن اين مهب صباك

وإلى الخير جري الخيل ولم نزل بين إدلاج وتأويب وإيجاف وتقريب
إلى أن حبنا أينق المطايا بالتحفة في إيصالنا إلى الجحفة فحللناها
متأهبين للإحرام متباشرين ببادرة المرام فلم نلبث إلا أن أنخنا الركاب
وحططنا الحقائب حتى طلع علينا من بين الهضاب شخص ضاحي
الإهاب وهو ينادي يا أهل ذا النادي هلم ما ينجي يوم التناد
فانحاز إليه الحجيج وانثالوا واحتفوا به وأنصتوا فلما رأى تألبهم
حوله واستطلاعهم قوله تسنم إحدى الآكام ثم تنحنح مستفتحا للكلام
وقال يا معشر الحجاج النسلين من الفجاج أتعقلون إلى ما تواجهون
وإلى من توجهون أم تدرون على من تقدمون وعلام تقدمون
أتخالون أن الحج هو اختيار الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل
وإنضاء الزوامل أم تظنون أن النسك هو نضو الأردان وإنضاء
الأبدان ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان كلا والله بل هو اجتناب

وأحشو أصدافي عن درر الألفاظ إلى أن نعب بيننا غراب البين ففارقته
مفارقة الجفن للعين. **المقامة الحادية والثلثون** حدث الحارث بن
همام قال كنت في عنفوان الشباب وريعان العيش اللباب أقلي الاكتنان
بالغاب وأهوى الاندلاق من القراب لعلمي أن السفر ينتج الظفر
ومعافرة الوطن تعقر الفطن وتخص من قطن فأجلت قدح
الاستشارة وأقدحت زناد الاستخارة ثم استحثثت جاشا أثبت
من الحجارة وأصعدت إلى ساحل الشام للتجارة فلما خيمت بالرملة
وألقيت بها عصى الرحلة صادفت بها ركابا تعد للسرى ورحالا تشد
إلى أم القرى فعصفت بي ريح الغرام وأهاج لي شوق إلى البيت الحرام
فزممت ناقتي وسببت علقي وعلاقتي وقلت للائمي أقصر فإني سأختار
المقام على المقام وأنفق ما جمعت بأرض جمع وأسلو بالحطيم عن
الحطام ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل

والى

الخطيئة قبل احتلاب المطية واخلاص النية في قصد تلك البنية

وامحاض الطاعة عند وجدان الاستطاعة واصلاح المعاملات

امام اعمال اليعملات فوالذي شرع المناسك للناسك وارشد

السالك الى المسالك في الليل الحالك ما ينقي الاغتسال بالذنوب

من الانغماس في الذنوب ولا تعدل تعرية الاجسام بتعبية الاجرام

ولا تغني لبسة الاحرام عن التلبس بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالازار مع

الاضطلاع بالاوزار ولا يجدي التقرب بالحلق مع التقلب في ظلم

الخلق ولا يرحض التنسك بالتقصير دون التمسك بالتقصير ولا يسعد بعرفة

غير اهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من يرغب في الحيف ولا يشهد المقا

الا من استقام ولا يحظى بقبول الحجة من زاغ عن المحجة فرحم الله امرأ

صفا قبل مسعاه الى الصفا وورد شريعة الرضا قبل ترويه في الاضا

ونزع عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بمعروفه قبل الافاضة

من تعريفه ثم دفع عقيرته بصوت اسمع الصم وكاد يزعزع الجبال

الشم وانشد شعر ما الحج سيرك تأويبا وادلاجا ولا اعتيامك اجمالا

واحداجا الحج ان تقصد البيت الحرام على تجريدك الحج لا تبغي به

حاجا وتمتطي كاهل الانصاف متخذا ردع الهوى هاديا والحق

منهاجا وان تواسي بما اوتيت مقدرة من مد كفا الى جدواك

محتاجا فهذه ان حوتها حجة كملت وان خلا الحج منها كان اخداجا

حسب المرائين غبنا انهم غرسوا وما جنوا ولقوا اكدا وازعاجا و

انهم حرموا اجرا ومحمدة والحمد اعرضهم من عاب او هاجا اخي

ابغ بما تبديه من قرب وجه المهيمن ولاجا وخراجا فليس تخفى

على الرحمن خافية ان اخلص العبد في الطاعات او داجا وبادر

الموت بالحسنى تقدمها فما ينهنه داعي الموت ان فاجا واقن النوا

خلقا الا اثر ابله عنك الليالي ولو البسنك التاجا ولا تنم كلحا

لاح بارقه ولو ترى أي هوى لك نجاجا ما كل داعٍ بأهلٍ أن يصاخ
له كم قد أصمّ بنجي بعض من ناجى وما اللبيب سوى من بات مقتنعا
ببلغة تدرج الأيام إدراجا فكل كثر إلى قلٍّ مغبّته وكل بازٍ إلى
لين وإن هاجا قال الراوي فلما ألقى عصم الأفهام بحر الكلام أثر
وحي أبي زيد وما دبّ الارتياح إليه أيّ مدبٍّ فمكثت حتى استوعب
نثّ حكمته واتخذ من أكمته ثم دلفت إليه لأتصفّح صفحات
محيّاه واستشفّ جوهر حلاه فإذا هو الضالّة التي أنشدها وناظم
القلائد اللاتي أنشدها فعانقته عناق اللام للألف ونزّلته
منزلة البرء عند الدنف وسألته أن يلازمني فأبى أو يزاملني
فنبا وقال كنت آليت في حجّتي هذه أن لا أحتقب ولا أعتقب
ولا أكتسب ولا أنتسب ولا أرتفق ولا أرافق ولا أوافق من
ينافق ثم ذهب يهرول وغادرني أولول فلم أزل أتبعه نظري

وأودّ لو يمشي على ناظري حتى توقّل أحد الأطواد ووقف للحجيج بالمرصاد
فحين شاهد انصباع الركبان في الكثبان وضمّ بالبنان على البنان
واندفع ينشد شعر ليس من زار راكبا مثل ساعٍ على القدم لا
ولا ناهضٌ أطاع كعاصٍ من الخدم كيف يا قوم يستوي سيّئ بانٍ ومن هدم
سيقيم المفرطون غداً مأتم الندم ويقول الذي تقرّب طوبى لمن خدم
ويك يا نفس قدّمي صالحاً عند ذي القدم وادّري زخرف الحطام
فوجدانه عدم واذكري مصرع الحمام إذا خطبه صدم واندبي
فعلك القبيح وسحّي له بدم وادعي بعده بتوبة قبل أن تحلم الأدم فعسى
الله أن يقيل الشقيّ الذي اجترم يوم لا عثرة تقال ولا ينفع الندم
ثم إنه أغمد عضب لسانه وأطلق لثانه فما زلت في كل موردٍ
ومعرّس أتوسّمه أتفقّده فأفقده وأستنجد بمن ينشده فلا أجده
حتى خلت أن الجن اختطفته أو الأرض اقتطفته فما كابدت في الغربة

كهذه الكرّة ولا منيت في سفرة بمثلها من ذفرة المقامة الثانية
والثلثون حكى الحارث بن همام قال أجمعت حين قضيت مناسك
الحج وأقمت وظائف العج والثج أن أقصد طيبة مع رفقة من بني شيبة
لأزور قبر المصطفى وأخرج من قبيل من حج وجفا فأرجف بأن
المسالك شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة فحرت بين إشفاق يثبطني
وأشواق تنشطني إلى أن ألقي في روعي الاستسلام وتغليب زيارة قبره
عليه السلام فاعتمت القعدة وأعددت العدة وسرت والرفقة
لا تلوي على عرجة ولا تني في تأويب ولا إدلاج حتى وافينا بني حرب
وقد آبوا من حرب فأزمعنا أن نقضي ظل اليوم في حلة القوم وبينا
نحن نتخير المناخ ونرود الورد النقاخ إذ رأيناهم يركضون كأنهم
إلى نصب يوفضون فرابنا انثيالهم وسألنا ما بالهم فقيل
قد حضر ناديهم فقيه العرب فأهرعهم لهذا السبب فقلت لرفقتي

ألا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد من الغي فقالوا لقد أسمعت
إذ دعوت ونصحت فما ألوت ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي
حتى إذا أظللنا عليه واستشرفنا الفقيه المنهود إليه الفيناه
أبا زيد ذا التلقي والفقر والفواقر والفقر وقد اعتم القفداء واشتمل
الصماء وقعد القرفصاء وأعيان الحي به محتفون وأخلاطهم
عليه ملتفون وهو يقول سلوني عن المعضلات واستوضحوا
مني المشكلات فوالذي فطر السماء وعلم آدم الأسماء إني لفقيه
العرب العرباء وأعلم من تحت الجرباء فصمد له فتى فتيق اللسان
جريء الجنان وقال إني حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتخلت منهم
مئة فتيا فإن كنت ممن يرغب عن سبابنا ويرغب عن سبابنا ويرغب في
فاستمع وأجب لتقابل بما يجب فقال الله أكبر سيبين
المخبر وينكشف المضمر فاصدع بما تؤمر قال ما تقول فيمن توضأ

ثم لمس ظهر نعله قال انتقض وضوؤه بفعله النعل الزوجة قال فان
توضأ ثم اتكأ البرد قال يجدد الوضوء من بعد البرد النوم قال أيمسح
المتوضي أنثييه قال قد ندب اليه ولم يوجب عليه الانثيان
الأذنان قال أيجوز الوضوء بما يقذفه الثعبان قال وهل أنظف
منه للعريان الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادي والعريان جمع
جمع عرب قال أيستباح ماء الضرير قال نعم ويجتنب ماء البصير الضرير
حرف الوادي والبصير الكلب قال أيحل الطوف في الربيع قال يكره
ذلك للحدث الشنيع الطوف الغائط والربيع النهر الصغير قال أيجب
الغسل على من أمنى قال لا ولو ثنى امنى نزل منى ويقال منه منى وأمنى
وامنى قال فهل يجب على الجنب غسل فروته قال أجل وغسل
ابرته الفروة جلدة الرأس والابرة عظم المرفق قال فان اخل بغسل فأسه
قال هو كما لو اخل بغسل رأسه الفاس العظم المشرف على نقرة القفا قال

فما

فما تقول فيمن تيمم ثم رأى روضا قال بطل تيممه فليتوضأ الروض
هنا جمع روضة وهي الصبابة التي تبقى في الحوض قال أيجوز أن يسجد الرجل
في العذرة قال نعم وليجانب القذرة العذرة فناء الدار قال فهل
له السجود على الخلاف قال لا ولا على أحد الأطراف الخلاف الكم
قال فإن سجد على شماله قال لا بأس بفعاله الشمال جمع شملة
قال فهل يجوز السجود على الكراع قال نعم دون الذراع الكراع ما استطال
من الحرة وهي أرض فيها الحجارة السود قال أيصلى على رأس الكلب قال نعم
كسائر الهضب رأس الكلب ثنية معروفة قال ما تقول فيمن صلى
وعانته بادية قال صلاته جائزة العانة الجماعة من حمر الوحش قال
فإن صلى وعليه صوم قال يعيد ولو صلى مائة يوم الصوم ذرق
النعام قال فإن حمل جروا وصلى قال هو كمن حمل باقلى الجرو الصغار
من القثاء والرمان قال أتصح صلاة حامل القروة قال لا ولو صلى

على المروة القرى مبلغة الكلب قال فان قطر على ثوب المصلى نجو قال
يمضى في صلواته ولا عزو النجو السحاب الذى قد هرق ماءه قال ايجوز ان
يأتم الرجال بمقنع قال نعم ومدرّع المقنع الابن المعمّر والمدرع الابن الدرع
قال فان ائتم من في يده وقف قال يعيدون ولو انهم الف الوقف
السوار من العاج او الذبل واراد انه لا يجوز للرجال الائتمام بالنساء قال
فان امهم من فخذه بادية قال صلواته وصلواتهم ماضية الفخذ
العشيرة والبادية الذين يسكنون البدو واختار بعض اهل اللغة ان تكسر الخا
منها ليحصل الفرق بينها وبين الفخذ من الاعضاء قال فان امهم الثور
الاجم قال صلّ وخلاك ذم الثور السيد والاجم الذى لا رمح معه قال
ايدخل العصر في صلواة الشاهد قال لا والغايب الشاهد صلوة
الشاهد صلواة المغرب سميت بذلك لانها تقام عند طلوع الشاهد النجم
قال ايجوز للمعذور ان يفطر شهر رمضان قال ما رخص فيه الا للصبيان

المعذور

المعذور المختون وهو ايضا المعذر قال فهل للمعرّس ان ياكل فيه قال
نعم بملء فيه المعرّس المسافر الذى ينزل من آخر ليله ليستريح ثم يرحل
قال فان افطر فيه العراة الذين تأخذهم العرواء وهي الحمى بعدّ قال
فان اكل الصائم بعد ما اصبح قال هو احوط له واصلح اصبح اى استصبح
بالمصباح قال فان عمد لان ياكل ليلا قال ليتم للقضاء ذيلا الليل
فرخ الحبارى وقيل هو ولد الكروان وجمعه كروان قال فان اكل
قبل ان تتوارى البيضاء قال يلزمه والله القضاء البيضاء من
اسماء الشمس قال فان استثار الصائم الكيد قال افطر ومن احلّ
الصيد الكيد القيّ واستثاره اى استدعاه قال فهل يفطر بالحاج
الطابخ قال نعم لا بطاهي المطابخ الطابخ الحمى الصالب قال فان ضحكت
المرأة في صومها قال بطل صوم يومها ضحكت هاهنا اى حاضت ومنه
قوله تعالى ضحكت فبشرناها باسحق قال فان ظهر الجدري على ضرّها

قال فإن تقطر ان اذن بمضرتها الضرة اصل الابهام واصل الثدي

ايضا قال ما يجب في مائة مصباح قال حقتان يا صاح المصباح

الناقة التي تصبح في المبرك ولا ترعى حين يرتفع النهار قال فإن ملك

عشر خناجر قال يخرج شاتين ولا يشاجر الخناجر النوق الغزار واحدها

خنجر وخنجور قال فإن سعى للساعي بجمته قال بالبشرى له يوم قيامته

الساعي جابي الصدقة والجمة خيار المال قال أيستحق حملة الاوزار

من الزكاة جزءا قال نعم اذا كانوا غزاة الاوزار السلاح وغزاة جمع غاز

قال أيجوز للحاج ان يعتمر قال لا ولا ان يختمر الاعتمار لبس العمار وهي

العمامة والاختمار لبس الخمار قال فهل يجوز له ان يقتل الشجاع

قال نعم كما يقتل السباع الشجاع الحية قال فإن قتل زمارة في الحرم

قال عليه بدنة من النعم الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار

قال فإن رمى ساق حر فجدله قال يخرج شاة بدله ساق حر ذكر

القماري

القماري قال فإن قتل ام عوف بعد الاحرام قال يتصدق بقبضة

من طعام ام عوف الجرادة قال أيجب على الحاج استصحاب القارب قال

نعم ليسوقهم الى المشارب القارب طالب الماء بالليل قال ما تقول والحاج اسم للجمع والواحد

في الحرام بعد السبت قال قد حل في ذلك الوقت الحرام المحرم والسبت

حلق الرأس وحل من تحليل الحج قال ما تقول في بيع الكميت قال حرام

كبيع الميت الكميت الخمر قال أيجوز بيع الخل بلحم الجمل قال لا ولا بلحم الحمل

الخل ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان سواء كان من جنسه

او من غير جنسه قال أيحل بيع الهدية قال لا ولا بيع السبية الهدية

بالتشديد ما يهدى الى الكعبة ويقال ايضا هديه بتسكين الدال

وتخفيف الياء والسبية الخمر قال أيباع الجبار مع زهوه قال نعم

ويؤكل من معوه الزهو البسر الاحمر والمعو الاطر قال ما تقول في بيع

العقيقة قال محظور على الحقيقة العقيقة ما يذبح عن المولود يوم

الشّابع من ولاد تيرٍ قال أيجوز بيع الدّاعي على الرّاعي قال لا ولا على
السّاعي الدّاعي بقيّة اللّبن في الضّرع والسّاعي جابي الصّدقات
قال أيباع الصّقر بالتّمر قال لا وما لك الخلق والأمر الصّقر الدّبس
قال فهل يجوز أن يبتاع الشّافع قال ما الجواز لها من دافع الشّافع
الشّاة التي معها سخلها قال أيباع الإبريق على بني الأصفر قال يكره
ذلك كبيع المغفر الإبريق السّيف الصّقيل الكثير الماء وبنو الأصفر
الرّوم قال أيجوز أن يبيع الرّجل صيفيّه قال لا ولكن ليبع صيفيّه الصّيفي
الولد على الكبر والصّيفي النّاقة الغزيرة الدّرّ قال أيشترى لمسلم سلب المسلمات
قال نعم ويورث عنه إذا مات السّلب لحاء الشّجر وهو أيضا خوص
الثّمام قال فإن اشترى عبدًا فبان بأمّه جراح قال ما في ردّه جناح
الأمّ مجمع الدّماغ قال أتجب الشّفعة للشّريك في الصّحراء قال
لا ولا للشّريك في الصّفراء الصّحراء الأتان التي تمازج بياضها غبرة

قال

قال أيحلّ أن يحمى ماء البئر والخلا قال إن كان في الفلا فلا يحمى ويمنع والخلا
الكلا الرّطب قال ما تقول في ميتة الكافر قال حلّ للمقيم والمسافر الكافر
البحر وميتة السّمك الطّافي فوق مائه قال أيجوز أن يضحّى بالحول قال هو
أجدر بالقبول الحول جمع حائل قال فهل يضحّى بالطّالق قال نعم ويقرى منها
الطّارق الطّالق النّاقة ترسل ترعى حيث شاءت قال فإن ضحّى قبل ظهور
الغزالة قال شاته لحم بلا محالة الغزالة الشّمس ويقال طلعت الغزالة ولا
يقال غربت وضدّها الجونة تسمّى بها عند مغيبها لأنّها تسودّ حين تغيب كما
قال الشّاعر تبادر الجونة أن تغيبا قال أيحلّ الكسب بالطّرق قال هو كالقمار
بلا فرق الطّرق الضّرب بالحصى وهو من أعمال الكهنة قال أيسلّم القائم
على القاعد قال محظور على الأباعد القاعد التي قعدت عن الحيض أو عن
الأزواج قال أيأمّ العاقل تحت الرّقيع قال أحبب به في البقيع الرّقيع السّما
وعنى بالبقيع بقيع المدينة قال أيمنع الذّمّيّ من قتل العجوز قال معاذ الله

العجوز

في العجوز لا تجوز الحمرة فلها ان ترجمها قال ما تقول في التهود قال هو مفتاح
التهجد التهود التوبة ومنه قوله تعالى انا هدنا اليك قال ايجوز ان يقبل
الرجل عن عمارة ابيه قال ما يجوز للحامل ولا لابنه العمارة القبيلة قال
ما تقول في صبر البلية قال أعظم به من خطية الصبر الحبس والبلية الناقة
تحبس عند قبر صاحبها فلا تسقى ولا تعلف الى ان تموت وكانت الجاهلية
تزعم ان صاحبها يحشر عليها قال ايحل ضرب السفير قال نعم والحمل على المنير
السفير ما تساقط من ورق الشجر والمسنير الجمل السمين وهو ايضا الجمل الذي
يعرف اللاقح من الحائل قال ايعزر الرجل اباه قال يفعله البر ولا
يأباه التعزير التعظيم والنصر قال ما تقول فيمن افقر اخاه قال حبذا
ما توخاه افقره اعاره ناقة يركب فقارها قال ما تقول فيمن اعرى لكع
قال ما حبذا ما اعتمد اعراه اعطاه ثمرة نخلة عاما قال فان اصلى
مملوكه النار قال لا اثم عليه ولا عار المملوك العجين الذي اجيد عجنه

حتى

حتى ورى قال ايجوز للمرأة ان تضرم بعلها قال ما حظر احد فعلها البعل
النخل الذي يشرب بعروقه من الارض من غير سقي قال فهل تؤدب المرأة
على الحجل قال اجل والله اجل الحجل سوء احتمال الغنى ومنه قولهم للنسا
انكن اذا جعتن دقعتن وان شبعتن حجلتن قال ما تقول فيمن نحت أثلة
اخيه قال اثم ولو اذن له فيه نحت اثلته اذا اغتابه وقدح في عرضه
قال ايحجر الحاكم على صاحب الثور قال نعم ليأمن غائلته الجود الثور المجنون
قال فهل له ان يضرب على يد اليتيم قال نعم الى ان يرشد ويستقيم
يضرب على يده اذا حجر عليه قال فهل يجوز ان يتخذ له ربضا قال لا او
كان له رضا الربض الزوجة قال فهل يبيع بدن السفيه قال حين يرى له
الحظ فيه البدن الدرع القصيرة قال فهل يجوز ان يبتاع له حشا قال
نعم اذا كان مغشا الحش النخل المجتمع والمغشى الذي لا عيب فيه قال
ايجوز ان يكون الحاكم ظالما قال نعم اذا كان عالما الظالم الذي يشرب

اللبن قبل ان يروب ويخرج زبده قال ايستقضى من ليست له بصيرة قال
نعم اذا حسنت منه السيرة البصيرة الترس قال فان تعرى من العقل قال ذلك
عنوان الفضل العقل ضرب من الوشي قال فان كان له زهو وجبار قال
لا انكار ولا اكبار الزهو البسر المتلون والجبار النخل الذي فات اليد وضده
النخلة القاعد قال ايجوز ان يكون الشاهد مريبا قال نعم اذا كان اديبا
المريب الذي يكثر عنده اللبن الرائب قال فان بان انه لاط قال هو كما
لو حاط لاط الحوض اذا طينه قال فان عثر على انه غربل قال ترد شهادته
ولا تقبل غربل اي قتل ومنه قول الراجز ترى الملوك حوله مغربلة قال فان
وضح انه مابون قال هو وصف له زاين المابون الذي يعول ويكفي المؤنة
من مات يموت قال ما يجب على عابد الحق قال يحلف بالاله الخالق العابد
هيهنا الجاحد والحق الدين قال ما تقول فيمن فقا عين بلبل عامدا
قال تفقا عينه قودا لا واحدا البلبل الرجل الخفيف قال فان جرح

قطاة

قطاة امراة فماتت قال النفس بالنفس اذا فاتت القطاة ما بين الوركين
قال فان القت الحامل حشيشا من ضربه قال ليكفر بالاعتاق عن ذنبه
الحشيش الجنين الملقى ميتا قال ما يجب على المختفي في الشرع قال القطع لاقامة
الردع المختفي نباش القبور قال ما تقول فيمن سرق اساود الدار قال يقطع
ان ساوين ربع الدينار الاساود الالات المستعملة كالاجانة والقدر والجفنة
قال فان سرق ثمينا من ذهب قال لا قطع عليه كما لو غصب الثمين الثمن كما في
في الضعف الضعيف وفي السدس سديس قال فان باتت على المرتد السرق قال
لا حرج عليها ولا وزر السرق الحرير الابيض قال ايعقد نكاح لم تشهده الفوادي
قال لا والخالق الباري الفوادي الشهود لانهم يفرقون الاشياء اي يتبعونها
قال فما تقول في عروس باتت بليلة حرة ثم ردت بحافرتها بسحرة قال
تجب لها نصف الصداق ولا تلزمها عدة الطلاق في باتت العروس
بليلة حرة اذا امتنعت على زوجها فان اقتضها قيل باتت بليلة شيبا

والرد في الحافرة بمعنى الرجوع في الطريق الاول وكنى بها عن طلاقها وردها الى
اهلها فقال له السائل لله درك من بحر لا يغضغضه المائح وحبر لا يبلغ
مدحته المادح ثم اطرق اطراق الحي وادم ادمام العي فقال له ابو زيد
ايه يا فتى فالى متى والى منى فقال له لم تبق في كنانتي مرماة ولا بعد اشراق
صبحك مماراة فبالله اي ابن ارض انت فما احسن ما ابنت فانشد بلسان
ذلق وصوت صهصلق شعر انا في العالم مثله ولاهل العلم قبله
غير اني كل يوم بين تعريس ورحلة والغريب الدار لو حل بطوبى لم تطب
له ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هدى وهدى فاجعلنا ممن يهتدي
ويهدي فساق اليه القوم ذودا مع قينة وسألوه ان يزودهم القينة
بعد القينة فنهض يتهادى بين العود والامة والذود قال الحارث بن
همام فاعترضته وقلت عهدي بك سفيها فمتى صرت فقيها فظل
هنيهة يجول كل جليس بما يلائمه ثم انشد يقول شعر لبست لكل زمان

لبوسا ولابست صرفيه نعمى وبوسا وعاشرت كل جليس بما يلائمه لاروق
الجليسا فعند الرواة ادير الكلام وبين السقاة ادير الكؤوسا وطورا ابوعظ
اسيل الدموع وطورا بلهوي اسر النفوسا واقري المسامع اما نطقت
بيانا تقود الحرون الشموسا وان شئت ارعفت كفي البراع فساقط
درا يحلي الطروسا وكم مشكلات حكين السها خفاء فصرن بكشفي
الشموسا وكم ملح لي خلبن العقول واسادرن في كل قلب رسيسا
وعذراء هنت بها فانثنى عليها الثناء طليقا حبيسا على انني من زمان
حصصت بكيد ولا كيد فرعون موسى يسعر لي كل يوم وغى اطا من
لظاها وطيسا ويطرقني بالخطوب التي تذيب القوى وتشيب الرؤوسا
ويلبني الى العيد البغيض ويبعد عني القريب الانيسا ولو خاسه
اخلاقه لما كان حظي منه خسيسا فقلت له خفض الاحزان ولا
تلم الزمان واشكر لمن نقلك عن مذهب ابليس الى مذهب ابن

ادريس فقال دع الهتار ولا تهتك الاستار وانهض بنا للضرب الى
مسجد يثرب فعسى ان نرحض بالمزار درن الاوزار فقلت له هيهات ان
اسير او اوقفه النفير فقال تالله لقد اوجبت ذمما وطلبت اذ طلبت
اماما فها لك ما يشفي النفس وينفي اللبس قال فلما اوضح لي المعما وكشف
عني الغما شددنا الاكوار وسرت وسار ولم ازل من مسامرته مدة ما
بيننا اني طعم المسقة ووددت معه بعد السفر حتى اذا دخلنا مدينة من الزيادة
الرسول وفزنا بالسول اشأم واعرق وغرب وشرق

المقامة الثالثة والثلثون وهي التفليسية

اخبر الحارث بن همام قال عاهدت الله تعالى مذ بقل
الا اوخر الصلواة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات ولهو الخلوات
اراعي اوقات الصلواة واحاذر من مأثم الفوات واذا اقمت في رحلة
او حللت بحلة هجرت بصوت الداعي اليها واقتديت بمن يحافظ
عليها فاتفق حين دخلت تفليس ان صليت مع زمرة من المفاليس فلما

قضينا

قضينا
الصلواة وازمعنا الانفلات برز شيخ بادي اللقوة بالي الكسوة فقال والقوة
عزمت على من خلق من طينة الحرية وتفوق در العصبية الا ما
تكلف لي لبثة واستمع مني نفثة ثم له الخيار من بعد وبيده
البذل والرد فعقد له القوم الحبا وسموا امثال الربا فلما انس
حسن انصاتهم وبرا انتصاحهم قال يا اولي الابصار الرامقة
والبصائر الرائقة اما يغني عن الخبر العيان وينبئ عن النار الدخان
شيب لائح ووهن فادح وداء واضح والباطن فاضح ولقد كنت و
الله ممن ملك ومال وولي وال ووفد ونال ووصل وصال
فلم تزل الجوائح تسحت والنوائب تنحت حتى الوكر قفر والكف صفر
والشعار ضر والعيش مر والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون
مصاصة النوى ولم اقم هذا المقام الشائن واكشف لكم الدفائن
الا بعد ما شقيت ولقيت وشبت مما لقيت فليتني لم اكن بقيت

ثُمَّ نَأْنَأَ نَأْنَأَةَ الْأَسِيفِ وَأَنْشَدَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ شِعْر أَشْكُو إِلَى الرَّحْمٰنِ
سُبْحَانَهُ تَقَلُّبَ الدَّهْرِ وَعُدْوَانَهُ وَحَادِثَاتٍ قَرَعَتْ مَرْوَتِي وَوَهَتْ
مَجْدِي وَبُنْيَانَهُ وَاهْتَصَرْنَ عُودِي وَيَاوَيْلَ مَنْ تَهْتَصِرُ الْأَحْدَاثُ
أَغْصَانَهُ وَأَمْحَلْنَ رَبْعِي حَتَّى جَلَتْ مِنْ رَبْعِي الْمَحْلِ جُرْذَانُهُ وَغَادَرْنَنِي
حَائِرًا بَائِرًا أُكَابِدُ الْفَقْرَ وَأَشْجَانَهُ مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ أَخَا ثَرْوَةٍ تَسْحَبُ
فِي النِّعْمَةِ أَرْدَانَهُ يَخْتَبِطُ الْعَافُونَ أَوْرَاقَهُ وَيَجْتَدِي السَّارُونَ نِيرَانَهُ فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ أَعَانَهُ الدَّهْرُ الَّذِي عَانَهُ وَازْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا وَعَافَ
عَافِي الْعُرْفِ عِرْفَانَهُ فَهَلْ فَتًى يَجْبُرُ مَا بِي مِنْ ضُرِّ شَيْخٍ دَهْرُهُ خَانَهُ
فَيُفَرِّجُ الْهَمَّ الَّذِي هَمَّهُ وَيُصْلِحُ الشَّأْنَ الَّذِي شَانَهُ قَالَ الرَّاوِي
فَصَبَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَى أَنْ تَسْتَبِينَهُ لِتَسْتَنْجِشَ خَبَاءَهُ وَتَسْتَنْفِضَ حَقِيبَتَهُ
وَقَالَتْ لَهُ قَدْ عَرَفْنَا قَدْرَ دِينِكَ وَرَأَيْنَا دَرَّ مُزْنِكَ فَعَرِّفْنَا دَوْحَةَ
شُعْبَتِكَ وَاحْسِرِ اللِّثَامَ عَنْ نَسَبِكَ فَأَعْرَضَ إِعْرَاضَ مَنْ مُنِيَ بِالْإِعْنَاتِ

أَوْ بُشِّرَ بِالْبَنَاتِ وَجَعَلَ يَلْعَنُ الضَّرُورَاتِ وَيَتَأَفَّفُ مِنْ تَغَيُّضِ الْمُرُوَّاتِ
ثُمَّ أَنْشَدَ بِلَفْظٍ صَادِعٍ وَجَرْسٍ خَادِعٍ لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ فَرْعٍ يَدُلُّ
جَنَاهُ اللَّذِيذُ عَلَى أَصْلِهِ فَكُلْ مَا حَلَا حِينَ تُؤْتَى بِهِ وَلَا تَسْأَلِ
الشَّهْدَ عَنْ نَحْلِهِ وَمَيِّزْ إِذَا مَا اعْتَصَرْتَ الْكُرُومَ سُلَافَةَ عَصْرِكَ مِنْ
خَلِّهِ لِتُغْلِيَ وَتُرْخِصَ عَنْ خِبْرَةٍ وَتَشْرِيَ كُلًّا شَرَى مِثْلَهُ فَغَارَ عَلَى
اللَّوْذَعِيِّ دُخُولَ الْغُبَيْرَةِ فِي عَقْلِهِ قَالَ فَازْدَهَى الْقَوْمَ بِذَكَائِهِ وَرُوَائِهِ
وَاخْتَلَبَهُمْ أَدَاؤُهُ مَعَ دَائِهِ حَتَّى جَمَعَ لَهُ خَبَايَا الْخُبْنِ وَخَفَايَا الثُّبْنِ
وَقَالُوا لَهُ يَا هٰذَا إِنَّكَ حُمْتَ عَلَى ذَكِيَّةٍ نَكْبَةً وَتَعَرَّضْتَ لِحِلْيَةٍ خَلَّةً
فَخُذْ هٰذِهِ الصُّبَابَةَ وَهَبْهَا الْإِخْطَاءَ وَلَا إِصَابَةَ فَتَنَزَّلَ قُلَّهُمْ مِنَ الْكُثْرِ
وَوَصَلَ قَبُولَهُ بِالشُّكْرِ ثُمَّ تَوَلَّى يَجُرُّ شِقَّهُ وَيَنْصِبُ بِالْخَبْطِ طَرْفَهُ قَالَ
الْمُخْبِرُ لِهٰذِهِ الْحِكَايَةِ فَصُوِّرَ لِي أَنَّهُ مُحِيلٌ لِحِلْيَتِهِ مُتَضَعْضِعٌ فِي مِشْيَتِهِ
أَنْهَجُ مِنْهَاجَهُ وَأَقْفُو أَدْرَاجَهُ وَهُوَ يَلْحَظُنِي شَزْرًا وَيُوسِعُنِي هَجْرًا حَتَّى إِذَا

خلا الطريق وأمكن التحقيق نظرتُ إلى نظرِ من هشَّ وكشَّ وما حصَّ بعدما
غشَّ فقال إني لأخالك أخا غربة وآبدَ صحبة فهل لك في رفيق
يرفق بك ويرفق ويشفق عليك ويشفق فقلت له لو أتاني هذا
الرفيق لأتاني التوفيق فقال لي قد وجدت فاغتبط واستكرمت فارتبط
ثم ضحك مليًّا وتمثّل لي بشرًا سويًّا فإذا هو شيخنا السروجي لا ثلمة
بجسمه ولا شبهة في وسمه ففرحت بلقيته وكذب لقوته وهممت
بملامته على سوء مقامته فتحاماه وأنشد قبل أن ألحاه ظهرتُ
برثّةٍ لكيما يقال فقير يرجّي الزمان المرجّى وأظهرتُ للناس أنْ قد
فلجتُ فكم نال قلبي بها ما ارتجى ولولا الرثاثة لم يُرثَ لي ولولا التفلّج
لم ألقَ فلجا ثم قال إنه لم يبق لي بهذه الأرض مرتع ولا في أهلها مطمع
فإن كنتَ الرفيق فالطريقَ الطريقَ فسرنا منها متجرّدين وصاحبته عامين
أجردين وكنت على أن أصحبه ما عشت فأبى الدهر المشتّ المقالة الرابعة

والثلثون وتعرف
حكى الحارث بن همام قال لما جبت البلاد إلى زبيد
صحبني غلام كنت ربيته إلى أن بلغ أشدّه وثقّفته حتى أكمل رشده
وكان قد أنس بأخلاقي وخلب مجانب وفاقي فلم يكن يتخطّى مرامي
ولا يخطئ في المرامي لا جرم أن قربته النائطت بصغري وأخلصته
لحضري وسفري فأودى به الدهر المبيد حين حللنا زبيد فلما
شالت نعامته وسكنت نامته بقيت عاما لا أسيغ طعاما ولا أريغ
غلاما حوى الجانب سوابق الوحدة ومتاعب القومة والقعدة إلى
أن أعتاض عن الدر الخرز وأرتاد من هو سداد من عوز فقصدت
من يبيع العبيد بسوق زبيد وقلت أريد عبدا يُعجب إذا قُلّب ويُحمد
إذا جُرّب وليكن ممن خرّجه الأكياس وأخرجه إلى السوق الإفلاس
فاهتمّ كلٌّ منهم لطلبي ووثب وبذل تحصيله عن كثب ثم دارت
الأهلّة دورها وتقلّبت كورها وحورها وما نجز من وعدهم

وعد ولا نتج لها رعد فلما رأيت النخاسين ناسين او متناسين علمت
ان ليس كل من خلق يفري وان لم يحك جلدي مثل ظفري فرفضت
مذهب التفويض وبرزت الى السوق بالصفر والبيض فاني لا تعرض
الغلمان واستعرض الاثمان اذ عارضني رجل قد اختطم بلثام وقبض
على زند غلام وقال   اشتر مني غلاما صنعا في خلقه وخلقه
قد برعا بكل ما يظن به مضطلعا ينفلك ان قال وان قلت
وعى وان تصبك عثرة يقل لعا وان تنهه السعي في النار سعى وان
تصاحبه ولو يوما رعى وان تقنعه بطلف قنعا وهو على الكيس
الذي قد جمعا ما فاه قط كاذبا ولا ادعى ولا اجاب مطمعا حين دعا
ولا استباح سر او دعا وطالما ابدع فيما صنعا وفاق في النظم
وفي النثر معا والله لولا انني عيش صدعا وصبية اضحوا عراة
جوعا ما بعته بملك كسرى اجمعا فلما تاملت خلقه القويم

وحسنه

وحسنه الصميم خلته من ولدان جنة النعيم وقلت ما هذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لانظر اين
فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا
مرة ولا فاه فوهة ابن امة ولا حرة فضربت عنه صفحا وقلت قبحا
لعييك وشحا وشحا فغاد في الضحك واخذ ثم انغض واسر الي
وانشد شعرا يا من تلهب غيظه اذ لم ابح باسمي له ما هكذا من
ينصف ان كان لا يرضيك الا كشفه فاصخ له انا يوسف ولقد كشف
لك الغطاء فان تكن فطنا عرفت وما اخالك تعرف قال فسرى عني
بشعره واستبى لبي بسحره حتى تدهت عن التحقيق وانسيت قصة يوسف
الصديق ولم يكن لي هم الا مساومة مولاه منه واستطلاع طلع
الثمن لا وفيه وكنت احسب انه سينظر نزرا الي ويغلي الثمن علي
فما حلق الى حيث حلقت ولا اعتلق بما به اعتلقت بل قال ان

أقاله الله عثرته قال الحارث بن همّام فوعدته وعدا ابن الحيا
وفي القلب أشياء فأسندني حينئذٍ الغلام إليه وقبّل ما بين عينيه
وأنشد والدمع يرفضّ من جفنيه شعرا خفّض فدتك النفس ما تلاقي
من برحاء الوجد والإشفاق فما تطول مدّة الفراق ولا تني ركائب
التلاقي بحسن عون القادر الخلّاق ثمّ قال له أستودعك من هو
نعم المولى وشمّر ذيله وولّى فلبث الغلام في زفيرٍ وعويلٍ ريثما
تقطع مدى ميلٍ فلمّا استفاق وكفكف دمعه المهراق قال
أتدري لم أعولت وعلام عوّلت فقلت أظنّ فراق مولاك هو
الذي أبكاك فقال إنّك لفي وادٍ وأنا في وادٍ ولكم بين مريدٍ ومرادٍ
ثمّ أنشد شعرا لم أبك والله على إلفٍ نزح ولا على فوت نعيمٍ وفرح
وإنّما مدمع أجفاني سفح على غبيٍّ خطر حين طمح وبطر حتّى تعنّى وافتضح
وضيّع المنفوسة البيض الوضح وبك أما ناجتك هاتيك الملح بأنّ

حرٌّ وسيمٌ لم يبح إذ كان في يوسف معنى قد وضح قال فمثّلت مقاله في مرآة
المداعب ومعرض الملاعب فتصلّب تصلّب المحقّ وتبرّأ من لطخ الرّقّ
فجعلنا في مخاصمةٍ اتّصلت بملاكمةٍ وأفضت إلى محاكمةٍ فلمّا أوضحنا
للقاضي الصورة وتلونا عليه السورة قال الآن من أنذر فقد
أعذر ومن حذّر كمن بشّر ومن بصّر فما قصّر وإنّ فيما شرحتما
لدليلًا على أنّ هذا الغلام قد نبّهك فما ارعويت ونصح لك فما
وعيت فاستردّ بأهلك واكتمه ولم نفسك ولا تلمه وحذار من
اعتلاقه والطمع في استرقاقه فإنّه حرّ الأديم غير معرّضٍ للتقويم
وقد كان أبوه أحضره أمس قبيل أفول الشمس واعترف بأنّه فرعه
الذي أنشأه وأن لا وارث له سواه فقلت للقاضي أو تعرف أباه
أخزاه الله فقال وهل يجهل أبو زيدٍ الذي جرحه جبارٌ وعند
كلّ قاصٍ له أخبارٌ وأخبارٌ فتحرّقت حينئذٍ وحوقلت وأفقت

العبد إذا نزر ثمنه وخفّت مؤونته تبرّك به مولاه وأتحف عليه
هواه وإنّي لأوثر تحبيب هذا الغلام الملك بأن أخفّف ثمنه عليه
فزن مائتي درهم إن شئت واشكر لي ما حييت فنقدته المبلغ
في الحال كما ينقد في الرخص الحلال ولم يخطر لي ببال أنّ كلّ مرخص
غالٍ فلما تحقّقت الصفقة وحقّت الفرقة هملت عينا الغلام ولا
همول دمع الغمام ثم أقبل على صاحبه وقال لحاك الله هل مثلي يباع
لكيما يشبع الكرش الجياع وهل في شرعة الإنصاف أنّي أكلّف خطّة لا
تستطاع وأن أبلى بروع بعد روع ومثلي حين يبلى لا يراع أما جرّبت
منّي نصائح لا يمازجها خداع وكم أرصدتني شركًا لصيد فعدت وفي
حبائلي السباع ونطت بي المصاعب فاستقادت مطاوعة وكان
بها امتناع وأيّ كريهة لم أبل فيها وغنم لم يكن لي فيه باع وما
أبدت لي الأيام جرمًا فيكشف في مضاربي القناع ولم نعثر بحمد الله

منّي

منّي على عيب بكتم أو بذاع فأنّى ساغ عندك نبذ عهدي كما نبذت برا
الصناع ولم تبحث فترزنك بامتهاني وأن أشرى كما تشرى المتاع وهلّا
صنت عرضي عنه صون حديثك يوم جدّ بنا الوداع وقلت لمن
يساوم فيّ هذا كتاب فما يعار ولا يباع فما دون ذاك الطرف لكن
طباعك وفقها تلك الطباع على أنّي سأنشد عند بيعي أضاعوني وأيّ
فتى أضاعوا قال فلما وعى الشيخ أبياته وعقل مناغاته تنفّس الصعداء
وبكى حتى أبكى البعداء ثم قال لي إنّي أحلّ هذا الغلام محلّ ولدي
ولا أميّزه عن أفلاذ كبدي ولولا خلوّ مراحي وخبوّ مصباحي لما
درج عن عشّي إلى أن يشيّع نعشي وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين
والمؤمن هيّن ليّن فهل لك في تسلية قلبه وتنزيه كربه بأن
تعاهدني على الإقالة فيه متى استقلت وأن لا تستقيلني إذا
نقلت ففي الآثار المنقولة المرويّة عن الثقات من أقال نادمًا بيعته

ولكن حين فات الوقت وأيقنت أن لثامه كان شَرَكَ مكيدة وبيتَ قصيدة

فنكست طرفي فيما لقيتُ وآليتُ أن لا أعامل متلثمًا ما بقيتُ ولم أزل

آناً أحرّ صفقتي والانفصال بين رفقتي فقال لي القاضي حين رأى

امتعاضي وحرارة ارتماضي يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك ولا أجر

إليك من أيقظك فاغتبط بما نابك واكتم أصحابك ما أصابك

وتذكر أبدًا ما دهمك لتنفي الذكرى دراهمك وتخلّق بخلق من ابتلي

فصبر وتجلت له العبر فاعتبر فودعته لابسًا ثوب الخجل والحزن بما

ذيل الغبن والغبن وتوخيت مكاشفة أبي زيد بالهجر ومصارمته

يد الدهر فجعلت أتنكب عن ذراه وأتجنب أن أراه إلى أن غشيني

في طريق ضيق فحياني تحية شيق فما زدت على أن عبستُ وما

نبستُ فقال ما بالك شمخت بأنفك على إلفك فقلت ألست

أنت احتلت وختلت وفعلت فعلتك التي فعلت فاضطرب

متهاديا

متهاديًا ثم أنشد مناديًا شعرا يا من بدا عنه صدود موحش

وتجهم وغدا يريش ملامه من دون غير الأسهم ويقول هل حرٌّ يباع كما يباع

الأدهم أقصر فما أنا منه بدعًا مثل ما تتوهم قد باعت الأسباط

قبلي يوسفا وهم هم هذا وأقسم بالتي تسري إليها المتيم والطائفين

بها وهم شعث النواصي سهم ما ثمن ذاك الموقف المخزي وعندي

درهم فاعذر أخاك وكف عنه ملام من لا يفهم ثم قال أما

معذرتي فقد لاحت وأما دراهمك فقد طاحت وإن كان

اقشعرارك مني وازورارك عني لفرط شفقتك على غبر نفقتك فلك

ممن يلسع مرتين ويوطأ على جمرتين وإن كنت طويت كشحك وأطعت

شحك لتستفيد ما علق بأشراكي فليبك على عقلك البواكي قال

الحارث بن همام فاضطرني بلفظه الخالب وسحره الغالب إلى أن

عدت له صفيًّا وببره حفيًّا ونبذت فعلته ظهريًّا وإن كان شيئًا فريًّا

المقامة الحادية والثلثون حكى الحارث بن همام قال مررت بتطوافي بثراز

على نادٍ يستوقف المجتاز ولو كان على أوفاز فلم أستطع تعدّيه ولا تخطّي

قدمي في تخطّيه فعجت إليه لأسبر سرّ جوهره وأنظر كيف ثمره من

زهره فإذا أهله أفراد والعلائج الهام مفاد وبينما نحن في فكاهة أطرب

من الأغاريد وأطيب من حلب العناقيد إذ أحقف بنا ذو طمرين قد

كاد يناهز العمر بن يحيى بلسانٍ طليقٍ وأبان إبانة منطيقٍ ثم احتبى

حبوة المتندّين وقال اللهم اجعلنا من المهتدين فازدراه القوم لطمريه

ونسوا أن المرء بأصغريه وأخذوا يتداعون فصل الخطاب ويعدّون

عوده من الأحطاب وهو لا ينبس بكلمة ولا يبين عن سمة إلى أن سبر

قرائحهم وخبر بلاغتهم وقرائحهم فحين استخرج دفائنهم واستثار كنائنهم

قال يا قوم لو علمتم أن وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا الأخلاق

ولا قلتم ما له من خلاقٍ ثم فجّر من ينابيع الأدب والنكت النخب ما حلب

به بدائع العجب واستوجب أن يكتب بذوب الذهب فلما خلب

كل خلبٍ وقلب إليه كل قلبٍ تخلخل ليرحل وتأهّب ليذهب

فعلقت الجماعة بذيله وعاقت سرب سيله وقالت له قد أتيتنا

وثم قد حلت فخبّرنا عن فصلك ومحلّك فصمت صموت من أفحم

ثم أعول حتى رحم قال الراوي فلما رأيت شؤبوب أبي زيد ودوبره

أسلوبه المألوف وصوبه تأملت الشيخ على سومه محيّاه وسموّ كرّنا

فإذا هو أباه فكتمت سرّه كما يكتم الداء الدخيل وسترت مكره وإن

لم يكن بجميل حتى إذا نزع عن إعواله ووقد عرف عتوري على حاله

رمقني بعين مضحاكٍ ثم طفق ينشد بلسانٍ مبتاكٍ أستغفر الله

وأعوله من قرطاتٍ أثقلت ظهري يا قوم كم من عاتقٍ عانسٍ ممدوحةٍ

الأوصاف في الأندية قتلتها لا آتقي وأرتنا بطلب مني قودًا أو دية

وكلما استدنت في قتلها أحللت بالذنب على الأقضية ولم

نزل بقضي في غيها وقتلها الابكار متتربة حتى نهاني الشيب لما
بدا في مفرقي عن تلكما المعصية فلم ارق مذ شاب فودي دما من
عاتق يوما ولا مصبية وها انا الان على ما ترى مني ومن حرفتي
المكدية اربّ بكرا طال تعنيسها وحجبها حتى عن الاهوية وهي على
التعنيس مخطوبة كخطبة الغانية المغنية ولكن يكفيني لتجهيزها على
الرضا بالدون الامنة واليد لا توكي على درهم والارض قفر
والسماء مصحية فهل معين لي على نقلها مصحوبة بالفتية الملهية
فيغسل الهم بصابونه والقلب من افكاره المضنية ويقتني مني
الثناء الذي يضوع رياه مع الادعية قال فلم يبق في الجماعة الا
من نديت له كفه وانباع اليه عرفه فلما نجحت بغيته وكملت منيته
اخذ يثني عليهم بصالح ويشمر عن ساق سارح قال الحارث بن همام
فتبعته لاستعرف ربيته حذر ومن فتك في حدثان امره فكان

وشك

وشك قيامي مثل له مرامي فازدلف مني وقال افقه عني
فقل لمثلي يا صاح مزج المدام لبس قتلي بالهذيم او حسام والتي عنيت
هي البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام وتجهيزها الى الكاس و
الطاس قيامي الذي ترى ومقامي فتفهم ما قلته وتحكم في النصح
ان شئت او في الملام ثم قال انا عربيد وانت رعديد وبيننا بون
بعيد ثم ودعني وانطلق وزودني نظرة من ذي علق

المقامة السادسة والثلثون وتعرف

اخبر الحارث بن همام قال انخت بملطية
مطية البين وحقيبتي ملأى من العين فجعلت هجيراي مذ القيت
بها عصاي ان اتورد موارد المرح واتصيد شوارد الملح فلم يفتني
بها منظر ولا مسمع ولا خلا مني ملعب ولا مرتع حتى اذا لم يبق لي
فيها مارب ولا في الثواء بها مرغب عمدت لانفاق الذهب
في ابتياع الاهب فلما اكملت الاعداد وتهيا الظعن منها وكاد

دأبت بفتية رهط قد سناوا فهوة وارتبوا ادبوة ودماثتهم قد
الالحاظ وفكاهتهم حلو الالفاظ فنحوت نحوهم طلبا للمفاد منهم لا
لمدامهم وشعفا بمحادثتهم لا بزجاجهم فلما انتظمت عاشرهم
واصحبت معاشرهم الفيتهم ابناء علات وقذائف فلوات الا
ان لحمة الادب قد الفت شملهم الفة النسب وساوت بينهم
في الرتب حتى لاحوا مثل كواكب الجوزاء وكالجملة المتناسبة الاجزاء
فاعجبني الاهتداء اليهم واحمدت الطالع الذي اطلعني عليهم و
فطفقت اقبس بقدحي مع قداحهم واستشفي بمحاجاتهم لا براحهم
حتى ادتنا شجون المفاوضة الى التحاجي بالمقاصير كقولك اذا عنيت
من الكرامات ما مثل النوم مات فانشأنا نجلو السها والقمر ونجني الشوك
والثمر وبينا نحن ننثر القشيب والرث وننثل الثمين والغث طلع علينا
شيخ قد ذهب حبره وسبره وبقي خبره وسبره فمثل مثول من يسمع وينظر

ويلتقط

ويلتقط ما انتثر الى ان نفضت الاكياس وحصحص الياس فلما راى
احبال القرائح واكداء المائح والمائح جمع اذياله وولى ناقدا له
وقال ما كل سوداء تمرة ولا كل صهباء خمرة فاعتلقنا به اعتلاق
الحرباء بالاعواد وضربنا دون وجهته بالاسداد وقلنا له
ان دواء الشق ان يحاص والا فالقصاص القصاص فلا تطمع
في ان تجرح وتجرع وتنهر الفتق وتبرح فلوى عنانه راجعا ثم
جثم بمكانه راضعا وقال اما اذا استمتموني بالبحث فساحكم حكم
سليمان في الحرث اعلموا يا ذوي التمايل الادبية والتمول الذهبية
ان وضع الاحاجي لامتحان الالمعية واستخراج الخبية الخفية
وشرطها ان تكون ذات مماثلة حقيقية والفاظ معنوية ولطيفة
ادبية فمتى نافت هذا النمط ضاهت السقط ولم تدخل القط
ولم اركم حافظتم على هذه الحدود ولا ميزتم بين المقبول والمردود

فقلنا له صدقت فكِل لنا من لُبابك وأفِض علينا من عُبابك فقال
أفعل لئلا يرتاب المبطلون ويظنوا بي الظنون ثم أقبل ناطورَ
القوم وقال يا من سما بذكاء في الفضل واري الزناد ماذا
يماثل قولي جوعٌ أُمِدّ بزادِ ثم ضحك إلى الثاني وأنشد يا ذا الذي
فاق فضلاً ولم يدنّسه شينُ ما مثل قول المحاجي ظهر أصابه عين
ثم لحظ الثالث وأنشأ يقول يا من نتائج فكره مثل النقود
الجائزة ما مثل قولك للذي حاجيت صادف جائزة ثم انثنى إلى
الرابع أيا مستنبط الغامض من لغزٍ وإضمارِ ألا اكشف لي ما مثل
تناول ألف دينارِ ثم الخامس ببصره وأنشد يا أيهذا الألمعي
أخا الذكاء المنجلي ما مثل أهمل حلية بين هدبٍ وعجلِ ثم
التفت إلى السادس وقال يا من تقصر عن مداه خطا مجاريه
ويضعف ما مثل قولك للذي أضحى يحاجيك اكفف كفه ثم جلج

السابع بحاجبه وقال البسيط يا من له فطنة تجلت ورتبة في الذكاء
جلت بيني فما زلت ذا بيانِ ما مثل قولي الشقيق أفلت ثم استنصت
الثامن وأنشد يا من حوى فضله مطاولة الأذهان غضنفر ما
مثل قولك للمحاجي ذي الحجى ما اختار فضة ثم خلج التاسع ببصره وقال
يا من يشار إليه في القلب الزكي وفي البراعة أوضح لنا ما مثل قول
للمحاجي دُس جماعة قال الراوي فلما انتهى إلى هزّ منكبيه وقال يا من له النكت
التي يُشجي الخصوم بها ويبكّت أيها المبين وقل لنا ما مثل قولي لحا
أُسكت ثم قال قد أهلتكم وأمهلتكم وإن شئتم أعلمتكم علّتكم قال
فألجأنا لهب الغلل إلى استشفاء العلل فقال لست كمن يتأنّز على نديمه
ولا ممن يمنّه في أديمه ثم كرّ عليّ وأنشد وقال يا من إذا أشكل الأحاجي
جلته أفكاره الدقيقة إن قال يوماً لك المحاجي خذ بلك ما مثله
حقيقة ثم شاحه إلى الثاني وقال يا من بدا بأنه عن فضله

مبيّنا ماذا مثال قولهم حمار وحش تبيّنا ثم أوحى إلى الثالث بلحظه وأنشد

يا من عدا في فضله وذكائه كالأصمعي ما مثل قولك للذي

حاجاك أنفق تقمع ثم حملق إلى الرابع وقال يا من إذا ما عويص نحو أتاه

ظلامه ماذا يماثل قولي استنش ريح مدامه ثم أومض إلى الخامس وقال

يا من نزّه فهمه عن أن يروع ويشكا ما مثل قولك للذي أضحى يحاجي

عظ هلكا ثم أقبل على السادس وأنشد يا أيها الفطنة التي بان فيها كماله

سار بالليل مدة أي فتى مثاله ثم تخاوص إلى السابع وقال يا من

تجلّى بفهم أقام في الناس سوقه لك البيان فبيّن ما مثل أجب فروقه

ثم قصد الثامن وأنشد يا من نبا ذو تقى في الفضل

فأمن كل ذي وغى ما مثل قولك لعاطر ابن يفا يلوح بغير عروة ثم التفت

إلى التاسع وقال يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك

ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء النور ملكي ثم قبض بجمعه على ردني

وقال

ردني وقال يا من سما بثقوب فطنته في المشكلات وثوب كوكبه

ماذا مثال لصغير جحفله بيّنه تبيانا أنبئتم به قال الراوي فلما اطّربنا بما

سمعناه وطالبناه بكشف معناه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان

ولا لنا بحل هذه العقد يدان فإن أبنت مننت وإن كتمت عممت

فظل يشاور نفسه ويقلب قدحه حتى هان بذل الماعون عليه

فأقبل على الجماعة وقال سأعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ولأطلعنّ

أنكم تعلمون فأوكوا عليه الأوعية وقصوا إبر الأندية ثم أخذ

في تفسير صقل به الأذهان واستفرغ معه الأردان حتى أضاء

الأفهام أنور من الشمس والأحكام كأن لم تغن بالأمس ولما همّ بالمفر

سئل عن المقر فتنفس كما تنفس الثكول ثم أنشأ يقول كل غيب

لي شعب وبه ربعي رحب غير أني يبروج مستهام القلب صبّ هي

أرض البكر والجو الذي منه المهبّ وإلى دوحتها الغنّاء دون

الروضِ أصبو أما حلا لي بعدها حلوٌ ولا اعذوذب عذبُ قال الراوي
فقلتُ لأصحابي هذا أبو زيد السروجي الذي أدّى مُلَحَ الأحاجي و
جعلتُ أصِفُ لهم حُسنَ توشيتِه وانقيادَ الكلامِ لمشيئتِه ثم التفتُّ
فإذا به قد طمر ونأى بما أمر فتعجبنا مما صنع ولم ندرِ أين سكع وصقع

تفسير الأحاجي المودعة في هذه المقامة أما مجوع أمد

برادٍ فمثله الفاصلة وأما تناول ألف دينار فمثله هادية وأما
أهمل حلية فمثله الغاشية وأما أكفف أكفف فمثله مهم وأما النفيق
انفلت فمثله الأخطار وأما ما اختار فضة فمثله ابا دفر لأن الرقة من
أسماء الفضة وقد نطق بها النبي صلى الله عليه وآله فقال في الرقة ربع
العشر وأما ادرس جماعة فمثله طائفة الطافية التي تطفو فوق الماء وأما
خالي اسكت فمثله خالصه لأنك إذا ناديت مضافا إلى نفسك جاز لك
حذف الياء وإثباتها ساكنة ومتحركة وقد حذف ههنا حرف النداء كما حذف

طوامير وأما طمر أصابته عين فمثله مطاعين وأما صادف جائزة فمثله

في أصل

في أصل الأحجية وصه بمعنى اسكت وأما خذ تلك فمثله هاتيك وأما حما
وحش دنيا فمثله قرابين لأن القرا حمار الوحش ومنه الخبر كل الصيد في جوف
الفرا وأما قولك انفق نقم فمثله منعم لأن الأمر من مان يمون من ومصدر
ونقمت نقم وأما استنشق ريح مدامة فمثله شمراح لأن الأمر من شم شم والراح
وأما غط هلكى فمثله صنبور لأن البور هم الهلكى وفي القرآن وكنتم قوما بورا
وأما سار بالليل مدة فمثله سراحين وأما جنب فزع فمثله مقلاع لأن
الأمر من وقى ق واللاع الجزوع الجبان يقال فلان هاع لاع إذا كان جبانا
جزوعا وأما أعطا ابريقا بلوح بغير عروة فمثله اسكوب لأن الأمر من العطا
والأمر منه اس والكوب الإبريق بغير عروة وأما الثور ملكي فمثله اللالي لأن
اللا على وزن القنا وهو ثور الوحش وأما صفير جمله فمثله مكاشفه لأن
المكا الصفير قال الله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية
والأصل في المكا المد وقد قصره في هذه الأحجية كما حذف الهمزة في القرا

[illegible]

وكلا الأمرين من قصر المد ووحدة الممزوج بها **المقامة السابعة والثلثون**

حكى الحارث بن همام قال أصعدت إلى صعدة وأنا ذو نطارة تحكي الصعدة
واشتداد يزيد به نبات صعدة فلما رأيت نضرتها واستحضرت ناسها
تخاذلت الرواة عن تخويفي من السراة ومعادن الخيرات لأتخذ حذوة
في الظلماء ونجوماً في الظلمات فنعت لي قاض بها رحيب الباع خصيب
الرباع نميمي النسب والطباع فلم أزل أتقرب إليه بالإلمام وأستفوق عليه
بالإجمام حتى صرت صدى صوته وسلمان بيته وكنت مع اشتيار
شهده وانتشاق رنده أشهد مشاجر الخصوم وأسفر بين المعصوم
منهم والموصوم فبينما القاضي جالس للأسجال في يوم المحفل والاحتفال
إذ دخل شيخ بالي الرياش بادي الارتعاش فتبصر الحفل تبصر نقادم
زعم أن له خصماً غير منقاد فلم يكن إلا كضوء شرارة أو وحي شارة
حتى أحضر غلام كأنه ضرغام فقال الشيخ أيد الله القاضي وعصم من

التغاضي

التغاضي إن ابني هذا كالقلم الردي والسيف الصدي يجهل أوصاف الإنصاف
ويرضع أخلاف الخلاف إن أقدمته أحجم وإذا أعربته أعجم وإن أذكيته
أخمد ومتى ثوبته ركد مع أني كفلته مذ دب إلى أن شب وكنت له
ألطف من ربي وربت فأكبر القاضي ما شكا إليه وأطرق برهة من حواليه
ثم قال أشهد أن العقوق أحد الثكلين ورب عقم أقر للعين فقال
الغلام وقد أمضه هذا الكلام والذي نصب القضاة للعدل و
ملكهم أعنة العقد والفصل إنه ما دعى قط إلا آمنت ولا ادعى
إلا أمنت ولا ألوى إلا وأخرت ولا أودى إلا وأصرت سيد أنه كمن يبغي
بيض الأنوق ويطلب الطيران من النوق فقال له القاضي ويم أعنتك
وأمحر طلعتك قال إنه مذ صفر من المال وموي بالإمحال يسومني
أن ألظ بالسؤال وأستمطر سحب النوال ليفيض شره الذي غاض ويجبر
من حاله ما انهاض وقد كان حين أخذني بالدرس وعلمني أدب النفس

اُشرِبَ قلبي انّ الحرص متعبة والطمع معتبة والشرّة متهمة والمسئلة مذلّة

ثمّ انشد من قلق فيه وتحت قوافيه
ارضَ بادنى العيش واشكر عليه

شكر من القلّ كثيرٌ لديه وجانب الحرص الذي لم يزل يحطّ قدر المرء

اليه وحام عن عرضك واستبقه كما يحامي الليث عن لبدتيه ولا ترق

ماء المحيا ولو خوّلت المسؤول ما في يديه واصبر على ما ناب من فاقة

صبر اولي العزم واغمض عليه فالحرّ من ان قذيت عينه اخفى قذى جفنيه

عن ناظريه ومن اذا اخلق ديباجه لم يرَ ان يُخلق ديباجتيه قال المخبر

النجح واكفهرّ واندرء على ابنه وهمّ فقال له صه يا عقوق يا من هو

الشجى والشرق ويلك اتعلّم امّك البضع وظئرك الارضاع لقد حككت

العقرب بالافعى واستنّت الفصال حتى القرعى ثمّ كانّه ندم على ما فرط

من فيه وحدثت الشفقة على تلافيه فرنا اليه بعين عاطف وخفض

له جناح ملاطف وقال ويك يا بنيّ انّ من امر بالقناعة وزجر عن

هم ارباب البضاعة واولو المكسبة بالصناعة فامّا ذوو الضرائب فقد

سوّغوا المحظورات واستثنى عليهم في المحظورات وهبك جهلت هذا

التاويل ولم يبلغك ما قيل ألستَ الذي عارض اباه اذ قال وما انا

لا تقعدنّ على ضرٍّ ومسغبةٍ لكي يقال عزيز النفس مصطبرُ

وانظر بعينك هل ارضٌ معطّلةٌ من النبات كارضٍ حفّها الشجرُ

فعدّ عمّا يشير الاغبياء به فايّ فضلٍ لعودٍ ما له ثمرُ وارحل ركابك

عن ربعٍ ظمئت به الى الجناب الذي يهمي به المطر واستنزل الريّ من

درّ السحاب فان بلّت يداك به فليهنك الظفر وان رددت فما في

الردّ منقصة عليك قد ردّ موسى قبلُ والخضر فلمّا راى القاضي

تنافي قول الفتى وفعله وتحليه بما ليس من اهله نظر البعير غضبي

وقال اتميميّاً مرّةً وقيسيّاً اخرى افٍّ لمن ينقض ما يقول ويتلوّن

كما يتلوّن الغول فقال له الغلام والذي جعلك مفتاحاً للخير

وقال يا ابن الحلق لقد أسيت مذ أسيت وصدئ ذهني مذ صديت
على أنه أين أبان الفتح والعطاء السح وهل يغني من يتبرع باللهى
وإذا استطعم يقول هاها فقال له القاضي مه فمع الخواطئ سهم صائب
وما كل برق خالب بمثير الروق فإذا شمت ولا تشهد إلا بما علمت فلما
تبين للشيخ أن القاضي قد غضب للكرام وأعظم تخجيل جميع الأنام علم
أنه سينصر كلمته ويظهر أكرومته فما كذب أن نصب شبكته وسوى
في الحريف سمكته وأنشأ يقول   يا أيها القاضي الذي علمه وحلمه أرجح
من رضوى قد ادعى هذا على جهله أن ليس في الدنيا أخو جدوى
وما درى أنك من معشر عطاؤهم كالمن والسلوى فجد بما يشبه
مستجريا فيما أفترى من كذب الدعوى وانثن جذلان أثني بما أوليت
من جدوى ومن عدوى قال فهش القاضي لقوله وأجزل له من
طوله ثم لفت وجهه إلى الغلام وقد نصل له أسهم الملام وقال له

ادابت

أدأبت بطل زعمك وخطأ وهمك فلا تعجل بعدها بذم ولا تنحت
عودا قبل عجم وإياك وتأبيك عن مطاوعة أبيك فإنك إن عدت
تعقه حاق مني بك ما تستحقه فسقط الفتى في يده ولاذ بحقو
ثم نهض بجهد وتبعه الشيخ ينشد من ضامه أو ضاره دهره
فليقصد القاضي في صعدة سماحه أزرى بمن قبله وعدله
أتعب من بعده قال الراوي فحرت بين تعرفي الشيخ وتنكيره
إلى أن أجروروق لمسيره فناجيت النفس باتباعه ولو إلى دماغ
لعلي أظهر على أسراره وأعرف شجرة نجاره فنبذت العلق وانطلقت
حين انطلق ولم يزل يخطو وأعتقب ويبعد وأقترب إلى أن نزل
الشخصان وحق التعارف على الخلصان فأبدى الاهتشاش
ورفع الارتعاش وقال من كاذب أخاه فلا عاش فعرفت عند
ذلك أنه السروجي بلا محالة ولا حول حالة وبادرت إليه لأصافحه

واستعرف سانحه وبارحه فقال دونك ابن أحيك البر وكنى

ومر فلم تعد الفتى أن أقفر ثم فر كما فر مغدت وقد استبنت عينهما

ولكن لم أستبن أينهما

المقامة الثالثة والثلثون

حكى الحارث بن همام قال

حبب إلي مذ سعت قدمي ونفثت قلمي أن أتخذ الأدب شرعة والاقتباس

منه نجعة فكنت أنقب عن أخباره وخزنة أسراره فإذا ألفيت

منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت يدي بغرزه وخزنه

أسراره فإذا ألفيت منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت

يدي بغرزه واستنزلت منه زكاة كنزه على أني لم ألق كالسروجي

غزارة السحب ووضع هناء مواضع النقب إلا أنه كان أسير من المثل

وأسرع من القمر في النقل وكنت لهوى ملاقاته واستحسان مقاماته

أرغب في الإغتراب وأستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب

فلما تطوحت إلى مرو ولا غرو وبشرني بملقاه زجر الطير والفال الذي

هو يبدل الحين فلم أزل أنشده في المحافل وعند تلاقي القوافل فلا أجد

عنه مخبرا ولا أرى له أثرا ولا عثيرا حتى غلب اليأس على الطمع وانزوى

التأميل وانقمع فإني لذات يوم بحضرة والي مرو وكان ممن جمع

الفضل والثرو إذ طلع أبو زيد في خلق مملاق وخلق ملاق فحيا

الوالي تحية المحتاج إذا لقي رب التاج ثم قال له اعلم وقيت الذم

وكفيت الهم أن من عذقت به الأعمال أعلقت به الآمال ومن

رفعت له الدرجات رفعت إليه الحاجات وأن السعيد من إذا قدر

ووافاه القدر أدى زكاة النعم كما يؤدى زكاة النعم والتزم لأهل

الحرم وقد أصبحت بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك ترجى الركائب

إلى حرمك وترجى الرغائب من كرمك وتنزل المطالب بساحتك

وتستنزل الراحة من راحتك وكان فضل الله عليك عظيما ثم

إني شيخ ترب بعد الإتراب وعدم الإعشاب حين شاب فصدتك

من مخيلته ناجحٍ وحاله رائجٍ أمل من تحرّكك دفعةً ومن جاهك رفعةً
والتأميل أفضل وسائل السائل ونائل النائل فأوجب لي ما يجب
عليك وأحسن كما أحسن الله إليك وإياك أن تلوي عذارك عمّن
أنذارك وأمّ دارك أو تنقبض راحتك عمّن امتاحك وأمّ سماحك
فوالله ما مجد من جمد ولا رشد من حشد بل اللبيب من إذا وجد جاد
وإن بدئ بعائدة عاد والكريم من إذا استوهب لم يهب أن يهب
ثمّ أمسك يرقب أكل غرسه ويرصد مطية نفسه وأحبّ الوالي
أن يعلم هل نطفته ثمد أم لقريحته مدد فأطرق يروّي في استيراء
زنده واستشفاف فرنده والتبس على أبي زيد سرّ صمته وسبب
إبطاء صلته فنزع غضبا وأنشد مقتضبا **شعر**

لا تحقرنّ أبيت اللعن ذا أدبٍ ... لأن بدا خلق السربال سبروتا
ولا تضع لأخي التأميل حرمته ... أكان ذا لسنٍ أم كان سكّيتا

وانقع

وانقع بعرفك من وافاك مختبطا ... وانعش بعونك من ألفيت منكوتا
فخير مال الفتى مالٌ أشاد به ... ذكرا تناقله الركبان أو صيتا
وما على المثري حمدا بموهبةٍ ... غبنٌ ولو كان ما أعطاه ياقوتا
لولا المروءة ضاق العذر عن فطنٍ ... إذا اشرأبّ إلى ما جاوز القوتا
لكنّه لابتناء المجد جدّ ومن ... حبّ السماح ثنى نحو الغنى ليتا
وما تنشّق نشر الشكر ذو كرمٍ ... إلّا وآزرى بنشر المسك مفتوتا
والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما ... حتّى لقد خيل ذا ضبّا وذا حوتا
والسمح في الناس محبوبٌ خلائقه ... والجامد الكفّ لا ينفكّ ممقوتا
وللشحيح على أمواله عللٌ ... يوسعنه أبدا ذمّا وتبكيتا
فجد بما جمعت كفّاك من نشبٍ ... حتّى يرى مجتدي جدواك مبهوتا
وخذ نصيبك منه قبل رائعةٍ ... من الزمان تريك العود منحوتا
فالدهر أنكد من أن يستمرّ به ... حالٌ تكرّهت تلك الحال أم شيتا

فقال له الوالي تالله لقد احسنت فأي ولد الرجل انت فنظر اليه
عن عرض ثم انشد وهو معض   لا تسأل المرء من ابوه ورز
خلاله ثم صله او فاصرم   فما يشين السلاف حين حلا مذاقها
كونها ابنة الحصرم قال فقربه الوالي لبيانه الفائق حتى احله بمقعد
الخانق ثم فرض له من صوب نيله ما آذن بطول ذيله وقصر ليله
فنهض عنه بردنين ملآنين وقلب جذلان وتبعته حاذيا حذوه
ووافيا خطوه حتى اذا خرج من بابه وفصل عن غابه قلت له
هنئت بما اوتيت ومليت بما اوليت فاسفر وجهه وتلألأ وولى
يشكر الله تعالى ثم خطر اختيالا وانشد ارتجالا   من يكن نال
بالحماقة حظا او سما قدره لطيب الاصول فبفضلي انتفعت لا بفضو
لي وبقولي ارتفعت لا بقبولي ثم قال نعما لمن جذب الادب وطوبى
لمن جد فيه فدأب ثم ودعني وذهب واودعني اللهب المقامة الثالثة والثلثون

اخبر

اخبر الحارث بن همام قال لهجت مذ اخضر ازاري وبقل عذاري
بان اجوب البراري على ظهور المهاري انجد طورا واسلك تارة
غورا حتى قلبت المعالم والمجاهل وبلوت المنازل وادمنت السنابك
والمناسم وانضيت السوابق والرواسم فلما مللت الاصحار وقدح
لي ادب بصحار فملت الى اختبار التيار واختبار الفلك السيار فقلت
اليه اساودي واستصحبت زادي ومزاودي ثم ركبت فيه ركوب
حاذر ناذر عاذل لملقيه وعاذر فلما شرعنا في القلعة ودفعنا الشراع
للترعرع سمعنا من شاطئ المرسى حين دجى الليل واغسى هاتفا يا اهل   يقول
ذا الفلك القويم المزجى في البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فقلنا له اقبسنا نارك ايها الدليل
وارشدنا كما يرشد الخليل فقال اتستصحبون ابن سبيل زاده
في زبيل وظله غير ثقيل وما يبغي سوى مقيل فاجمعنا على الحنو

الْبِهِ وَأَنْ لَا تَبْخَلَ بِالْمَاعُونِ عَلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى الْفُلْكِ قَالَ أَعُوذُ
بِمَالِكِ الْمُلْكِ مِنْ مَسَالِكِ الْهُلْكِ ثُمَّ قَالَ إِنَّا رُوِّينَا فِي الْأَخْبَارِ الْمَنْقُولَةِ
عَنِ الْأَحْبَارِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا أَخَذَ عَلَى الْجُهَّالِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ
عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُعَلِّمُوا وَإِنَّ مَعِي لَعُوذَةً عَنِ الْأَنْبِيَاءِ مَأْخُوذَةً وَعِنْدِي
لَكُمْ نَصِيحَةٌ بَرَاهِينُهَا صَحِيحَةٌ وَمَا وَسِعَنِي الْكِتْمَانُ وَلَا مِنْ شِيَمِي الْحِرْمَانُ
فَاسْتَوْضِحُوا الْمَقَالَةَ وَتَفَهَّمُوا وَاعْمَلُوا بِمَا تَعْلَمُونَ وَعَلِّمُوا ثُمَّ صَاحَ صَيْحَةَ
الْمُبَاهِي وَقَالَ أَتَدْرُونَ مَا هِيَ هِيَ وَاللَّهِ حِرْزُ السَّفْرِ عِنْدَ مَسِيرِهِمْ فِي الْبَحْرِ
وَالْجُنَّةُ مِنَ الْغَمِّ إِذَا جَاشَ مَوْجُ الْيَمِّ وَبِهَا اسْتَعْصَمَ نُوحٌ يَوْمَ الطُّوفَانِ
وَنَجَا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْحَيَوَانِ عَلَى مَا صَدَعَتْ بِهِ آيُ الْقُرْآنِ ثُمَّ قَرَأَ
بَعْدَ أَسَاطِيرَ تَلَاهَا وَزَخَارِفَ جَلَاهَا وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا
وَمُرْسَاهَا ثُمَّ تَنَفَّسَ تَنَفُّسَ الْمُغْرَمِينَ أَوْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُكْرَمِينَ وَقَالَ أَمَّا
أَنَا فَقَدْ قُمْتُ فِيكُمْ مَقَامَ الْمُبَلِّغِينَ وَنَصَحْتُ لَكُمْ نُصْحَ الْمُبَالِغِينَ وَسَلَكْتُ

بكم

بِكُمْ مَحَجَّةَ الرَّاشِدِينَ فَاشْهَدِ اللَّهُمَّ وَأَنْتَ خَيْرُ الشَّاهِدِينَ قَالَ الْحَارِثُ
بْنُ هَمَّامٍ فَأَعْجَبَنَا بَيَانُهُ الْبَادِي الطَّلَاوَةِ وَعَجَّتْ لَهُ أَصْوَاتُنَا بِالتِّلَاوَةِ
وَأَكْثَرَ قَلْبِي مِنْ جَرْسِهِ مَطْلَعَ شَمْسِهِ فَقُلْتُ لَهُ بِالَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ
اللُّجِّيَّ أَلَسْتَ السَّرُوجِيَّ فَقَالَ لِي بَلَى وَهَلْ يَخْفَى ابْنُ جَلَا فَأَحْمَدْتُ
السَّفَرَ وَسَفَرْتُ لَهُ عَنْ نَفْسِي إِذْ سَفَرَ وَلَمْ نَزَلْ نَسِيرُ وَالْجَوُّ صَحْوٌ وَالْبَحْرُ رَهْوٌ
وَالْعَيْشُ صَفْوٌ وَالزَّمَانُ لَهْوٌ وَأَنَا أَجِدُ لِلُقْيَانِهِ وَجْدَ الْمُثْرِي بِعِقْيَانٍ
وَأَفْرَحُ بِمُنَاجَاتِهِ فَرَحَ الْغَرْثَانِ بِمَجَانِيهِ إِلَى أَنْ عَصَفَتِ الْجَنُوبُ وَعَسَفَتِ
الْجَنُوبُ وَنَسِيَ السَّفْرُ مَا كَانَ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَمِلْنَا
لِهَذَا الْحَادِثِ الثَّائِرِ إِلَى إِحْدَى الْجَزَائِرِ لِنُرِيحَ وَنَسْتَرِيحَ رَيْثَمَا تَنْوَانِي الرِّيحُ
فَتَمَادَى اعْتِيَاصُ الْمَسِيرِ حَتَّى نَفِدَ الزَّادُ غَيْرُ الْيَسِيرِ فَقَالَ لِي أَبُو زَيْدٍ
إِنَّهُ لَنْ يُجْتَنَى الْعُودُ بِالْقُعُودِ فَهَلْ لَكَ فِي اسْتِثَارَةِ السُّعُودِ بِالصُّعُودِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي لَأَتْبَعُ لَكَ مِنْ ظِلِّكَ وَأَطْوَعُ مِنْ نَعْلِكَ فَنَهَدْنَا إِلَى الْجَزِيرَةِ

على ضعف من المرية ليركض في امتراء المبرة وكلانا لا يملك فتيلا ولا
نهتدي فيها سبيلا وأقبلنا نجوس خلالها ونتفيأ ظلالها حتى أفضينا
إلى قصر مشيد له باب من حديد ودونه زمرة من عبيد فناسمناهم
لنتخذهم سلما إلى الارتقاء وأرشية للاستقاء فألفينا كلا
منهم في شغل كبير وكرب أسير فقلنا أيتها الغلمة لم هذه الغمة
فلم يجيبوا النداء ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء فلما رأينا نارهم
نار الحباحب وخيرهم كسراب السباسب قلنا شاهت الوجوه
وقبح اللكع ومن يرجوه فابتدر خادم قد علته كبرة وعرته عبرة
وقال يا قوم لا توسعونا عتبا ولا توسعونا سبا فإنا لفي حزن شامل
وشغل عن الحديث شاغل فقال له أبو زيد نفس خناق البث
وانفث إن قدرت على النفث فإنك ستجد مني عرافا كافيا ووصافا
شافيا فقال اعلم أن رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة

وشاه

وشاه هذه الرقعة إلا أنه لم يخل من كمد الخلو من ولد ولم يزل
يستكرم المغارس ويتخير من المغارس النفائس إلى أن بشر بحمل
عقيلة وآذنت دقته بثقيلة فنذرت له النذور وأحصيت
الأيام والشهور ولما آن النتاج وصيغ الطوق والتاج عسر مخاض
الوضع حتى خيف على الأصل والفرع فما فينا من يعرف قرارا ولا
يطعم النوم إلا غرارا ثم أجهش بالبكاء وأعول وردد الإنشاج
وطول فقال له أبو زيد اسكن يا هذا واستبشر وأبشر بالفرج
فعندي عزيمة الطلق التي انتشر سمعها في الخلق فبادر رب الفلك
إلى مولاهم مباشرين بانكشاف بلواهم فلم يكن إلا كلا ولا حتى
برز من هلم بنا إليه فلما أدخلنا عليه ومثلنا بين يديه
قال لأبي زيد ليهنك ما لك إن صدق مقالك ولم يفل
فالك فاستحضر قلما مبريا وزبدا بحريا وزعفرانا قد ديف فيما

وزردٍ نظيفٍ فما أن رجع النَّفَس حتى أُحضر ما التمس فتجرّد أبو زيدٍ
وعفّر وسبّح واستغفر ثم أخذ القلم واخترم وكتب على الزَّبَد
بالمزعفر   أيها الجنين إني نصحت لك والنصح من شروط الدين
أنت مستعصم بكنٍّ كنينٍ وقرارٍ من السكون مكينٍ ما يروعك فيه
ما يروعك من إلف مدالج ولا عدوٍّ مبينٍ فمتى برزت منه تحوّلت
إلى منزل الهوى والهون وتراءى لك الشقاء الذي تلقى وتبكي
له بدمعٍ هتونٍ فاستدم عيشك الرغيد وحاذر أن تبيع المحقوق
بالمظنون واحترس من مخادعٍ لك برقيته ليلقيك في العذاب
المهين ولعمري لقد نصحت ولكن كم نصيحٍ مشبَّهٍ بظنينٍ ثم إنه
طمس المكتوب على غفلةٍ ونفل عليه مائة تفلةٍ وشدّ الزَّبَد
في خرقة حريرٍ بعد ما ضمّخها بعبيرٍ وأمر بتعليقها على فخذ الماخض
وأن لا تعلق بها يد حائضٍ فلم يكن إلا كذواق شاربٍ أو فواق
حالبٍ حتى ابدلق تمخّض الولد الخصيب الزَّبَد بقدرة الواحد الصمد
فامتلأ القصر حبورًا واستطير عميده وعبيده سرورًا وأحاطت الجماعة
بأبي زيدٍ يثنى عليه ويقبّل يديه ويتبرّك بمماسّ طرية حتى خُيّل
إليّ أنه الأسدي دبيس أو القرني أويس ثم انثال عليه من جوائز
المجازات وصلات الصِّلات ما أقصى له الغنا وبيّض له وجه المنا
ولم تخل بنانه الدخل مذ نبغ النجل إلى أن أعطى البحر الأمان
وكثّ الإتمام إلى عُمان فاكتفى أبو زيدٍ بالنحلة وتأهّب للرحلة
فلم يسمح الوالي بحركته بعد تجربة بركته بل أوعز بضمّه إلى خزانته
وأطلق يده في خزانته قال الحارث بن همّام فلما رأيته قد مال إلى
حيث يكسب المال أخبث عليه بالتعنيف وهجّنت له مفارقة المألف
والأليف فقال إليك عني واسمع مني لا تصبون إلى وطنٍ فيه تضام
وتُمتهن وارحل عن الدار التي تغلو بها على الفتن وأهرب على

يقي ولو انه حضنا حضين ودع التذكر للمعاهد والحنين الى المسكن
وادأب بنفسك ان تقيم بحيث تغشاك الدرر وحب البلاد فالها
ارضاك فاحرزه وطن واعلم بان الحر في اوطانه يلقى الغبن كالدر
في الاصداف يشترى ويبخس في الثمن ثم قال حسبك ما سمعت و
حبذا انت لو اتبعت فاوضحت له معاذيري وقلت له كن عذيري
فعذر واعتذر وزود حتى لم يذر ثم شيعني تشيع الاقارب
الى ان ركبت في القارب فودعته وانا اشكو الفراق واذمه او د
لو كان هلك الجنين وامه

المقامة الاربعون

اخبر الحارث بن
همام قال ازمعت التبريز من تبريز حين نبت بالذليل والعزيز وخلت
من المجير والمجيز فبينا انا في اعداد الاهبة وارتياد الصحبة لقيت
ابا زيد السروجي ملتفا بكساء ومحتفا بنساء فسألته عن خطبه
والى اين يسرب مع سربه فأومأ الى امراة منهن باهرة السفور ظاهرة

النفود وقال تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة وترحض عني قشف
العزبة فلقيت منها عرق القربة تمطلني بحقي وتكلفني فوق طوقي
فانا منها نضو وجا وحليف شجو وشجى وها نحن قد تساعينا الى
الحاكم ليضرب على يد الظالم فان انتظم بيننا الوفاق والا فالطلاق
والانطلاق قال فملت الى ان اخبر لمن الغلب وكيف يكون
المنقلب فجعلت شغلي دبر اذني وصحبتهما وان كنت لا اغني فلما
حضرا القاضي وكان ممن يرى فضل الامساك ويضن بنفاثة السوا
السواك جثا ابو زيد بين يديه وقال ايد الله القاضي واحسن
اليه ان مطيتي هذه ابية القياد كثيرة الشراد مع اني اطوع
لها من بنانها واحنى عليها من جنانها فقال لها القاضي ويحك
اما علمت ان النشوز يغضب الرب ويوجب الضرب فقالت
انه ممن يدور خلف الدار ويأخذ الجار بالجار فقال له القاضي

تباً لك أتسير في البيات وتستريح حيث لا أفراح لا نعم عوفك ولا أمن خوفك فقال أبو زيد إيهاً ومرسل الرياح لأكذب من سجاح فقالت بل هو ومن طوق الحمامة وجناح النعامة لأكذب من أبي ثمامة حين مخرق باليمامة فزفر أبو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة المغتاظ وقال لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل والجار أتعمدين في الخلوة لتعذيبي وتبدين في الحفلة تكذيبي وقد علمت أني حين بنيت عليك ودنوت إليك ألفيتك أقبح من قردة وأيبس من قدة وأخشن من ليفة وأنتن من جيفة وأثقل من هيضة وأقذر من حيضة وأبرد من قرة وأحمق من رجلة وأوسع من دجلة فسترت عوارك ولم أبدِ عارك على أنه لو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها وبلقيس بعرشها وبوران بفرشها والزباء بملكها ورابعة بنسكها وخندف بفخرها والخنساء

بشعرها

بشعرها في صخرها لأنفت أن تكون لي قعيدة رحلي وطروقة فحلي قال فتذمرت المرأة وتنمرت وحسرت عن ساعديها وشمرت وقالت له يا ألأم من مادر وأشأم من قاشر وأجبن من صافر وأطيش من طامر أترميني بشنارك وتفري عرضي بشفارك وأنت تعلم أنك أحقر من قلامة وأعيب من بغلة أبي دلامة وأفضح من حبقة في حلقة وأحير من بقة في حقة وهبك الحسن البصري في لفظه ووعظه والشعبي في علمه وحفظه والخليل في عروضه ونحوه وجريراً في غزله وهجوه وقساً في فصاحته وخطابته وعبد الحميد في بلاغته وكتابته وأبا عمرو في قراءته وإعرابه والأصمعي في روايته عن أعرابه أتظنني أرضاك إماماً للمحراب وحساماً للقراب لا والله ولا بواباً للباب ولا عصاً للجراب فقال لهما القاضي أراكما شناً وطبقة وحدأة وبندقة فاترك أيها الرجل اللدد واسلك

في شرك الجد واما انت فكفى من سبابه وقرى اذا اتى البيت
من بابه فقالت المرأة والله ما اسجن عنه لساني الا اذا كساني
ولا ارفع له شراعي دون اشباعي فحلف ابو زيد بالمحرجات الثلث
انه لا يملك سوى اطماره الرثاث فنظر القاضي في قصصهما
نظر الالمعي وانكر فكرة اللوذعي ثم اقبل عليهما بوجه قد قطبه
ومجن قد قلبه وقال ألم يكفكما التسافه في مجلس الحكم والاقدام
على هذا الجرم حتى ترقيتما من فحش المقاذعة الى خبث المخادعة
وايم الله لقد اخطأت استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة فان
امير المؤمنين اعز الله ببقائه الدين نصبني لاقضي بين الخصماء
لا لاقضي دين الغرماء وحق نعمته التي احلتني هذا المحل وملكتني
العقد والحل لئن لم توضحا لي جلية خطبكما وخبيئة خبكما
لاندّدن بكما في الامصار ولاجعلنكما عبرة لاولي الابصار فاطرق

ابو زيد

ابو زيد اطراق الشجاع ثم قال له سماع سماع   انا السروجي
وهذه عرسي وليس كفو البدر غير الشمس وما تنافى انسها وانسي
ولا نأى ديرها عن قسي ولا عدت سقيا ارض غرسي لكننا منذ
ليال خمس نصبح في ثوب الطوى ونمسي لا نعرف المضغ ولا التحسي
حتى كأنا لخفوت النفس اشباح موتى نشروا من رمس فحين عز الصبر
والتأسي ومسنا الضر الاليم المس قمنا لسعد الجد او للنحس هذا
المقام لاجتلاب فلس والفقر يلجي الحرّ حين يمسي الى التحلي في
لباس اللبس فهذه حالي وهذا درسي فانظر الى يومي وسل
عن امسي ومر بجبري ان تشا او حبسي ففي يديك صحتي ونكسي
فقال له القاضي ليثب انسك ولتطب نفسك فقد حق لك
ان تغفر خطيئتك وتوفر عطيتك فثارت اليه المرأة عند
ذلك واستطالت واشارت الى الحاضرين وقالت يا اهل

تبًّا لكم حاكمًا أوفى على الحكّام تبريزًا ما فيه من عيبٍ سوى أنّه
يوم الندى قسمته ضيزى فصدّقه والشيخ سعى حتى عود له ما
زال مهروذا فسرّح الشيخ وقد نال من حبواه تخصيصًا وتمييزًا وولّى
أخيب من شايمِ برقًا خفّا في شهر تمّوزا كأنه لم يدرِ أنّ الذي
لقّن الشيخ الأراجيزا وأنّي إن شئت غادرته أضحوكة في أهل
تبريزا قال فلمّا رأى القاضي اجتراء جنانهما وانصلات لسانهما
علم أنّه قد مُني عنهما بالداء العياء والداهية الدهياء وأنّه
متى منح أحد الزوجين وصرف الآخر صفر اليدين كان كمن قضى
الدَّين بالدَّين أو صلّى المغرب ركعتين فطلسم وطرسم واخرنطم
وبرطم وهمهم وغمغم ثم التفت يمنةً وشآمةً وتململ كآبةً
وندامةً وأخذ يذمّ القضاء ومتاعبه ويعدّد نوائبه وشوائبه
ويفنّد طالبه وخاطبه ثم تنفّس كما يتنفّس الحريب وانتحب

حتى

حتى كاد يفضحه النحيب وقال إنّ هذا لشيءٌ عجيب أأرشق في موقفٍ
لسهمين أألزم في قضيّةٍ مغرمين أأطيق أن أرضي الخصمين
ومن أين ومن أين ثم عطف إلى حاجبه المنفّذ لمآدبه وقال
ما هذا يوم حكمٍ وقضاءٍ وفصلٍ وإمضاءٍ هذا يوم الإغماء
هذا يوم الإغرام هذا يوم الحرمان هذا يوم عصيب هذا يوم
نُصاب فيه ولا نُصيب فأرحني من هذين المهذارين وأقطع
لسانهما بدينارين ثم فرّق الأصحاب وأغلق الباب وأشاع أنّه يوم
مذموم وأنّ القاضي فيه مهموم لئلا يحضره خصوم قال فما
الحاجب على دعائه وتباكى لبكائه ثم نقد أبا زيد وعرسه
المثقالين وقال أشهد أنّكما لأحيل الثقلين لكن احترما مجالس
الحكّام واجتنبا فيها فحش الكلام فما كلّ قاضٍ قاضي تبريز ولا كلّ
وقتٍ تُسمع الأراجيز فقالا مثلك من حجب وشكرا قد وجب

ونهضنا وقد حطبا بديناذين واصلبا قلب الفاناذين تفسير ما اورد

قوله لقيت منها عرق القربة يضرب هذا المثل لمن يلقى شدة من الامر الذي هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية

يزاوله كما ان حاصل القربة يلقى جهدا حتى يعرق وقوله جعلته دبر اذني

يعني اطرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم وقوله اكذب من

سجاح يعني التي تنبات في عهد مسيلمة الكذاب وسارت اليه لتناظره

وتخبره ثم امنت به ووهبت نفسها له وهذا الاسم مبني على الكسر مثل

حذام وقطام لكونه من الاسماء المعدولة واشتقاقه من السجاحة وهو

السهولة ومنه قولهم ملكت فاسجح وقوله اكذب من بني ثمامة وهذه

كنية مسيلمة الكذاب وكان تنبأ باليمامة وخرق بها الى ان سار اليه

خالد بن الوليد وقتله وقوله لا نعم عوفك العوف الحال والعوف ايضا

الذكر ويدعا للباني على اهله فيقال نعم عوفك وقوله باد فاد يلحا

هذا الاسنان معدولان عن ذو فره وفارحين والدفر النتن وبه سميت الدنيا

ام

ام دفر وكلما يسمى بصفة غالبة ثم عدل بها الى فعال يبنى على الكسر عند

الذا كقول الشاعر اطوف ما اطوف ثم اوى الى بيت قعيدته لكاع واما

قوله احمق من رجلة هو ضرب من الحمض ينبت في مجاري السيل فيجترها

واما قولها الام من مادر فهو رجل من بني هلال ابن عامر كان اتخذ حوضا

ليسقي ابله فلما رويت سلح فيه ومدره بالحمأ لئلا ينتفع به من بعده واما

قولها اشأم من قاشر فانه فحل بني نعض قبايل سعد بن زيد مناة ما طرق

ابلا الا امات وقيل المراد به العام المجدب وسمي قاشرا لقشره وجه الارض

من النبات واما قولها اجبن من صافر فقد اختلف في تفسيره فقال

بعضهم عني به كلما يصفر من الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح

الجو ومصايد الارض وقيل انه طاير يعلق نفسه اذا جنه الليل بغلو بعض

الاغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفا من ان ينام فيوخذ وقيل

انه يصفر بالمريبة فهو يجبن وقت صفيره مخافة ان يظهر على امره وقيل

ان المراد به في المثل المصفو دبره وهو الذي يتذرب بالصفير ليهرب فعلى هذا القول
فاعل ههنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق اى مدفوق وكقولهم
راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله
تعالى حجابا مستورا اى ساترا واما قولها اطيش من طامر فالمراد به البرغوث
ويسمى طامر بن طامر لكثرة وثوبه واما قول القاضي اذا كما شنا وطبقة وحنة
وبندقة فانه اراد به ان كلا منكما كفو لصاحبه ومقاوم له ولكل من
المثلين تفسير مختلف فيه اما شن وطبقة فان العلماء مختلفون في معنى
قولهم وافق شن طبقة فقال الاكثرون انهما قبيلتان فشن هو ابن اقصى بن
دعمي بن جديلة بن ربيعة بن نزار وطبقة حي من اياد وكانت طبقة لا تطاق
فاوقعت بها شن فانتصفت منها وقال بعضهم كان شن رجلا من دهاة
العرب وكان الزم نفسه الا يتزوج الا امراة تلائمه فكان يجوب البلاد في
ارتياد طلبته فصاحبه رجل في بعض اسفاره فلما اخذ منهما السير قال

له

له شن اتحملني ام احملك فقال له الرجل يا جاهل انحمل الراكب فامسك وسارا
حتى اتيا على زرع فقال له شن اترى هذا الزرع قد اكل ام لا فقال له الرجل
يا جاهل ما تراه في سنبله فامسك الى ان استقبلتهما جنازة فقال له شن
اترى صاحبها حيا ام لا فقال له ما رايت اجهل منك اتراهم حملوا
الى القبر حيا ثم انهما وصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله وكانت له
بنت تسمى طبقة فاخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق الا با
لصواب ولا استفهمك الا عما يستفهم من مثله اما قوله اتحملني ام
احملك فانه اراد اتحدثني ام احدثك حتى نقطع الطريق بالحديث واما
قوله اتحملني ام احملك فانه اراد اتحدثني ام احدثك حتى نقطع الطريق
بالحديث واما قوله اترى هذا الزرع قد اكل ام لا اراد هل استلف اهله
ثمنه ام لا واما استفهامه عن صاحب الجنازة احي هو ام لا فانه اراد به
اخلف عقبا يحيي ذكره ام لا فلما خرج الى الرجل حدثته بتاويل ابنته كلامه

فخطبها اليه فزوجه اياها وسار بها الى قومه فلما اخبروا ما فيها من الدهاء
والفطنة قالوا وافق شن طبقة فسارت مثلا وحكي عن الاصمعي انه سئل عن
تفسير هذا المثل فقال الشن وعاء من ادم كان قد استشن فلما اتخذ له غطاء
وافقه ضرب به هذا المثل واما حذاه وبندقة فانه يقال في المثل الصرف
لمن يفزع بعدوه ويلقى بنظيره او يتهدد به حذار وراءك بندقة وكان الاصل
حذاة باثبات الهاء فرخم في النداء وقد اختلف في المراد بهما فقيل هما الطا
المعروف وبندقة الرامي وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة فاغارت حذاة
وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرت
بندقة على حذاة فاثخنت عليهم وروى بعضهم هذا المثل حذا حذا غير مهموز
على مثال عصا ودما وقفا وزعم انه اسم للقبيلة واما قوله اخطات استها
الحفرة فان هذا المثل يضرب لمن يخطئ في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه
وقوله طلسم اي كره وجهه وطرسم اي اطرق واخرنطم (وبرطم) اي غضب وقطب وهمهم

وغمغم

وغمغم اي لم يبين الكلام وقيل معنى اخرنطم اي غضب مع تكبر وبرطم اي غضب
مع تعبس

المقامة الواحد والاربعون

اخبر الحارث بن همام قال لطت
دواعي التصابي في غلواء شبابي فلم (ازل) ربا للعيد واذنا للاغاريد الى ان
وافى النذير وولى العيش النضير فنهضت الى رشد الانتباه وندمت
على ما فرطت في جنب الله ثم اخذت في كسع الهناة بالحسنات وتلافي
الهفوات قبل الفوات فملت عن معاناة الغادات الى ملاقاة الثقات
وعن مغاناة القينات الى مداناة اهل الديانات وآليت ان لا اصحب
الا من نزع عن الغي وفاء متنزها الى الظل وان الفيت من هو خليع الرسن
مديد الوسن اتأيت داري عن داره وفررت من عره وعاره فلما القتني
العزم بتنيس واحلتني مسجدها الانيس رايت به ذا حلقة ملتحمة
ونظارة مزدحمة وهو يقول بجاش مكين ولسان مبين مسكين
ابن ادم واي مسكين ركن من الدنيا الى غير ركين واستعصم منها

يعز مكين وذبح من حبها بغير سكين يتكلف لها العناوية ويتكلب عليها
لشقاوته ويعتد فيها المفاخرة ولا يتزود منها الاخرة اقسم بمن مرج
البحرين ونور القمرين ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن ادم لما نادم ولو
فكر فيما قدم لبكى الدم ولو ذكر المكافاة لاستدرك ما فات ولو نظر
في المال لحسن قبح الفعال فيا عجبا كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب في اكتساب
الذهب وخزن النشب لذوي النسب ثم من البدع العجيب ان يعظك
وخط المشيب وتؤذن شمسك بالمغيب ولست ترى ان تنيب وتهذب
المعيب ثم اندفع ينشد انشاد من ينشد باوجع من اندرس شبيبه وهو
على غي الصبي يكمش يعشو الى نار الهوى بعدما اصبح من ضعف القوى
يرتعش ويمتطي اللهو ويعتد اوطا ما يفترش المفترش لم يهب الشيب
الذي ما راى نحوه ذو اللب الا دهش ولا انتهى عما نهاه النهى عنه
ولا بالى بعرض خدش فذاك ان مات فسحقا له وان يعش فهو كمن

لم يعش

لم يعش لا خير في محيا امرئ نشره كنشر ميت بعد عشر نبش وحبذا من عرضه
طيب يروق حسنا مثل برد رقش فقل لمن قد شاكه ذنبه هلكت
يا مسكين او تنتقش واخلص التوبة تطمس بها من الخطايا السود ما
قد نقش وعاشر الناس بخلق رضى ودار من طاش ومن لم يطش ورش
جناح الحر ان حصه زمانه لا كان من لم يرش وانجد الموتور ظلما
فان عجزت عن انجاده فاستجش وانعش اذا ناداك ذو كبوة عساك في
الحشر به تنتعش وهاك كاس النصح فاشرب وجد بفضلة الكاس
على من عطش قال فلما فرغ من منكباته وقضى انشاد ابياته نهض
صبي قد شدن واعرى البدن وقال يا ذوي الحصاة والانصات
قد وعيتم الانشاد وفهمتم الارشاد فمن نوى منكم ان يقبل ويصلح
المستقبل فليبن بري عن نيته ولا يعد لعني بعطيته فوالذي
يعلم الاسرار ويغفر الاصرار ان سري لكما ترون وان وجهي لمسنو

الصوت وأعيوني درز ثم العون قال وأخذ الشيخ فيما يعطف عليه
القلوب ويستنزل له المطلوب حتى أنطاجره واعشوشب وفره
فلما أن ترع الكيس انصلت وهو يميس ويجد ما يليس ولم يحل الشيخ
المقام بعد ما انصاع الغلام وأسرع الأيدي للدعاء ثم تخلوا
نحو الانكفاء قال الراوي فادنحت إلى أن اتجمه وأحل من جبه
فتبعته وهو يشتد في سمته ولا يفتق دون صمته فلما أمن اللحاق
وأمكن التناجي لفت جيده إلي وسلم تسليم البشاشة علي ثم قال
أراقك ذكاء هذا الشويدن فقلت إي والمؤمن المهيمن قال إنه فتى
السروجي ومخرج الدر من اللجي فقلت أشهد أنك كشجرة ثمرته وشواظ
شرارته فصدق كهانتي واستحسن إبانتي ثم قال هل لك في ابتدار
البيت لنتنازع كأس الكميت فقلت له ويحك أتأمرون الناس
بالبر وتنسون أنفسكم فافتر افترار متضاحك ومر غير مماحك

ثم

ثم بدا له أن تراجع إلي وقال احفظها عني وعلي   اصرف بصرف
الراح عنك الأسى وروح القلب ولا تكتئب وقل لمن لام فيما
به تدمغ عنك الهم قد أذنب ثم قال أما أنا فسأنطلق إلى حيث
أصطبح وأغتبق وإذ كنت لا تصحب وتلائم من تطرب فلست لي
برفيق ولا طريقك لي بطريق فخل سبيلي ومكبي ولا تنفر عني ولا تعقب
ثم ولى مدبرا ولم يعقب قال الحارث بن همام فالتهبت وجدا
عند انطلاقه ووددت لو لم ألاقه

المقامة الثانية والأربعون النجرانية

حكى الحارث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى ومساري الهوى
إلى أن صرت ابن كل تربة وأخا كل غربة إلا أني لم أكن أقطع
واديا ولا أشهد ناديا إلا لاقتباس الأدب المسلي عن الأشجان
المغلي قيمة الإنسان حتى عرفت لي هذه الشنشنة ولاكتها
الألسنة وصارت أعلق بي من الهوى ببني عذرة والنجا

بالِ أبي صُفرة فلمّا ألقيتُ الجِرانَ بنجرانَ واصطفيتُ بها الخُلّانَ و
الجيرانَ اتّخذتُ أنديتها مَعمري وموسمي فكاهتي ومَسمري وكنتُ
أتعهّدها صباحَ مساءَ وأظهرُ فيها على ما سرّ وساءَ فبينما أنا في نادٍ
محشودٍ ومحفلٍ مشهودٍ إذ جثم لدينا هِمٌّ عليه هِدمٌ فحيّا تحيّةَ
مَلِقٍ بلسانٍ ذَلِقٍ ثمّ قال يا بدورَ المحافلِ وبحورَ النوافلِ قد تبيّن
الصبحُ لذي عينينِ ونابَ العِيانُ منابَ عدلينِ فماذا ترونَ
فيما تُرونَ أتُحسنونَ العونَ أم تناوونَ إذ تُدعونَ فقالوا له تاللهِ
لقد عظتَ ورُمتَ أن تُنبطَ فغضتَ فناشدهم اللهَ عمّا ذا أصدّهم
حتّى استوجبَ ردّهم فقالوا إنّا كنّا نتناضلُ بالألغازِ كما يُتناضلُ
يومَ البرازِ فأمّا الآنَ شغثتَ منَ المنصولِ والحقّ هذا الفصلَ
بنمطِ الفضولِ فلسنهُ لسنَ القومِ ووخزوهُ بأسنّةِ اللومِ ولجّ
هو يتنصّلُ عن هفوتهِ ويتندّمُ على فوهتهِ وهم مُصِبّونَ على

مواخذته

مُواخذتِهِ ومُلبّونَ داعي مُنابذتِهِ إلى أن قال لهم يا قومِ إنّ الاحتمالَ
من كرمِ الطبعِ فصُدّوا عن القذعِ واللذعِ ثمّ هلمّ إلى أن نُلغزَ ويحكمَ
المبرّزُ فسكنَ عند ذلك توقّدُهم وانحلّت عُقدُهم ورضوا بما
شرطَ عليهم ولهم واقترحوا أن يكونَ أوّلَهم فأمسكَ ريثما
يُعقدُ شسعٌ أو يُشدّ نسعٌ ثمّ قال اسمعوا وُقيتمُ الطيشَ ومُلّيتمُ العيشَ

وأنشدَ مُلغزاً في مِروحةِ الخيشِ
وجاريةٍ في سيرها مُشمعلّةٍ ... ولكن على إثرِ المسيرِ قفولُها
لها سائقٌ من جنسها يستحثّها ... على أنّه في الاحتثاثِ رسيلُها
ترى في أوانِ القيظِ تنطفُ بالندى ... ويبدو إذا ولّى المصيفُ نُحولُها

ثمّ قال وها كُم يا أولي الفضلِ ومراكزِ العقلِ

وأنشدَ مُلغزاً في حابولِ النخلِ
ومُنتسبٍ إلى أمٍّ تنشّا أصلُهُ ... منها يُعانقُها وقد كانت نفتهُ نزاهةً عنها
بهِ يتوصّلُ الجاني إلى ... بلحا ولا يُنهى

ثمّ قال ودونكمُ الخفيّةَ العلمِ المعتكرةَ الظُلمِ وأنشدَ

ملغزاً في القلم ثم قال دونكم   وما موم يبرعرفنا الإمام ويذري
حين يسفح دموعاً برق كما برق الابتسام ثم قال وعليكم بالواضحة
الدليل الفاضحة ما قبل وانشد ملغزاً في الميل وما ناكح اختين
جهراً وخفية وليس عليه في النكاح سبيل متى يغش هذي يغش
في الحال هذه وان مال بعل لم يجد بميل يزيدهما عند المشيب
تعهداً وبراً وهذا في البعول قليل ثم قال فهذه يا ذوي الألباب
معيار الاداب وانشد ملغزاً في الدولاب   وجاف وهو موصول
وصول لكن بالجافي غريق بادٍ فاعجب له من راسب طافٍ تبح
دموع مهضوم ويهضم هضم متلافٍ وتخشى منه حدته ولكن قلبه
صافٍ قال فلما دشق بالخمس التي نسق قال يا قوم تدبروا واهدوا
الخمس واعقدوا عليها الخمس ثم رايكم وضم الذبل والانداد
من الكبل قال فاستفزت القوم شهوة الزيادة على ما اثروا من

البلادة

البلادة فقالوا له انا وقفنا دون حدك لنفحما عن استيراء زندك فان
انعمت عشراً من عندك فاهتز اهتزاز من فلج سهمه وانخزل خصمه ثم افتتح
النطق بالبسملة وانشد ملغزاً في المرملة   ومسرورة مغمومة طول دهرها
وما هي تدري ما السرور ولا الغم   تقرب احياناً الاجل جنينها وكم لاء
لولاه طلقت الأم وتبعد احياناً وما حال عهدها وابعادها من ام ليس يجمل
ظلم اذا قصر الليل استلذ وصالها وان طال فالاعراض عن وصلها
نعم لها ملبس بادٍ انيق مبطن بما يزدري لكن لما يزدهي الحكم ثم كشر عن
انيابه الصفر وانشد ملغزاً في الظفر   ومرهوب الشباة وما يرعى
ولا يشرب يرى في العشر دون النحر فاسمع وصفه واعجب ثم تخازرني تخازر
العقرب وانشد ملغزاً في طاقة الكبريت   وما مجنونة تذكى وتفضى
وما منها اذا فكرت بد لها راسان شبههما حبذا وكل منهما لا خير بعد
تفدّ نابها خضباً وتلغى اذا عدما الخضاب ولا تعد ثم تحط القوم وانشد

ملغزا في حلب الكرم   وماشيء اذا فسد تحوّل غيّه رشدًا وإن هو
راق اوصافًا اثار الشرّ حين بدا زكيّ العرق والده ولكن بئس ما ولدا ثم
اغتضد عصا التسيار وانشد ملغزا في الطيار وذي طربة شقّه مائل
وما عابه عيبا عاقل يرى ابدا فوق عليّة كما يعتلي الملك العادل يساوي
لديه الحصا والنضار وما يسوى الحق والباطل واعجب اوصافه ان نظرت
كما ينظر الكيّس الفاضل تراضى الخصوم به حاكما وقد عرفوا انه مائل
قال فظلّت الافكار تهيم في اودية الاوهام وتجول جولان المستهام
الى ان طال الامد وحصحص الكمد فلما راهم يرتدون ولا يسنا ويقضون
النهار بالمنى قال يا قوم الى م تنظرون وحتّام تنتظرون الم يان لكم
استخراج الخبيّ او استسلام الغبيّ قالوا له تالله لقد اعوصت ونضبت
الشرك فقنصت فتحكّم كيف شئت وخذ الغنم والصيت فقرض عن كل
معمّى قرضا واستخلصه منهم نضّا ثم فتح الاقفال ووسم الاغفال

وحاول

وحاول الاجفال فاعتلق به مدرة القوم وقال له لا لبثة بعد اليوم فانتسب
قبل الانطلاق وهبها متعة الطلاق فاطرق حتى قلنا مريب وانشد والدمع
يجيب شعر سروج مطلع شمسي وربع لهوي والانس لكن حرمت نعيمي بها
ولذّة نفسي واعتضت منها اغترابا امرّ يومي وامسي ما لي مقرّ بارض ولا
قرار لعنسي يوما بنجد ويوما بالشام اضحي وامسي ازجي الزمان بقوت مقوّ
مستخسّ ولا ابيت وعندي فلس ومن يعش مثل عيشي باع الحياة
ببخس ثم انه اخبى خلاصة النص وتدرّع دبًا في الارض فناشدناه ان يعود
واستنبناه الوعود فلا والله ما رجع ولا الترغيب له نجع المقامة الثالثة
والاربعون اخبر الحارث بن همام قال هفا بي البين المطوّح والسير المبرّح
الى ارض يضلّ بها الخرّيت وتفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد
الخائف الوحيد ورايت ما كنت عنه احيد الا اني تشجّعت فلبي المروّع
وتسنّمت نضوي المجهود وسرت سير الضارب بقدحين المتلثم للحين

ولم ازل بين وخد وذميل واجازة ميل بعد ميل الى ان كادت الشمس

تجب والضياء يحتجب فارتعدت لاظلال الظلام واقتحام جيش الغمام

ولم ادر اكفت الذيل وارتبط ام اعتمد الليل واختبط وبينا انا

اقلب العزم وامخض الحزم تراءى لي شبح جمل مستذر بجبل فرجمته

رجم مريح وقصدته قصد مشيح فاذا الظن كهانة والركوب عيرانة

والمريح قد ازدمل بجاده واكتحل برقاده فجلست عند راسه حتى

هب من نعاسه فلما ازدهر سراجاه واحس بمن فاجاه نفر كما ينفر

المريب وقال اخوك ام الذئب فقلت بل خابط ليل ضل المدلج

فاصغ لي اقدح لك فقال ليسر عنك همك فرب اخ لم تلده

امك فانسرى عند ذلك اشفاقي وسرى الوسن الى اماقي فقال

عند الصباح يحمد القوم السرى فهل ترى كما ارى فقلت اني لك لاطوع

من حذائك واوفق من غذائك فصدع بمحجتي وتبجح بصحبتي ثم احتملنا

مجدّين

مجدين وارتحلنا مدلجين ولم نزل نعاني السرى ونعاصي الكرى الى ان بلغ

الليل غايته ونشر الصبح رايته فلما اسفر الفاضح ولم يبق الا واضح توسمت

رفيق رحلتي وسمير ليلتي فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد ومعلم الراشد

فتهادينا تحية المحبين اذا التقيا بعد البين ثم تباثثنا الاسرار وتناثثنا

الاخبار وبعيري يخط من الكلال وراحلته تزف زفيف الرال فاعجبني

اشتداد اسرها وامتداد صبرها واخذت استشف جوهرها واسله

من اين تخيرها فقال ان لهذه الناقة خبرا حلو المذاقة مليح الشياقة

فان احببت استماعه فانخ وان لم تشا فلا تصخ فانخت لقوله

نضوي واهدفت السمع لما يروي فقال اعلم اني استعرضتها بحضرموت

وكابدت في تحصيلها الموت فما زلت اجوب عليها البلدان واطس

بها الظِّرّان الى ان وجدتها عبر اسفار وعدة قرار لا تلحقها العثار

ولا توافقها وجناء ولا تدرك مداها الهناء فاصدقتها الخير والشر وحللتها

محلّ البرّ والكرم فاتّفق أن ندّت مذ مدّة وما لي سواها عُدّة فاستشعرت

الأسف واستشرفت التلف ونسيت كلّ دَدٍ مَلَف ومكثت ثلاثاً

لا أستطيع انبعاثاً ولا أطعم النوم إلّا احتثاثاً ثمّ أخذت في استقراء المسالك

وتفقّد المسارح والمبارك وأنا لا أستنشي منها نجحاً ولا أستشفي يأساً

مريحاً وكلّما ادّكرت مضاءها في السير وإبرارها في المباراة على الطير أعيتني

الادّكار واستهوتني الأفكار فبينا أنا في جواء بعض الأحياء إذ

سمعت من شخص متعدٍ وصوت متجرّد من ضلّت له مطيّة حضرميّة

وطيّة جلدها قد وُسم ووبرها قد جُسم وزمامها قد ضُفر وظهرها

كان قد كُسر ثمّ جُبر بين الماشية وتعين الناشئة وتقطع المسافة

النائية وتبذل أبداً لك مداراة لا يعتورها الونى ولا يعرضها

الوجى ولا تحوج إلى العصا ولا تعصي فيمن عصى قال أبو زيد فجذبني الصوت

إلى الصائت وبشّرني بدرك الفائت فلمّا أفضيت إليه وسلّمت عليه

قلت

قلت له سلّم المطيّة وتسلّم العطيّة فقال وما مطيّتك غُفرت خطيئتك

فقلت ناقة جثّتها كالهضبة وذروتها كالقبّة وحلبها ملء العلبة

وكنت أُعطيت بها عشرين إذ حللت يبرين فما استزدت الذي أعطى

ودريت أنّه أخطأ قال فأعرض حين سمع صفتي وقال لست بصاحب لقطتي

فأخذت بتلابيبه وأصررت على تكذيبه وهممت بتمزيق جلابيبه

وهو يقول يا هذا ما مطيّتي بطلبتك فكفّ من غربك وعدّ من سبّك

وإلّا فقاضني إلى حكم هذا الحيّ البريّ من الغيّ فإن أوجبها لك فتسلّم

وإن زواها عنك فلا تتكلّم فلم أر دواء قضيّتي ولا مساغ غصّتي إلّا أن

آتي الحكم ولو لكم فانخرطنا إلى الشيخ ركين النصبة أنيق العصبة يؤنس

منه سكون الطائر وأن ليس بالجائر فاندرأت أتظلّم وأنا أتضرّم

مرّة لا أتبرّم حتّى إذا أنثلت كنانتي وقضيت من القصص لبانتي أبرز

نعلاً دنيّة الوزن محذوقة لمسلك الحزن وقال هذه التي عرّفت

وإيّاها وصفتُ فإن كانت هي التي أعطي بها عشرين وها هو من المبصرين

فقد كذب في دعواه وكبّر ما افتراه اللهمّ إلّا أن يمدّ قذاله ويبيّن

مصداق ما قاله فقال الحكم اللهمّ غفرًا وجعل يقلّب النعل بطنًا

وظهرًا ثمّ قال أمّا هذه النعل فنعلي وأمّا مطيّتك ففي رحلي فانهض

لتسلّم ناقتك وافعل الخير بحسب طاقتك فقمتُ وقلتُ أقسم

بالبيت العتيق ذي الحرم والطائفين العاكفين في الحرم إنّك نعم من

إليه يُحتكم وخير قاضٍ في الأعاريب حكم فاسلم ودُم دوم النعام

والنعم فأجاب من غير روية عقد نيّة وقال جُزيتَ عن شكرك

خيرًا يا ابن عمّ فمن استرعى فلم يرعَ الحرم فذاك والكلب سواء في القيم

ثمّ إنّه نفذ بين يديّ من سلّم الناقة إليّ ولم يمنن عليّ فرحتُ

أجرّ ذيل الطرب وأقول يا للعجب قال الحارث بن همّام فقلت له نا الله

لقد أطرفت وهرفت بما عرفت فأسألك الله هل لقيت أسحر منك

بلاغة

بلاغةً وأحسن للفظ صياغةً فقال اللهمّ نعم فاسمع وأنعم كنتُ عزمتُ

حين ألممتُ إلى أن أتّخذ ظعينةً لتكون لي معينةً فحين تعيّن الخطب

وكاد الأمر يتنبّ أفكرتُ فكر المتحرّز من الوهم المتأمّل كيف مسقط

السهم وبتّ ليلتي أناجي القلب المعذّب وأقلّب العزم المذبذب

إلى أن أجمعتُ على أن أسحر وأشاور أوّل من أبصر فلمّا قوّضت

الظلمة أطنابها وولّت الشهب أذنابها غدوتُ غدوّ المتعيّف

وابتكرتُ ابتكار المتعرّف فانبرى لي يافعٌ في وجهه سافعٌ فتيمّنتُ

بمنظره البهيج واستقدحتُ رأيه في التزويج فقال أو تبغيها عوانًا

أم بكرًا تعانى فقلتُ اختر لي ما ترى فقد ألقيتُ إليك العُرى فقال

إليّ التبيين وعليك التعيين فاسمع أنا أفديك بعد دفن أعاديك

أمّا البكر فالدرّة المخزونة والبيضة المكنونة والثمرة الباكورة والسلافة

المذخورة والروضة الأنف والطوق الذي ائتنف ولم يدنّسها

والباكورة الجنية والسلافة السنهية

لا مرّ ولا استغشاها الابن ولا مادسها عابث ولا اوكسها طامث
ولها الوجه الحيّ والطرف الخفيّ واللسان العييّ والقلب النقيّ ثم هي
الدمية الملاعبة واللعبة المداعبة والغزالة المغازلة والملحة
الكاملة والوشاح الطاهر القشب والضجيع الذي يشبّ ولا يشيب
واما الثيّب فالمطيّة المذلّلة واللهنة المعجّلة والبغية المسهّلة
والطبّة المعلّلة والقرينة المتحبّبة والخليلة المتقرّبة والصناع المدبّرة
والفطنة المختبرة ثم انها عجالة الراكب وانشوطة الخاطب وقعدة العاجز
ونهزة المبادر وعريكتها ليّنة وعقلتها هيّنة ودخلتها مبيّنة وخدمتها
مزيّنة واقسم لقد صدقت في النعتين واجليت المهاتين فبايّتهما هام قلبك
وعلى ايّتهما قام ندبك قال ابو زيد فرأيته جذلًا لم يتقيها المراجم وندى
منها المحاجم الا اني قلت له سمعت ان البكر اشدّ حبًّا واقلّ خبًّا فقال
لعمري قيل هذا ولكن كم من قول آذى وحكمة ماهي المهرة الابيّة العنان

والمطيّة

والمطيّة البطيّة الاذعان والزند المتعسّرة الاقتداح والقلعة المستصعبة
الافتتاح ثم ان مؤونتها كثيرة ومعونتها يسيرة وعشرتها صلفة ودالّتها مكلفة
ويدها خرقاء وفتنتها صمّاء وعريكتها خشناء وليلتها ليلاء وفي رياضتها
عناء وعلى خبرتها غشاء ولربّما اخزت المنازل وفركت المغازل واحنقت
الهازل واضرعت الضيف البازل ثم انها التي تقول انا البس واجلس واطلب
من يطلّق ويجلس فقلت له ما ترى في الثيّب يا ابا الطيّب فقال ويحك
اترغب في فضالة المآكل وثمالة المنهل واللباس المبتذل والوعاء
المستعمل والذوّاقة المتطرّفة والخرّاجة المتصرّفة والوقاح المتسلّطة والمحتكرة
المتسخّطة ثم كلمتها كنت وصرت وطال ما بغي عليّ فنصرت وشتّان بين
اليوم والامس وهيهات ابن القمر من الشمس وان كانت الحنّانة البرزة والطامح
الهلوك فهي الغلّ القمل والجرح الذي لا يندمل فقلت له فهل ترى ان
اترهّب واسلك هذا المذهب فانتهرني انتهار المؤدّب عند زلّة المتأدّب

ثم قال لي ويلك أتقتدي بالرهبان والحق قد استبان أفٍّ لك ولوهن
رأيك وتبًّا لك ولأولئك أتراك ما سمعت بأن لا رهبانية في الإسلام
أو لا حدثت بما نكح نبيك عليه السلام ثم أما تعلم أن القرينة الصالحة تربّ
بيتك وتلبّي صوتك وتغضّ طرفك وتطيّب عرفك وبها ترى قرة عينك
وريحانة أنفك وفرحة قلبك وخلد ذكرك وتعلّة يومك وغدك فكيف
رغبت عن سنة المرسلين ومتعة المتأهلين وشرعة المحصنين ومجلبة
المال والبنين والله لقد ساءني فيك ما سمعت من فيك ثم أعرض إعراض
المغضب ونزا نزوان العقرب فقلت له قاتلك الله أتنطلق متنجرًا أو تندّ
متجرًا فقال أظنك تدّعي الحيرة لتجلد عميرة وتستغني عن المهيرة فقلت له
قبّح الله ظنك ولا استتبّ قرنك ثم رحت عنه مرح الحرباء ووثبت من متنا
الصبيان قال الحارث بن همام فقلت له أقسم بمن أنبت الأيك إن الجدل
منك والنبك فأغرب في الضحك وطرب طرب المنهمك ثم قال العق

ولا تسل فأخذت أسهب في مدح الأدب وأفضّل ربّه على ذي النشب
وهو ينظر إليّ نظر المستجهل ويغضي عني إغضاء المتمهّل فلما أسرفت في
العصبية للعصابة الأدبية قال لي صه واسمع مني وافقه يقولون
إن جمال الفتى في ثيابه أدب راسخ وما إن بغي سوى المكثرين ومن طود سؤدده
شامخ وأما الفقير فخير له من الأدب القرص والكامخ وأي جمال له أن
يقال أديب يعلّم أو ناسخ ثم قال ستضح لك صدق لهجتي واستبان حجتي
ومرّ بنا لا نألو جهدًا ولا نستفيق جهدًا حتى أدّانا السير إلى قرية عزب عنها الجنان
فدخلناها للارتياد وكلانا منفض من الزاد فلما بلغنا المحطّ والمناخ المختط
إذ لقينا غلام لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغث فحيّاه أبو زيد تحية
المسلم وسأله وقفة المفهم فقال وعمّ تسل وقل الله قال أيباع هينا
الرطب بالخطب قال لا والله قال ولا البلح بالملح قال كلا والله قال
ولا الثمر بالتمر قال هيهات والله قال ولا العصائد بالقصائد قال

اسكت عافاك الله قال ولا الرقيق بالمغنى الدقيق قال ابن يذهب بك
ارشدك الله قال ولا الترائب بالقرائب قال اعدّ عن هذا اصلحك الله
فاستحلى ابو زيد تراجع السؤال والجواب والتحاك من هذا الجراب ولمح الغلام
ان الشوط بطين والشيخ شيطان فقال له حسبك يا شيخ فقد عرفت
فنك واستبنت انك فحل الجواب صبره واكفف يد حيره اما اهل هذا
المكان فلا يشترى الشعر بشعيرة ولا النثر بنثارة ولا القصص بقصاصة ولا الرسالة
بغسالة ولا حكم لقمان بلقمة ولا اخبار الملاحم بلحمة واما جيل هذا
الزمان فما فيهم من يميح اذا اصيح له المديح ولا من يجيز اذا انشد له الاراجيز
ولا من يغيث اذا اطرب الحديث ولا من يمير ولو انه امير وعندهم ان مثل
الاديب كالربع الجديب ان لم يجد الربع ديمة لم تكن له قيمة ولا داناه
بهيمة وكذا الاديب ان لم يعضده نشب فادبه رضب وحرفه حطب
ثم انشد لعبده اولى مجدّا فقال لي ابو زيد اعلمت ان الادب قد بار

وولت

وولت انصار الادباء قرون له محن النصبة وسلّمت بحكم الضرورة
فقال دعنا الآن من الصاع وخذ في حديث القصاع واعلم ان الاسجاع
لا تشبع من جاع فما التدبير فيما يمسك الرمق ويطفئ الحرق فقلت الامر
والزمام بيدك قال الرأي ان ترهن سيفك لتشبع جوفك وضيفك
فناولنيه واتم لانقلب اليك بما يلتقم فاحتث بلا ظن وقلدته السيف
والرهن فما لبث ان ركب الناقة ووفض الصدق والصداقة فمكثت مليّا
ارقبه ثم نهضت انقبه فكنت كمن ضيع اللبن في الصيف ولا القرن ولا السيف

المقامة الرابعة والاربعون الشتوية حكى الحارث بن همام قال عشوت في ليلة داجية
الظُّلَم فاحمة اللمم الى نار تضرم على علم وتخبر عن كرم وكانت ليلة
جوها مقرور وجيبها مزرور ونجمها مغموم وغيمها مركوم وانا
فيها اصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء فلم ازل انص عنسي واقول
طوبى لك ولنفسي الى ان نضر الموقد الي وتبين ايما الي فالحدد

تعدو الجري ويشتد مرتجزاً   حُيِّيتَ من خابط ليل سارِ هداه بل

بل اهداه ضوء النار الى رحيب الباع رحب الدار مرحب بالطارق

الممتار رحب جعد الكف بالدينار ليس بمردع عن الزوار ولا بمعتام

القرى مجار إذا اقشعرت ترب الأقطار وضنت الأنواء بالأمطار

فهو على بؤس الزمان الضاري جم الرماد مرهف الشفار لم يخل في

ليل ولا نهار من نحر وار وانتلاج وار ثم تلقاني بمحيا حيي وصافحني

براحة اريحي واقتادني الى بيت غشاه تحور واعشاره تفور ولا

تمور وموائده تدور وباكناده اضياف قد حلبهم جالبي وقلبوا

في قالبي وهم يجنون فاكهة الشتاء ويمرحون مرح ذوي الفتاء

فأخذت مأخذهم في الاصطلاء ووجدت ثم وجد الثمل

بالطلاء ولما ان سرى الحصر وانسرى الخصر اتينا بموائد كالهالات

دورا والروضات نورا وقد شحنت باطعمة الولائم وحمين من العائب

واللائم

واللائم فرفضنا ما قيل في البطنة وأبينا الامعان فيها من الفطنة

حتى اذا اكلنا بصاع الحطم واشفينا على خطر التخم تغاورنا مشوش الغمر

ثم تبوأنا مقاعد السمر واخذ كل منا يسول بلسانه ويبثر ما في صوانه

ما عدا شيخا منتهاً فوداه مخلولقاً برداه فإنه ربض حجرة واوسعنا هجرة

فغاظنا تجنبه الملتبس وموجبه المعتذر وفيه مؤنسة الا انا تاله

القول وحثينا في المسألة العول وكلما رمنا ان يفيض كما افضنا او

يفيض فيما افضنا اعرض اعراض العلية عن الأرذلين وتلا ان

هذا الا اساطير الاولين ثم كان الحمية هاجته والنفس الأبية نا[جته]

فدلف وازدلف وخلع الصلف وبذل ان يتلافى ما سلف ثم

استرعى سمع السامر واندفع كالسيل الهامر وقال   عندي أعاجيب

ارويها بلا كذب عن العيان فكنوني ابا العجب رأيت يا قوم

اقواما غذاؤهم بول العجوز وما اعني ابنة العنب بول العجوز لبن البقر

والعجوز ايضا من اسماء الخمر ومسنين من الاعراب قوتهم ان يشتووا قرا
يعني من الشعب الحرفة القطعة من الجراد وكابين وما خطت اناملهم حرفا
ولا قروا ما خط في الكتب الكاتبون الخرازون يقال كتب السقا والمزادة اذا
خرزهما وكتب البغلة والناقة اذا جمع بين شفريها فخاطهما والثلاثا
فرادي اخلوت به على قلوصك واكتبها باسيار وتابعين عفا باقي مسيرهم
على تكيمهم في البيض في اللبب العقاب الراية وكانت راية رسول الله صلى
الله عليه واله تسمى العقاب ومسندين ذوي نبل بدت لهم نبيلة
فانشوا منها الى الهرب النبيلة الجيفة ومنه تنبل البعير اذا مات
وعصبة لم تر البيت العتيق وقد حجت حجيا بالاسل على الركب
معنى حجت حجيا اى غلبت بالحجة مجادلين جاثين على الركب وجثي جمع جاث
ونسوة بينما ادلجن من حلب صبحن كاظمة من غير ما تعب كاظمة في هذ
الموضع كاظمة الغيظ ومدلجين سروا من ارض كاظمة من غير ما تعب

كاظمة

كاظمة واصبحوا حين لاح الصبح في حلب اى اصبحوا يحلبون اللبن وما
منى ما شاء صنعهم او قصروا فيه قالوا الذنب للحطب الفادر
في القدر والقدير المطبوخ في القدر وبايعا لم يلم من قط غاسنه
شاهدته وله نسل من العقب النسل ههنا العدو ومنه
قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون والبايع الذي قد ترعرع ونا
البلوغ والعقب موخر القدم ومنتابا غير مخف للمشيب بدا في اللد
وهو فتي السن لم يشب الشايب ههنا مازج اللبن والمشيب اللبن
الممزوج ويقال فيه مشوب ومشيب ومرضعا بلبان لم تغير فمه دا
في شجار بين السبب الشجار المحفة ما لم تكن مظللة فان ظللت فهي الهودج
والسبب ههنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء وذارعا
ذرة حتى اذا حصدت صارت غبيراء يهواها اخو الطرب الغبيراء المسكر
المتخذ من الذرة وفي الحديث اياكم والغبيراء فانها خمر العالم وتسمى ايضا

التكرير وداكفا وهو مغلول على فرس قد غل ايضا وما ينفك من خبب
المغلول هيهنا العطشان وغل اى عطش وذا بديطلق يقتاد راحلة
مستعجلا وهو ماسور آخو كرب الماسور الذى يجد الاسر وهو احتباس
البول ومجالسا ماليا هوى بطنته بر وما فى الذى اودت من ريب
المجالس الانى نجدا والماشى الذى كثرت ماشيته وقد دعا بعضهم قوله لعا
ان امشوا كانه دعاء له بالنماء وكثرة الماشية وحافيا احدم الكفين
ذا حزن وان عجبتم فكم فى الخلق من عجب الحافى هيهنا الذى اذا
مشى حرك منكبيه وفحج بين ركبتيه وصادعا بالقنا من غير ان علقت
كفاه يوما برمح لا ولم يثب القنا ارتفاع الانف وتحدب وسطه
وصدع براى كشفه ومساعيا فى مسرات الانام يرى افراحهم ماثما
كالظلم والكذب افراحهم اثقالهم بالدين ومنه قوله لا يترك
فى الاسلام مفرح اى مثقل بالدين ومغرما بمناجاة الرجال له وما

له

كر فى حديث الخلق من ادب الخلق هيهنا الكذب ومنه قوله تعالى ان
هذا الا خلق الاولين وذا اشطاط كصدر الرمح قامته صادفته يمنى
كثكو من الحدب الحدب ما ارتفع من الارض وذا ذمام وفى بالعهد
ذمته ولا ذمام له فى مذهب العرب الذمام الاول العهد والثانى
جمع ذمة وهى البئر القليلة الماء وعنى بالمذهب المسلك اى ماله بالبلد
ابار قليلة الماء وذا قوى ما استبانت قط لينته ولينه مستبين غير محتجب
اللين النخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة وساجدا فوق
نخل غير مكترث بما اتى بل يراه افضل القرب النخل الحصير المتخذ من
خال النخل وعاذرا مولما من ظل يعذره مع التلطف والمعذور
فى صحب العاذر الخاتن والمعذور المختون ومكدية ما بها المغترف
والماء يجرى عليها جرى مشرب البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى
ايضا البلجة وقربه دون اخوص القطا سحت يد بليل عنهم من خلبة

السلب القرنبي النمل والدبلم النمل الكبير وكوكباً يواري عند رؤيته
الانسان حتى يرى في امع الحجب الكوكب النقطة البيضاء التي تحدث في
العين والانسان هيهنا انسان العين ودونيز توميت مالا ينظر
ونفس صالحها بالمال لم تطب الوتير مقدم الانف وصحفة من نضار
خالص شربت بعد المكاس بقيراط من الذهب النضار هيهنا شجر النبع ومنه
قول ابراهيم النخعي لا باس بان يشرب في قدح النضار ومتجيشاً بخشخاش لبد
ما اظله من اعاديه فلم يجب الخشخاش الجماعة عليهم دروع واسلحة
وطالما مر بي كلب وفي فيه ثور ولكنه ثور بلا ذنب الثور القطعة من
الاقط وكم رأى ناظري فيلاً على جبل وقد تولك فوق الرحل والقتب الفيل
الرجل الفايل الرأي وعاينت مقلتي عينين ماؤهما يجري من الغرب والعيان
في حلب والعينين المقلتان الغرب مجرى الدمع وكم لقيت بعرض البيد
متنكباً فما اشتكى قط في جد ولا لعب المشتكى المتخذ شكوة وهي القربة

الصغيرة

الصغيرة وكنت ابصرت كراز الراعية بالدو ينظر من عينين كالشهب
الكراز كبش يحمل عليه الراعي اداته وكم نزلت بارض لا نخيل بها وبعد
يوم رأيت التبر في القلب التبر جمع تبرة وهي الماء الحديث العهد بالمطر والقلب
جمع قليب وكم رأيت باقطار العلا طبقاً يطير في الجو منصباً الى صبب
الطبق القطعة من الجراد وكم مشايخ في الدنيا رأيتهم مخلدين ومن
ينجو من العطب المخلد الذي ابطأ شيبه وكم بدا لي وحش يشتكي سغباً
بمنطق ذلق امضى من القضب الوحش الرجل الجايع وكم دعاني مستنج
فجادثني وما احل ولا اخللت بالادب المستنجي الجالس على نجوة وهي
المكان المرتفع الذي تظن انه يجاوزك وكم انخت قلوصي تحت جنبذة
تظل ما شئت من غرب ومن عرب الجنبذة القبة والعرب جمع عروب
وهي المرأة المتحببة الى زوجها وكم نظرت الى من سرها عشر ودمعه متهلل
القطر كالسحب سراي قطع سرره وسره يسمى ما يبقى بعد القطع السرة وكم رأى

فبصبص صاحبه حتى انثنى واهي الأعضاء والعصب القمص الدابر

الكثيرة القماص وكم إذا دِرٍ لو أنّ الدهر أتلفه لجعل لبد حيث السير مصطرب

الأذار هيسا المرء ومنه قول الشاعر هذا لك من أخي ثقة إذا ذكِّر ادّكر

به التوجر وقيل عنى به نفسه هذا وكم من أفانين معجبة عندي ومن

ملح تلهي ومن نخب فإن فطنتم للحن القول بان لكم صدقي ودلّكم

طلعي على رطبي وإن بلدتم فإن العار فيه على من لا يميّز بين العود

والحطب قال الحارث بن همام فطفقنا نخبط في تقليب قريضه وتأويل

معاريضه وهو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي ويقول ليس بعشك فادرجي

إلى أن تعسّر النتاج واستحكم الارتتاج فألقينا إليه المقادة وخطبنا

منه الإفادة فوقفنا بين الطمع واليأس وقال الإيناس قبل الإبساس

فعلمنا أنه ممن يرغب في السُّحت ويرتشي في الحكم وساءنا أن

نعرّض للغرم أو نحتجب بالرغم فأحضرنا قرّ عيد ثنّة وحلّة سعيدة

وقال

وقال له خذهما حلالًا ولا ترزأ أصحابي زبالًا فقال أشهد أنها

شنشنة أخزمية وأريحية حاتمية ثم قابلنا بوجه بشره يشفّ ونضره

يرفّ وقال يا قوم إن الليل قد اجلوّذ والنعاس قد استحوذ فافزعوا

إلى المراقد واغتنموا راحة الراقد لتنشروا أنشاطًا وتبعثوا نشاطًا فأتوا

ما أقرّ ويتسهّل لكم المعبر فاستصوب كلٌّ ما رآه وتوسّد وسادة

كراه فلما وسنت الأجفان وأغفت الضيفان وثب إلى الناقة فرحلها

ثم ارتحلها ورحّلها وقال مخاطبًا لها سروج يا ناقتي وخدي

وأدلجي وأوّبي وأسئدي حتى تطأ أخفافك مرعاها الندي فتنعمي حينئذ

وتسعدي وقد أبى أن تهيمي وتجحدي ابن فدتك النوق حبّي وجهدي

وأفرِ أديم ملدَدِ وافتني بالشيح عند الموردِ ولا تخطي دون ذاك المقصد

فقد حلفت حلفة المجتهد بحرمة البيت الرفيع العمد إنك إن أحللتني

في بلدي حللتِ مني بمحلّ الولد قال فعلمنا أنه السروجي الذي إذا

ابلج واذا ملأ الصلاع ابصاع فلما ابلج صباح اليوم وهب النوام من النوم
اعلمهم ان الشيخ حين اغشاهم الشباب طلعهم الشبات وركب الناقة وفارق
فاخذهم ما قدم وما حدث وكسوا ما طاب منهم بما خبث ثم انشعبنا
في كل شعب وذهبنا تحت كل كوكب تفسير قال الشيخ الامام الاوحد ابو محمد
قد فسرت كل لغز تحته ولم يبعد على من يقرا كشفه وقد بقيت الفاظ اشتمل
عليها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من يقع اليه فاحببت ايضاحها
له ليكفي حيرة التشبه وكلفة الفكرة ووصمة البحث والمسئلة وبالله تعالى
الاستعانة والقوة قوله عشوت الى نار يعني تنورتها فقصدتها فان لم تقصدها
قلت عشوت عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
اي من يعرض وقوله وكنت اصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء هذان مثلان
يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك لان الحرباء تدور مع الشمس ابدا وتستقبلها
بعينها ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب بالحرباء في قوله ما بالها قد حسنت

ورقيبها

ورقيبها ابدا قبيح الرقباء ما ذاك الا انها شمس الضحى ابدا يكون
رقيبها الحرباء والعنز الجرباء لا تدفا في الشتاء لقلة شعرها وذكر بعضهم
ان العنز الجرباء تصحيف المثل الاول وقوله بخرواد يعني الجمل المكتنز شحما
الكبير فخا وقوله عشاره تحوز واعشاره تغور العشار النوق الحوامل
واحدتها عشراء وهي التي اتى عليها في الحمل عشرة اشهر ولا يزال ذلك
اسمها حتى تضع والاعشار البرمة العظيمة كانها شعبت لعظمها او برمة
اعشار وجفنة اكسار وثوب اسمال وبرق اخلاق وحبل ارمام وصف
الجماعة منها كوصف الواحد وقوله فاكهة الشتاء كنى بها عن النار
ومنه قول بعض المحدثين النار فاكهة الشتاء فمن يرد اكل الفواكه شاتيا
فليصطل ان الفواكه في الشتاء شهية والنار للمقرور افضل مأكل
وقوله موايد كالهالات يعني دارات القمر ودارة الشمس تسمى الطفاوة
وقوله مشوش العمر يعني المنديل يتمشش به بالمنديل اي مسحها ومنه قول

امرء القيس   تمش بأعراف الجياد أكفّنا   إذا نحن قمنا عن شواء مضهّب

وقوله مشبها فوداه اي صار من الشيب في لون الاشهب ومنه قول العرب

القبل بيضا قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدي فوده هذا وأشهب وقوله

وبض حجرة يعني ناحية ويقال في المثل لمن يتبارك في الرخاء ويجانب عند

البلاء ينبغ وسطا ويربض حجرة وقوله فاسترعى سمع السامر يعني السمّار

لان السامر اسم للجمع كالحاضر للحي النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر

وقال بعض اهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر

وهو ظل القمر ماخوذ من السمرة فلما كان غالب احوال السمار انهم يتحدثون

في ظل القمر اشتق لهم اسم منه والى هذا يرجع قولهم لا آكله القمر والسمر وقوله

لبن يعثّك فادجي هذا مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش

ما يكون في شجرة وما كان في حائط او كهف او جبل فهو وكر وقوله الانبا من

قبل الاباء هذا مثل ايضا ومعناه انه ينبغي ان يؤنس الانسان ثم يكلف

واصله

واصله ان حالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها ثم يبس بها للحلب والابساس

ان يقول بس بس لتسكن وتدرّ واذا كانت الناقة تدرّ على الابساس سميت البسوس

وقوله رغب في الشكم الشكم ما اعطيته على سبيل المجازاة فان اعطيت مبتدئا

فهو الشكد ومنه قول الراجز شكمي عبيد وكذا لا شكدي للخير فالشر بقا عندي

كالارض مهما استودعت تؤدّي وقوله ساوا اباشقوا نانا يعني المضيف الذي

آووا اليه وثووا عنده وقوله ناقة عيدية قيل هي منسوبة الى فحل منجب اسمه عيد

وقيل بل هي ماخوذة الى فخذ من مهرة بن حيدان لهم بنو عيد بن الامري على وزن

العامري وكانت مهرة وعيد يتخذان نجائب الابل فنسب اليهما وقوله حلة

سعيدية هي منسوبة الى سعيد بن العاص وكان رسول الله ع م وكساها

وهو غلام حلة فنسب جنسها اليه وقوله لا ترزا واصابني ربالا اي لا ترزأ منهم

شيئا ولو قلّ والاصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها وقوله شنشنة اخزمية

اشار به الى المثل الذي ضرب به جلهم بن عبد الله بن مسعود بن الحنج بن اخزم

الطاحين نشاماتم ويقبل اخلافه جده اخزم في الجود فقال شنشنة اعرفها
من اخزم وتمثل عقيل بن علفة به حين قال ان بني زملوني بالدم من يلق
آساد الرجال يكلم شنشنة اعرفها من اخزم ومن يكن ذا اود يقوم
ومن ادعى ان هذا المثل له فقد سهى فيه وقوله اجلوذ اي اسرع في الذهاب
ومثله اخروّط وقوله وثب الى الناقة فرحلها يعني شد عليها الرحل ومنه سميت
الراحلة لانها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى في عيشة راضية اي مرضية
وكقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق والراحلة تقع على الناقة والجمل و
دخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية وعلامة وقولها ارتحلها اي
ركبها وفي الحديث ان النبي صلعم سجد فركبه الحسن فابطا في سجوده فلما قضى
صلواته قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله وقوله رحلها اي ازعجها
واشخصها واخذ بها في الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب الساعة نار من قعر
عدن ترحل الناس وقوله ادلجي واوبي واستدى الادلاج ان تسير الليل كله

والاسم

والاسم منه الدلجة بفتح الدال والادلاج بالتشديد ان تسير الليل كله او آخره والاسم
منه الدلجة بفتح الدال والادلاج بالتشديد ان تسير من آخره والاسم الدلجة
بضم الدال وقيل ان الدلجة بضم الدال وفتحها بمعنى والتاويب سير النهار
وحده والاسآد ان تسير ليلا ونهارا والنشح ان تشرب دون الري وقوله
واخذهم ما قدم منه وما حدث يعني ذلك لمن تستولي عليه الهم والاصل
من حدث بضم في هذا الموضع وحده ليوافق لفظها لفظ قدم فان افردت
وجب فتح الدال منها ومثله قوله هناني في الشيء ومراني تحذف الالف من
مراني اذا ذكر مع هناني فان افرد وجب ان تقول امراني الشيء وكذلك
يقولون رجس نجس فيكسرون النون من نجس ويسكنون الجيم منه لازدواج اللفظين
رجس فان افردت قلت نجس بفتح النون والجيم كما قال الله تعالى انما المشركون
نجس وقوله ذهبا تحت كل كوكب هذا المثل يضرب لمن يختلف في السفر
طرقهم ومثله ابن سبلهم **المقامة الخامسة والاربعون وتعرف بالرملية** حكى الحارث بن

همام قال كنت اخذت عن اولي التجارب ان السفر مراة الاعاجيب فلم

ازل اجوب كل تنوفة واقتحم كل مخوفة حتى اجتليت كل اطروفة

فمن احسن ما لمحته واغرب ما استملحته اني حضرت قاضي الرملة وكان

من ارباب الدولة والصولة وقد ترافع اليه بال في بال وذات جمال

في اسمال فهم الشيخ بالكلام وتبيان المرام فسبقته الفتاة من الافصاح

وحسائر من اللباح ثم نضت عنها فضلة الوشاح وانشدت بلسان

السليط الوقاح   يا قاضي الرملة يا ذا الذي في يده التمرة والجمرة

اليك اشكو جور بعلي الذي لم يحج البيت سوى مرة وليته لما قضى

نسكه وخف ظهرا اذ رمى الجمرة كان على راي ابي يوسف في وصلة الحج

بالعمرة هذا على اني مذ ضمني اليه لم اعص له امرة ثمرة اما الفتى حلوة ن

واما فر فرة مرة من قبل ان اخلع ثوب الحيا في طاعة الشيخ ابي مرة فقا

له القاضي قد سمعت ما عزته اليه وتوعدته عليه فجانب ملعزك وما

ان

ان تقرا وتعزا فجثا الشيخ على ثفناته وفجر ينبوع نفثاته وقال   اسمع

عداك الذم قول امرئ يوضح فيما رماها عذره والله ما اعرضت عنها

قلى ولا هوى قلبي قضى نذره وانما الدهر عدا صرفه فابتزنا الدرة

والدرة فمنزلي قفر كما جيد ما عطل من الخرز والشذرة وكنت من

قبل ارى في الهوى ودينه راي بني عذره فمذ نبا الدهر هجرت الدما

هجران عف احذ حذره وملت عن حرثي لا رغبة عنه ولكن اتقي بذره

فلا تلم من هذه حاله واعطف عليه واحتمل هذره قال فالتظت

المرأة من مقاله وانتضت الحجج لجداله وقالت له ويلك يا مرقعان

يا من هو لا طعام ولا طعان اتضيق بالولد ذرعا ولكل اكولة مرعى

لقد ضل فهمك واخطا سهمك وسفهت نفسك وشقيت بك عرسك

فقال لها القاضي اما انت فلو جادلت الخنساء لانثنت عنك حرنا

واما هو فان كان صدق في زعمه ودعوى عدمه فله في هم فقير

ما يشغل عن ذبذبه فاطرقت تنظر ازورارا ولا ترجع حوارا حتى قلنا
قد راجعها الخفر او حاق بها الظفر فقال لها الشيخ نسألك ان
زخرفت او كتمت ما عرفت فقالت ويحك وهل بعد المنافرة كتم او
بقي لنا على سر ختم وما فينا الا من صدق وهتك صونه اذ نطق
فليتنا لا فئين البكم ولم نلق الحكم ثم التفعت بوشاحها وتباكت
لافتضاحها وجعل القاضي يعجب من خطبهما ويعجب ويلوم الدهر
لهما ويؤنب ثم احضر من الورق الفين وقال ارضيا بهما الاخوين
وتعاصيا التنازع بين الالفين فتكراه على حسن التراح وانطلقا وهما
كالماء والراح وطفق القاضي بعد مسرحهما وشاي شجهما يثني على
ادبهما ويقول هل من عارف بهما فقال له عين اعوانه وحامل
خلصائه اما الشيخ فالسروجي المشهود بفضله واما المرأة فقعيدة رحله
واما تحاكمهما فمكيدة من فعله واحبولة من حبائل ختله فاحفظ

القاضي

القاضي ما سمع وتلبب كيف خدع ثم قال للواشي بهما قم فردهما
ثم اقصدهما فقصدهما فنهض ينفض مذ دويه ثم عاد يضرب
اصدريه فقال له القاضي اظهرنا على ما نبثت ولا تخف ما استخبثت
فقال ما زلت استقري الطرق واستفتح الغلق الى ان ادركتهما
مصحرين وقد دنا مطي البين فرغبتهما في العلل وكفلت لهما
بنيل الامل فاشرأب قلب الشيخ ان يباس وقال القراد بقراب الكيس
وقالت هي بل العود احمد والفروقة يكمد فلما تبين الشيخ سفه
رأيها وغرر اجترائها امسك ذلاذلها ثم انشا يقول لها دونك
نضحي واقنعي بسلة واغني عن التفصيل بالجملة طيري مني نفرت
من نخلة وطلقيها بتة بتلة وحاذري العود اليها ولو سلها
ناظورها الابله فخيرها للص الاريب ببقعة فيها له عمله ثم
قال لي قد عنيت بنا ولبيت فارجع من حيث جئت وقل لمرسلك

ان شئت دونك لا تنقض جميلك بالأذى فتضحى وسمك المثالِ
والحمد منصدع ولا تغضب من تزيد سائل فما هو في صوغ اللسان
بمبتدع وان تك قد ساءتك منه خديعة فقبلك شيخ الأشعرين
قد خدع فقال القاضي قاتله الله فما احسن شجونه واملح فنونه ثم
انه اصحب رائده بردين وصرة من العين وقال سر بهما من لا يرى
الالتفات الى ان ترى الشيخ قبل يديهما الهدايا والبنات لهما الخذا
للأدباء قال الراوي فلم ار في الاغتراب كهذا العجاب ولا سمعت بمثله
ممن جال وجاب المقامة السادسة والاربعون الحلبية اخبر الحارث بن همام قال
نزع بي الى حلب شوق غلب علي وطلب يا له من طلب وكنت يومئذ
خفيف الحاذ حثيث النفاذ فأخذت اهبة السير وخففت نحوها
خفوف الطير ولم ازل مذ حللت ربوعها وارتبعت ربيعها اتفلى
الايام فيما يشفي الغرام ويروي الأوام الى ان انصر القلب عن الهوى

واستطار

واستطار غراب البين بعد وفور عمر فاغراني البال الخلو والمرح الحلو بان
اقصد حمص لاصطاف ببقعتها واسبر دقاعتها فسرعت اليها
اسراع النجم اذا انقض للرجم فلما خيمت بربوعها وحللت بين سيمها
لمح طرفي شيخا قد ابلاه هرمه وادبر عزمه وعنده عشرة صبيان صنو
وعشر صنوان فنعيت اليه بقدم الحرص لاختبر به ادباء حمص فهش
لي حين وافيته وحيا باحسن مما حييته فجلست اليه لابلو جنى
نطقه واكتنه كنه حمقه فما لبث ان اشار بعصيته الى اكبر صبيته
قال له انشد الابيات العواطل واحذر ان تماطل فجاثى جثوة
ليث وانشد من غير ريث
اعدد لحسادك حد السلاح واورد الآمل ورد السماح
واسع لادراك محل سما عماده لا لادراع المراح
وصارم اللهو ووصل المها واعمل الكوم وسمر الرماح
والله ما السؤدد حسو الطلا ولا مراد الحمد رود رداح
واها لحر صدره واسع وهمه

ما أسرّ أهل الصلاح موردُه، حلوٌ لسؤاله، وما له ما سأله مُطاح

ما أسمع الآملَ ردًّا ولا ماطله، والمطلُ لؤمٌ صُراح، ولا أطاع اللهوَ

لمّا دعا، ولا كادَ لحاله كأسٌ وراح، سوّده إصلاحُ سرِّه وردّه عصرُ أهوائه

والطِّماح، وحصّل المدحَ له علمُه، ما مَهَر العودُ مهورَ الصِّحاح، فقال

له: أحسنت يا بُدَير، يا رأسَ الدَّير. ثم قال لتِلوه المشبّه بصِنوه: ادنُ

يا نُوَيرة، يا قمرَ الدُّوَيرة. فدنا ولم يتباطأ حتى حلّ منه مقعدَ المُعاطي،

فقال له: أجِلِ الأبياتَ العرائسَ وإن لم تكن نفائسَ. فبرى القلم وقطّ،

ثم أحضر اللوح وخطّ:

فتنتني فجنّنتني تجنّي ... بتجنٍّ يفتنّ غِبَّ تجنّي

شغفتني بجفن ظبيٍ غضيضٍ ... غَنِجٍ يقتضي تغيّضَ جفني غشيتني بزينتين

فشفتني بزيٍّ يشفّ بين تثنّي ... فظننتُ تجنّبيني فجزتني بتقنٍّ

تخيّب ظنّي بثّت في غشّ جيبة ... بين خبثٍ يبغي لتشجي ضغني

فنزت في تجنّبي فتنتني ... بنشيجٍ يشجي بغبنٍ فغبنٍ. فلما نظر الشيخ إلى ما جرّه

وتصنّع

وتصنّع ما دبّره، قال له: بورِك من طَلًا كما بورك في لا ولا. ثم هتف

بأقرب بأقطر به وأقرب منه فتًى يحكي نجمَ دُجْيةٍ أو تمثالَ دُمية،

فقال له: ادرِم الأبياتَ الأخياف، وتجنّبِ الخلاف. فأخذ القلم

ورقم:

اسمح فبثُّ السماح زَيْنٌ ... ولا تخب آملًا تضيّف

ولا تجز ردَّ ذي سؤالٍ ... فننّ أم في السؤال خفّف

ولا تظنّ الدهورَ تُبقي ... مالَ ضنينٍ ولو تقشّف

واحلم فحضنُ الكرام بُغضي ... وصدرُهم في العطا

نفنف ولا تخن عهد ذي ودادٍ ... ثبتٍ ولا تبغِ ما تزيّف. فقال

له: ما شلّت يداك، ولا كلّت مُداك. ثم نادى: يا غُثَيثِم، يا عِطرَ منشِم،

فلبّاه غلامٌ كدُرّة غوّاصٍ أو جُؤذَر قنّاصٍ، فقال له: اكتب الأبياتَ

المتائمَ، ولا تكن من المتائيم. فتناول القلمَ المثقّفَ وكتب ولم يتوقّف:

قال الشعر: زيّنت زينبُ بقدٍّ يقدُّ ... وتلاه ويلاه نهدٌ يهدُّ

جيدُها وظرفُ وطرفٌ ناعسٌ ناعشٌ بجدٍّ يجدُّ ... فارقتني فأرّقني

وشطت وسطت ثم وحلب وحل فدنت فذبت وحنت وحبت
معضا مغضبا يود بود قال فطفق الشيخ يتأمل ما سطره ويقلب
فيه نظره فلما استحسن خطه واستصح ضبطه قال له لا شل عشرك ولا
استحبت نثرك ثم اهاب بفتى فتان يسفر عن ازهار بستان فقال
له انشد البيتين المطرفين المشبهي الطرفين اللذين استكا كل نافث
وامنا ان يعززا بثالث فقال له اسمع لا وقر سمعك ولا هزم جمعك
وانشد من غير تلبث ولا تريث سم سمة تحسن آثارها واشكر
لمن اعطى ولو سمسمة والمكر مهما استطعت لا تأته لتقتني السودد
والمكرمة فقال له اجدت يا ذا غلول يا ابا الغلول ثم نادى
اوضح يا بابا سين ما يشكل من ذوات السين فنهض ولم يتأن وانشد
بصوت اغن نقس الدواة وسع الكف مشبه سيناهما
انما خطا وان درسا وهكذا السين في قس وباسقة والسفح

والمجس

والبخس وافتر واقتبس قبسا وقد نقست بالليل الكلام وفي
مسيطر وشموس واتخذ جرسا وفي قريس وبرد قارس فخذ الصواب
مني وكن للعلم مقتبسا فقال له احسنت يا الغبش يا صاحب الحلس
ثم قال لشب باعتبه وبين الصادات الملتبسة نوب وشبه شبل
متناد ثم انشد من غير عناد بالصاد يكتب قد قبصت كرها
بابائي واصخ لتستمع الخبر وبصقت ابصق والصماخ وصنجة
والقص وهو الصدر وافتص الاثر ونحصت مقلته وهذه
فرصة وقد ارعدت منه الفريصة للحذر وقصرت هندا
او حبست وقد دنا فصح النصارى وهو عيد منتظر وقرصة
والخمر قارصة اذا حذت اللسان وكل ذلك مستطر فقال له دعا
لك بالبني فلقد اقررت عيني ثم استنهض ذا جنة كالبيذق ونغمة
كالسوذق وامره بان يقف بالمرصاد ويجري على السين والصاد

فنمص ينجب برد بيرد ثم انشد مشيرا اليه   ان شئت بالسين

فاكتب ما ابينه   وان تشأ فهو بالصادات يكتتب   مغس وقفس

ومسطار ومملس   وسالغ وسراط الحق والسقب   المغس الوجع المعترض

في الجوف وهو بسكون الغين والقفس نقض البيضة وهو كرها والمسطار

الخمرة المرة والمملس الذي يفلت من يدك ولا تغتر به والسالغ الخراسان

ذوات الظلف والسقب القرب والسامغان وسغر والسويق وملاق

وعن كل هذا تفصح الكتب السلمعان جانبا الفم والملاق الشديد الصوت

ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد فقال له احسنت يا خفقة

يا عين بقر ثم نادى يا زغفل يا ابا نوفل فلباه فتى احسن من

بيضة في روضة فقال له ما عقد هجاء الافعال التي اواخرها حرف

الاعلال فقال له اسمع لا اصم صداك ولا سمعت عداك ثم انشد وما

استرشد   اذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه   فالحق به تاء الخطاب

ولا

ولا تقف   فان تر قبل التاء ياء فكتبه   بياء والا فهو يكتب بالالف

ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي   تعداه والمهموز في ذاك يختلف

فاهتز الشيخ لما اداه وعوذه وفداه ثم قال هلم يا مصقاع يا بائقة

البقاع فاقبل فتى احسن من نار القرى في عين ابن السرى فقال له

اصدع بتمييز الظاء من الضاد لتصدع اكباد الاضداد فاهتز لقوله

واهتش ثم انشد بصوت اجش   ايها السائل عن الظاء والضاد

لكي لا تضله الالفاظ   ان حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع

والظبي واللحاظ والعظا والظليم

امرئ له استيقاظ   هي ظمياء والمظالم والاظلام والظلم والظبى

والشيظم والظل واللظى والشواظ   والتظني واللفظ والنظم والتقريظ و

القيظ والظماء واللماظ   والحظى والنظير والظئر والجاحظ والناظرون

والايقاظ والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظا والشناظ

والاظافير والمظفر والمحظور والحافظون والاحفاظ والحظرات و

والمظنة والظنة الكاظمون والمغناظ والوظيفات والمواظب

والكظة والانظار والالظاظ ووظيف وظالع وعظيم وظهير

واللفظ والاغلاظ ونظيف والظرف والظلف الظاهر ثم القطيع

والوعاظ والظهارات والظهاير والظهران ثم الظران والارعاظ

الظهارات جمع ظهارة ضد البطانة والظهاير جمع ظهيرة وهي نصف

النهار والظهران جمع ظهارة وهي ما ظهر من ريش السهم والظران

الحجارة والارعاظ جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم وعكاظ

والظعن والمظ والحنظل والقارظان والاوشاظ عكاظ سوق معروف

والمظ رمان البر والقارظ جاني القرظ وهو نبات يدبغ به والاوشاظ

الجماعات والاخلاط وظراب الظران والشظف الباهظ والجعظري

والجواظ الظراب الربى الصغار واحدها ظرب والظران الحجارة المحددة

واحدها ظرر والجعظري المنتفخ بما ليس عنده والجواظ الفاجر وقيل الاكول

المال

المختال والشظف سوء العيش والظرابين والحناظب والعنظب ثم الظبان

والارعاظ الظرابين جمع ظربان وهي دابة تنز لا يطاق فسوها ويجمع ايضا

ظرابي بحذف النون وعلى ظربى ولم يجي الجمع على فعلى الا هذا وحجلى

جمع حجل والحناظب ذكور الخنافس والعنظب ذكر الجراد والظبان ثمين

البر والارعاظ جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم والشناظي

الدلظ والظاب والظبظاب والعنظوان والجنعاظ الشناظي نواحي

الجبل والدلظ الدفع والظاب الصخب وقد تبدل الباء منه ميما وقيل

ان الظاب والظام اسمان لسلف الرجل والعنظوان نبت والظبظاب الداء

بي ما به ظبظاب كما بي ما به قلبة وقيل الجنعاظ الاحمق وقيل وقيل

المتسخط عند الطعام والشناظر والتغاظل والعظلم والنظر بعيد والانعاظ

الشناظر جمع شنظير وهو سيء الخلق والتعاظل تلازم الجراد والكلاب عند

السفاد والعظلم الخطمي فهذا سوى الذي شذ فاحفظها لتقفوا

اثارك الحفاظ وانفض فيما صرفت منها كما تقضيه في اصله كقيظ

وقالوا فقال له الشيخ احسنت لا فض فوك ولا علق بك من يفوك

والله انك مع الصبي الغض لاحفظ من الارض واجمع من يوم العرض

ولقد اوددتك ووقفتك ولالي وثقفتكم تثقيف العوالي قال الحارث

بن همام فعجبت لما ابدع من براعة معجزة ببضاعة واوضح من حذاقة

ممزوجة بحماقة ولم يزل طرفي يصعد فيه ويصوب ويتفرس عنه

ويتعتب وهو كمن ينظر في ظلماء او يسري في لهماء فلما استراث تنبهي

واستبان تدلهي نظر الي وتبسم وقال لم يبق من بنو سم فيمن تسلم الهوى

كلامه فوجدته ابا زيد عند ابتسامه وجعلت الومه على انه

بقعة النوكى وتحمر صبغة الحمقى فكان وجهه اسف بما دار او اشرب

سوادا الا انه انشد وما تمادى يحمر حمص وهذه الصناعة

لا ادرك حظوة اهل البراعة فما يصطفي الدهر غير الرقيع ولا بوطن

واذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون

المال

المال الا ابتغاء ولا لاخي اللب من دهره سوى ما لعبر ببسط

بضاعة ثم قال اما ان التعليم اشرف صناعة واربح بضاعة

وانجح شفاعة وافضل براعة ودبر ذو امره مطاعة وهيبة

مشاعة ورعية مطواعة بتسيطر تسيطر امير ويترتب ترتب وزير

ويتحكم تحكم قدير ويتشبه بذي ملك كبير لولا انه يخرف في

كبير ويتسم بحمق شهير ويقلب بعقل صغير ولا ينبئك مثل خبير

فقلت له تالله انك لابن الايام وعلم الاعلام والساحر اللاعب

بالافهام المذلل له سبل الكلام ثم لم ازل معتكفا بناديه

ومغترفا من سيل واديه الى ان غابت الايام الغر ونابت الاحداث

الغبر ففارقته ولعيني العبر

المقامة السابعة والاربعون

حكى الحارث

بن همام قال احتجت الى الحجامة وانا بحجر اليمامة فارشدت

الى شيخ يحجم بلطافة ويسفر عن نظافة فبعثت غلامي لاحضاره

وارصدت نفسي لانتظاره فابطأ بعد ما انطلق حتى خلته قد ابق
او ركب طبقا عن طبق ثم عاد عود المخفق مسعاه الكلّ على مولاه
فقلت له ويلك ابطأت بندٍ وصلود زندٍ فزعم ان الشيخ اشغل
من ذات النحيين وفي حرب اكرب من حنين فعفت المشي الى حجّامٍ وحرت
بين اقدامٍ واحجامٍ ثم رأيت ان لا تعنيف على من يأتي الكنيف فلما
شهدت موسمه وشاهدت ميسمه رأيت شيخا هيئته نظيفة و
حركته خفيفة وعليه من النظّارة اطواق ومن الزحام طباق
وبين يديه فتى كالصمصامة مستهدف للحجامة والشيخ يقول له
اراك قد ابرزت رأسك قبل ان تبرز قرطاسك وولّيتني قذالك
ولم تقل لي ذا لك ولست ممن يبيع نقدا بدين ولا يطلب اثرا بعد
عين فان انت رضخت بالعين حجمت بالاخدعين وان كنت ترى
الشحّ اولى وخزن الفلس في النفس احلى فاقرأ عبس وتولّى واعزب عني

واه

والّا فقال الفتى والذي حرّم صوغ المين كما حرّم صيد الحرمين انّي لأفلس
من ابن يومين فثق بنيل تلعني وانظرني الى سعتي فقال الشيخ ويحك
انّ مثل الوعود كمغرس العود وهو بين ان يدركه العطب او يدرك
منه الرطب فما يدريني أيحصل من عودك جنى ام احصل منه
على اضنى ثمّ ما الثقة بانّك حين تبتعد ستفي بما تعد وقد صار
الغدر كالتحجيل في حلية هذا الجيل فارحني بالله من التعذيب
وارحل الى حيث يعوي الذيب فاستوى الغلام اليه وقد استولى
الخجل عليه وقال والله ما يخيس بالعهد غير الحبل الوغد ولا يرد
غدير الغدر الّا وضيع القدر ولو عرفت من انا لما اسمعتني الخنا لكن
جهلت فقلت وحيث وجب ان تنجلي بلبّ وما اقبح الغربة والاقلال
واحسن قول من قال   انّ الغريب الطويل الذيل ممتهن فكيف
حال غريبٍ ما له قوت   لكنّه ما انثنى الحرّ موجعة فالمسك يسحق

والكافور مفتوت وطالما اصطلى الياقوت جمر غضا ثم انطوى الجمر
والياقوت ياقوت فقال له الشيخ يا ويلة ابيك وعولة اهليك
أأنت في موقف فخر نظهره وحسب نشهره ام موقف جلد نكشطه
وقفا نشرطه وهب ان لك البيت كما ادعيت اتحصل بذلك
نجم فذلك لا والله ولو ان اباك اناف على عبد مناف او الحالك
دان عبد المدان فلا تضرب في حديد بارد ولا تطلب ما لست
له بواجد وباه اذا باهيت بموجودك لا بجدودك وبمحصولك
لا باصولك وبصفاتك لا برفاتك وباعلاقك لا باعراقك
ولا تطع الطمع فيذلك ولا تتبع الهوى فيضلك ولله القائل
لابنه حيث يقول بني استقم فالعود تنمي عروقه قويما ويغشاه
اذا ما التوى توى ولا تطع الحرص المذل وكن فتى اذا التهبت
احشاؤه بالطوى طوى وعاص الهوى المردي فكم من محلق

الى

الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى واسعف ذوي القربى فيقبح ان
يرى على من الى الحر اللباب انضوى ضوى وحافظ على من لا يخون
اذا نبا زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى وان تفند وتلفح
فلا خير في امرئ اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى وايا الدو
الشكوى فلم ير ذا الهوى شكى بل اخو الجهل الذي ما ادعوى عوى
فقال الغلام للنظارة يا للعجيبة والطرفة الغريبة انف في السما
واست في الماء ولفظ كالصهباء وفعل كالحصباء ثم اقبل
على الشيخ بلسان سليط وغيظ مستشيط فقال اف لك من صوانع
باللسان ذوانع عن الاحسان تأمر بالبر وتعق عقوق الهرمان
بكن سبب تعنتك نفاق صنعتك فرماها الله بالكساد وافنا
الحساد حتى ترى افرغ من حجام ساباط واضيق رزقا من سم
خياط فقال له الشيخ بل سلط الله عليك بثر الفم وتبيغ الدم

حتى ألجأه إلى حجّامٍ عظيمِ الانشطاطِ ثقيلِ الاشتراطِ كليلِ المشراطِ كثيرِ

المخاطِ والمراطِ فلمّا تبيّن للفتى أنّه يشكو إلى غيرِ مُصمِتٍ ويكابدُ

استفتاحَ بابٍ مُصمَتٍ أضربَ عن رجعِ الكلامِ واحتفزَ للقيامِ

وعلمَ الشيخُ أنّه قد آلمَ بما أسمعَ الغلامَ فجنحَ إلى سِلمِه وبذلَ أن يذعنَ

لحكمِه وألّا يبغي أجرًا على حجمِه فأبى الغلامُ إلّا التنبّي ببدائه والهربَ

من لقائه وما زال بين لجاجٍ وسبابٍ وجدالٍ وجذابٍ إلى أن نضجَ

الفتى من الشقاقِ وبلا دونه سورةَ الانشقاقِ وأعولَ حينئذٍ لوفاء

حسرِه وانحطاطِ عرضِه وطمرِه وأخذَ الشيخُ يعتذرُ من فرطاتِه ويغيضُ

من عبراتِه وهو لا يصغي إلى اعتذارِه ولا يقصرُ عن استعبارِه

إلى أن قال له فداك عمُّك وعداك ما يغمُّك أما تشامُ الأعوالَ

أما تعرفُ الاحتمالَ أما سمعتَ بمن آتالَ وأخذَ بقولِ من قال

احمد بحلمك ما يذكيه ذو سفهٍ من نارِ غيظك واصفحْ إن جنى

جانٍ

جانٍ فالحلمُ أحسنُ ما ازدانَ اللبيبُ به والأخذُ بالعفوِ أحلى ما جنى

جانِ وقال له الغلامُ أما إنّك لو ظهرتَ على عيشيَ المكدّرِ لعذرتَ

في دمعيَ المنهمرِ ولكن هانَ على الأملسِ ما لاقى الدَّبِرُ ثمّ كأنّه نزعَ

إلى الاستحياءِ فأقلعَ عن البكاءِ وفاءَ إلى الارعواءِ وقال للشيخِ قد

صرتُ إلى ما اشتهيتَ فادفعْ ما أوهبتَ فقال هيهاتَ شغلكَ

شغلي عن جدواي فشِم بارقًا سواي ثمّ إنّه نهضَ يستقري الصفوفَ

ويستجدي الوقوفَ وينشدُ في ضمنِ ما يطوفُ أقسمُ بالبيتِ الحرامِ

الذي تهوي إليه الزمرُ المحرمَه لو أنّ عندي قوتَ يومٍ لما مسّت

يدي المشراطَ والمحجمَه ولا ارتضت نفسيَ التي لم تزل تسمو إلى المجدِ بهذي

السمَه ولا اشتكى هذا الفتى غلظةً منّي ولا شاكهُ منّي حمَه لكن

صروفُ الدهرِ غادرتني كخابطٍ في الليلةِ المظلمَه واضطرّني

الفقرُ إلى موقفٍ من دونهِ خوضُ اللظى المضرمَه فهل فتىً يذكرُ دقّ

على او تعطفه مرحمة قال الحارث بن همام فكنت اول من اوى لبلواه
ودوى لشكواه فنفحته بدرهمين وقلت لا كانا ولو كان ذا مين
فابتهج بباكورة جناه وتفتل عما لغاه ولم تزل الدراهم تنهال
عليه وتنثال لديه حتى آل ذا عيبة خضراء وحقيبة بجراء فازدهاه
الفرح عند ذلك وهنأ نفسه هنالك وقال للغلام هذا ربيع
انت بذره وحلب لك شطره فهلم لنقتسم ولا تحتشم فتقاسماه
بينهما شق الابلمة ونهضا متفقي الكلمة ولما انتظم عقد الاصلاح
وهم الشيخ بالرواح قلت له قد تبوغ دمي ونفثت اليك قدمي فهل
لك في ان تحميني وتكفكف ما دهمني فصوب طرفه في وصعده ثم لف
الي وانشد

كيف رأيت خدعتي وختلي وما جرى بيني وبين نحلي
حتى انثنيت فائزا بالخصل ادعى بيا أخضر الخصب بعد المحل بالله يا
قلبي قل لي هل ابصرت عيناك قط مثلي يفتح بالرقية كل قفل

ويبني

ويبني بالتبر كل عقل ويعجن الجد بماء المزن ان يكن الاسكندري
قبلي فالطل قد يبدو امام الوبل والفضل للوابل لا للطل
قال فبهتني ارجو دنو عليه وادري انه شيخنا المشار اليه فقرعته
على الابتذال والالحاف بالارذال فاعرض عما سمع ولم يبل بما قرع
وقال كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع ثم قاصاني مقاصاة اللهان
وانطلق كفرسي رهان

قد اودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا
من امثال العرب وها انا افسر منها ما اماله يلتبس على بعض من يقتبس اما
قوله بطؤ قند فهو مولى عائشة ابن ابي وقاص وكانت بعثته بالمدينة
ليقتبس لها نارا فقصد مصر واقام لها سنة ثم جاءها بعد السنة يشتد
ومعه جمر فتبدد منه فقال تعست العجلة واما ذات النحيين فهي امرأة
من تيم الله ابن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى
بها خوات بن جبير الانصاري ليبتاع منها ففتح احدهما وذاقه ودفعه

اليها فامكنه باحدى يديها ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه اليها فاخذته
بيدها الاخرى ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم
النحيين وشحها على السمن فلما قام عنها قالت له لا هنأك فضرب بها
المثل فيمن شغل وهي في هذا المثل مفعولة لانها شغلت واكثر الامثال
التي تاتي على افعل تاتي على افعل تاتي من فعل الفاعل واما قوله انف
في السماء واست في الماء يضرب هذا المثل لمن يتكبر مقالا ويصغر فعالا
واما قوله افرغ من حجام ساباط فذكر انه كان حجاما ملازما ساباط المدائن
يحجم الجند بدانق نسيئة وربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها احد فكان
يبرز امه عند تمادي عطلته فيحجمها حتى نزف دمها وماتت واما قوله
يشكو الى غير مصمت فهو مثل يضرب لمن يكثر بثان صاحبه ولا
يعبأ باستمرار شكايته لانه لو اشكاه لصمت وامسك عن الكلام منه و
قول الراجز يخاطب جملا له   انك لا تشكو الى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل

اومث

اومث ونحو هذا المثل هان على الاملس ما لاقى الدبر واما قوله شغلت
شعابي جدواي فالمراد به انه ليس يفضل عني ما اصرفه الى غيري الشعاب
النواحي واحدها شعب وقوله كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع معناه
ان المجهود يقنع بما يجد والوقع ان تصيب الحجارة القدم فتوهنها واما
البعير الموقع فهو الذي يكثر اثار الدبر بظهره المقا الثا والاربعون منه   روى
الحارث بن همام عن ابي زيد السروجي انه قال ما زلت مذ رحلت
عنسي وارتحلت عن عرسي وغرسي احن الى عيان البصرة حنين المظلوم
الى النصرة لما اجمع عليه ارباب الدراية واصحاب الرواية من
خصائص معالمها وعلمائها ومآثر مشاهدها وشهدائها واسأل
الله تعالى ان يوطئني ثراها لافوز بمرآها وان يمطيني قراها لاقترى
قراها فلما احلنيها الحظ وسرح لي فيها اللحظ رايت بها ما يملأ العين
قرة ويسلي عن الاوطان كل غريب فغلست في بعض الايام حين نصل

خضاب الظلام وهتف أبو المنذر بالنوام أخطو في خططها وأقصى الأمر من توسطها فأداني الاختراق في مسالكها والانصلات في سككها إلى محلة موسومة بالاحترام منسوبة إلى بني حرام ذات مساجد مشهودة وحياض مورودة ومبان وثيقة ومغان أنيقة وخصائص أثيرة ومزايا كثيرة بها ما شئت من دين ودنيا وجيران تناغوا في العليا فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثاني ومضطلع بتلخيص المعاني ومطلع إلى تخليص عاني وكم من قارئ فيها وقار أضرا بالجون والجفان وكم من معلم للعلم فيها وناد للندى حلو المجاني ومغنى ما تزال تغن فيه أغاريد الغواني والأغاني فصل إن شئت فيها من يصلي وإما شئت فادن من الدنان ودونك صحبة الأكياس فيها أو الكاسات مطلق العنان فبينما أنا أنفض طرقها وأستشف رونقها إذ لمحت عند دلوك براح وإظلال الرواح مسجدا مشتهرا

بطرائفه

بطرائفه مزدهرا بظرائفه وقد أجرى أهله ذكر حروف البدل وجروا في حلبة الجدل فجئت نحوهم لاستمطر نوءهم لا لأقتبس نحوهم فلم يك إلا كقبسة العجلان حتى ارتفعت الأصوات بالأذان ثم ردف التأذين بروز الإمام فأغمدت ظبى الكلام وحلت الحبا للقيام وشغلنا بالقنوت عن استمداد القوت وبالسجود عن استنزال الجود ولما قضينا صلاة الفرض وكاد الجمع ينفض وحل الانتشار في الأرض انبرى من الجماعة كهل حلو البراعة له مع السمت الحسن ذلاقة اللسن وفصاحة الحسن وقال يا جيرتي الذين اصطفيتهم على أعضاء شجرتي وجعلت خطتهم دار هجرتي واتخذتهم كرشي وعيبتي وأعددتهم لحضرتي وغيبتي أما تعلمون أن لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة وأن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وأن الدين إمحاض النصيحة والإرشاد عنوان العقيدة الصحيحة

وان المستشار مؤتمن والمسترشد بالنصح قمن وان اخاك هو الذي
عذلك لا الذي عذرك وصديقك من صدقك لا من صدّقك
فقال الحاضرون ايها الخلّ الودود والخدن المودود ما سرّ كلامك
الملغز وما شرح خطابك الموجز وما الذي تبغيه منا لننجز
فلو اعجز فوالذي حبانا بتحببك وجعلنا من صفوة احبابك
ما نألوك نصحا ولا ندخر لك نصحا فقال جزيتم خيرا ووقيتم ضيرا
فانكم من لا يشقى بهم جليس ولا يصدر عنهم تلبيس ولا يخيب
فيهم مظنون ولا يطوى دونهم مكنون وسابثكم ما حلّ
في صدري واستفتيكم فيما عيل له صبري اعلموا اني كنت عند
صلود الزند وصدود الجد اخلصت مع الله نية العقد
واعطيته صفقة العهد على ان لا اسامر مداما ولا اعاقر
مداما ولا احتسي قهوة ولا اكتسي نشوة فسولت لي النفس المضلة

والشهوة

والشهوة المزلة ان نادمت الابطال وعاطيت الارطال واضعت
الوقار وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت وناسيت
التوبة كالميت ثم لم اقنع بما تيكم المرة في طاعة ابي مرة حتى عكفت
على الخندريس في يوم الخميس وبت صريع الصهباء في الليلة الغراء
وها انا بادي الكآبة لرفض الانابة نامي الندامة لوصل المدامة
شديد الاشفاق من نقض الميثاق معترف بالاسراف في عبث السلاف
فيا قوم هل كفارة تعرفونها تباعدني من ذنبي وتدنيني الى ربي
قال ابو زيد فلما احل الشوط نفثه وقضى الوطر من استكاء بثه
ناجتني نفسي يا ابا زيد هذه نهزة صيد فشمر عن يد وايد فنهضت
فنهضت من مجثمي انتهاض الشهم وانخرطت من الصف انخراط
السهم وقلت   ايها الاروع الذي فاق مجدا وسوددا
والذي يبتغي الرشاد لينجو به غدا ان عندي علاج ما بت منه مسهدا

فاستمعها عجيبة غادرتني ملددا   انا من ساكني سروج ذوي الدين
والهدى كنت ذا ثروة بها ومطاعا مسودا مربعي مألف الضيوف و
مالي لمن سدى اشتري الحمد باللهى واقي العرض بالجدا   لا ابالي بنفس
طاح في البذل والندى اوقد النار باليفاع اذ النكس اخمدا وبرائي
المؤملون ملاذا ومقصدا لم يثم بار في صليها فانثنى يشتكي الصدى
لا ولا رام قابس قدح زندي فاصلدا   طالما ساعد الزمان فاصبحت
مسعدا فقضى الله ان يغير ما كان عودا   بوّأ الروم ارضنا بعد ضغن
تولدا   فاستباحوا حريم من صادفوه موحدا وحووا كل ما استسر لها
وما بدا   فتطوحت في البلاد طريدا مشردا   اجتدي الناس بعد ما كنت
من قبل مجتدى   وترى لي خصاصة ايمنى لها الردى والبلاء الذي
به شمل انسي تبددا   اشتباء لبنتي التي اسروها لتفتدى   فاستبن محنتي
وعد الى نصرتي يدا   واجرني من الزمان فقد جار واعتدى واعنّي

على

على فكاك ابنتي من يد العدا   فبذا تمحى المآثم عمن تمردا   وبه يقبل الاما
م من تزهدا   وهو كفارة لمن زاغ من بعد ما اهتدى   ولئن قمت
منشدا فلقد فهت مرشدا   فاقبل النصح والهدايا واشكر لمن هدى
واسمح الآن بالذي يسّنى لتحمدا   قال ابو زيد فلما اتممت هذه
واوهمت المسؤول صدق كلمتي اغراه القرم الى الكرم بمواساتي ورد غربه
الكلف بحل الكلف في مقاساتي فرضخ لي على الحافرة ونضح لي
بالعدة الوافرة فانقلبت الى وكري فرحا بنجح مكري وقد حصلت
من صوغ المكيدة على سوغ الثريدة ووصلت من حوك القصيدة
الى لوك العصيدة قال الحارث بن همام فقلت له سبحان من
ابدعك فما اعظم خدعك واستغرب في الضحك ثم انشد غير
مرتبك   عش بالخداع فانت في دهر بنوه كاسد بيشة وادر قناة
المكر حتى تستدير رحى المعيشة وصد النسور فان تعذر صيدها

فانعم برقيته واجن الثمار فإن تفتك فرصة تغشك بالحسرة وأد
تؤدك ان ينحي دهر من الفكر المطبقة فتغابن الأحداث يؤذن بإسحات
كل عشيرة

المقامة التاسعة والاربعون الساسانية

حكى الحارث بن همام قال بلغني أن
أبا زيد حين ناهز القبضة وابتزه قيد الهرم النهضة أحضر ابنه
بعدما استجاش ذهنه وقال له يا بني إنه قد دنا ارتحالي من
الفناء واكتحالي بمرود الفناء وأنت بحمد الله ولي عهدي وكبش
الكتيبة الساسانية من بعدي ومثلك لا تقرع له العصا ولا
ينبه بطرق الحصا ولكن قد ندب إلى الأذكار وجعل صيقلا للأفكار
وإني أوصيك بما لم يوص به شيث الأنباط ولا يعقوب الأسباط
فاحفظ وصيتي وجانب معصيتي واحذ مثالي واقف أمثالي فإنك
إذا استرشدت بنصحي واستصبحت بصبحي طاب معاشك وطال
انتعاشك وأمرع خانك وارتفع دخانك وإن تناسيت سورتي

ونبذت

ونبذت مشورتي قل رماد أثافيك وزهد أهلك وذووك
فيك يا بني إني جربت حقائق الأمور وبلوت تصاريف الدهور
فرأيت المرء بنشبه لا بنسبه والفحص عن مكسبه لا عن حسبه وكنت
سمعت أن المعايش إمارة وتجارة وزراعة وصناعة فمارست
هذه الأربع لأنظر أيها أوفق وأنفع فما أحمدت منها معيشة
ولا استرغدت فيها عيشة أما فرص الولايات وخلس الإمارات فكأضغاث
الأحلام والفيء المتنسخ بالظلام وناهيك غصة بمرارة الفطام
وأما بضائع التجارات فعرضة للمخاطرات وطعمة للغارات وما أشبهها
بالطيور الطيارات وأما اتخاذ الضياع والتصدي للازدراع
فمنهكة للأعراض وقيود عائقة عن الارتكاض وقلما خلا ربها
من إذلال أو رزق روح بال وأما حرف أولي الصناعات فغير
فاضلة عن الأقوات ولا نافقة في جميع الأوقات ومعظمها موقوف

بشبيبة الحوباء ولم ار ما هو بارد المغنم لذيذ المطعم وافي المكسب
صافي المشرب الا الحرفة التي وضع ساسان اساسها ونوع اجناسها
واضرم في الخافقين نارها واوضح لبني غبراء منارها فشهدت
وقايعها معلما واخترت سيماها ميسما اذ كانت المتجر الذي
لا يبور والمنهل الذي لا يغور والمصباح الذي يعشو اليه
الجمهور ويستصبح بنوره العمي والعور وكان اهلها اعز قبيل واسعد
جيل لا يرهقهم من حيف ولا يقلقهم سل سيف ولا يخشون
حمة لاسع ولا يدينون لدان ولا شاسع ولا يرهبون من برق
ورعد ولا يحلفون بمن قام وقعد انديتهم منزهة وقلوبهم
مرفهة وطعمهم معجلة واوقاتهم غر محجلة اينما سقطوا لقطوا
وحيثما انخرطوا خرطوا لا يتخذون اوطانا ولا يتقون سلطانا
ولا يمتازون عمن تغدو خماصا وتروح بطانا فقال ابنه

يا ابه

يا ابه لقد صدقت فيما نطقت ولكنك رتقت وما فتقت فبين
لي كيف اقتطف ومن اين تؤكل الكتف فقال يا بني ان الادلاج
بابها والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها والقحة سلاحها
فكن اجول من قطرب واسرى من جندب وانشط من ظبي مقمر و
اسلط من ذيب متنمر واقدح زند جدك بجدك واقرع باب رزقك
بسعيك وجب كل فج وخض كل لج وانتجع كل روض والق دلوك الى
كل حوض ولا تسام الطلب ولا تمل الداب فقد كان مكتوبا على
عصا شيخنا ساسان من طلب جلب ومن جال نال واياك والكسل
فانه عنوان النحوس ولبوس ذي البوس ومفتاح المتربة ولقاح
المتعبة وشيمة العجزة الجهلة وشنشنة الوكلة التكلة وما اشتار
العسل من اختار الكسل ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة وعليك
بالاقدام ولو على الضرغام فان جراة الجنان تطلق العنان وتطلق

اللسان ولها تدرك الحظوة وتملك الثروة كما ان الحوز صنو الكسل
ومسبب الفشل ومبطاة للعمل ومخيبة للامل ولهذا مثل في المثل
من جر ابر ومن هاب خاب ثم ابرز يا بني في بكور ابي زاجر وجراة
ابي الحارث وختل ابي جعدة وحرص ابي عقبة ونشاط ابي وثاب
ومكر ابي الحصين وصبر ابي ايوب وتلطف ابي غزوان وحزامة
ابي قرة وتلون ابي براقش واخلب بصوغ اللسان واخدع بسحر البيان
وارتد السوق قبل الجلب وامتر الضرع قبل الحلب وسائل الركبان
قبل المنتجع ودمث لجنبك قبل المضطجع واشحذ بصيرتك للعيافة
وانعم نظرك في القيافة فان من صدق توسمه طال تبسمه ومن اخطا
فراسته ابطات فريسته وكن يا بني خفيف الكل قليل الدل
ولغبا عن العل فانها من الوبل بالطل وعظم وقع الحقير واشكر
على النقير ولا تقنط عند الرد ولا تستبعد رشح الصلد ولا تيأس
من

من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واذ خيرت
بين ذرة منقودة ودرة موعودة فمل الى النقد وفضل اليوم
على الغد فان للتاخير آفات وللعزائم بدوات وللعدات معقبات
وبينها وبين النجز عقبات وعليك بصبر اولي العزم ونفوذ ذوي
الحزم وجانب حرف المشتط وتخلق بالخلق السبط وقيد الدهم بالربط
وشب البذل بالضبط ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط ومتى نبا بك بلد او نابك فيه كمد فبت منه
املك واسرح عنه جملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلن
الرحلة ولا تكرهن النقلة فان اعلام شريعتنا واشياخ عشيرتنا اجمعوا
على ان الحركة بركة والنقلة مثلة والطراوة مفتحة وزروا على من
زعم ان الغربة كربة وقالوا هي نقلة من اقنع بالرذيلة ورضي با
الحشف وسوء الكيلة واذا ازمعت الاغتراب واعددت له العصا

والجراب فتخيّر الرفيق المسعد من قبل أن تُسعد فإنّ الجار قبل الدار و
الرفيق قبل الطريق   خذها إليك وصيّةً   لم يوصها قبلي أحد
غرّاء حاويةً خلا   صاتِ المخاض والزبد   نفّحتها تنفح من محض النصيحة و
اجتهد   ولتعمل بما مثّلته عمل اللبيب لنجح الرشد حتى يقول
الناس هذا الشبل من هذا الأسد ثم قال له يا بنيّ قد أوصيت
واستقصيت فإن اقتديت فواهاً لك وإن اعتديت فآهاً منك
والله خليفتي عليك وأرجو أن لا تخلف ظنّي منك فقال له ابنه
يا أبه لا وُضع عرشك ولا رُفع نعشك فلقد قلت سداداً وعلّمت
رشداً ونحلت ما لم ينحل والدٌ ولداً ولئن أُمهلت بعدك ولا
ذُقت فقدك لأحتذينّ بآدابك الصالحة ولأقتدينّ بآثارك
الواضحة حتى يقال ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة
فاهتزّ أبو زيد لجوابه وابتسم وقال من أشبه أباه فما ظلم قال الحارث

بن

بن همام فأُخبرت أنّ بني ساسان حين سمعوا هذه الوصايا الحسان
فضّلوها على وصايا لقمن وحفظوها كما تحفظ أمّ القرآن حتى إنّهم
ليرونها إلى الآن أولى ما لقّنوه الصبيان وأنفع لهم من نحلة
العقيان **المقامة الخمسون آخر المقامات وتعرف بالبصرية** حكى الحارث بن همام قال
أشعرت في بعض الأيام همّاً برّح بي إشعاره ولاح على شعاره وكنت
سمعت أنّ غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي الفكر فلم أرَ لإطفاء
ما بي من الجمرة إلا القصد للجامع بالبصرة وكان إذ ذاك مأهول المثابة
مشفوه الموارد يجتنى من رياضه أزاهير الكلام ويسمع في أرجائه
صرير الأقلام فانطلقت إليه غير وانٍ ولا لاوٍ على شأن فلمّا وطئت
حصاه واستشرفت أقصاه رأيت ذا أطمار بالية فوق صخرة
عالية وقد عصبت به عصب لا يحصى عديدهم ولا يُنادى وليدهم
فانتدبت قصده وتوخّيت ورده ورجوت أن أجد شفاي عنده

ولم ازل اتنقل في المراكز واتخطى الاكابر الى ان جلست تجاهه
وتبينت امنت اشتباهه فاذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه ولا
لبس يخفيه فتسرى بمراه همي وارفضت كتيبة غمي وحين راني وبصر
بمكاني قال يا اهل البصرة رعاكم الله ووقاكم وقوى تقاكم
فما اضوع رياكم وافضل مزاياكم بلدكم اوفى البلاد طهرة وازكاها
فطرة وافسحها رقعة وامرعها نجعة واقومها قبلة واوسعها
دجلة واكثرها انهارا ونخلة واحسنها تفصيلا وجملة دهليز
البلد الحرام وقبالة الباب والمقام واحد جناحي الدنيا والمصر
المؤسس على التقوى لم يتدنس بنيران ولا طيف فيه بالاوثان
ولا سجد على اديمه لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة والمساجد
المقصودة والمعالم المشهورة والمقابر المزورة والاثار المحمودة
والخطط المحدودة به يلتقي الفلك والركاب والحيتان والضباب

والحادي والملاح والقانص والفلاح والناشب والرامح والسارح والسابح
وله اية المد الفائض والجزر الغائض واما انتم فمن لا يختلف في خصائصهم
اثنان ولا يكابر فيها ذو شنان دهماؤكم اطوع رعية لسلطان واشكرهم
لاحسان وزاهدكم اورع الخليقة واحسنهم طريقة على الحقيقة
وعالمكم علامة كل زمان والحجة في كل اوان ومنكم من استنبط
علم النحو ووضعه والذي ابتدع ميزان الشعر واخترعه وما من فخر
الا ولكم فيه اليد الطولى وان شئتم ما انتم احق به واولى ثم لكم
اكثر اهل الارض مؤذنين واحسنهم في النسك قوانين وبكم
اقتدي في التعريف وعرف التعجير في الشهر الشريف ولكم اذا قرت
المضاجع وهجع الهاجع تذكار يوقظ النائم ويؤنس القائم وما ابتسم
ثغر فجر ولا ينزع نوره في بدو ولا حضر الا ولناديكم بالاسحار كدوي
النحل في البحار وبهذا عنكم صدع النقل واخبر النبي صلى الله عليه

وآله وسلّم من قبلُ وبيّن أنّ دويّكم بالأسحار كدويّ النحل فقرونا
لكم بثناء المصطفى وواهًا لمصركم وإن كان قد عفا ولم يبق
منه الأشفا ثمّ إنّه خزن لسانه وختم بيانه حتّى خلع بالأبصا
وفرق بالأقصار فتنفّس تنفّس من قيد للقود أو ضبثت به براثن الأسد
ثمّ قال أمّا أنتم يا أهل البصرة فما منكم إلّا العلم المعروف ومن
له المعرفة والمعروف وأمّا أنا فمن عرفني فأنا ذاك وشرّ المعارف
من أنا لك ومن لم يثبت عرفتي فسأصدقه صفتي أنا الذي أنجد و
أتهم وأيمن وأشأم وأصحر وأبحر وأدلج وأسحر نشأت بسروج وربّيت
على السروج ثمّ ولجت المضايق وفتحت المغالق وشهدت المعارك
ولنت العرائك وأقدت الشوامس وأرغمت المعاطس وأذبت الجوامد
وأمعت الجلامد سلوا عنّي المشارق والمغارب والمناسم والغوارب
والمحافل والجحافل والقبائل والقنابل واستوضحوني من نقلة الأخبار

ورواة

ورواة الأسمار وحداة الركبان وحذّاق الكهّان لتعلموا كم فجّ سلكتُ
وحجابٍ هتكتُ ومهلكةٍ اقتحمتُ وملحمةٍ ألحمتُ وكم ألبابٍ خدعتُ
وبدعٍ ابتدعتُ وفرصٍ اختلستُ وأسدٍ افترستُ وكم مخلوقٍ غادرتُه
لقًا وكامنٍ استخرجتُه بالرقا وحجرٍ سحرتُه حتّى انصدع واستنبطتُ
زلاله بالخدع ولكن فرط ما فرط والغصن رطيب والفود غربيب
وبرد الشباب قشيب فأمّا الآن وقد استشنّ الأديم وتأوّد القويم
واستنار الليل البهيم فليس إلّا الندم إن نفع وترقيع الخرق الذي
قد اتّسع وكنت رويت في الآثار المسندة والأخبار المعتمدة أنّ لله
تعالى في كلّ يوم نظرة وأنّ سلاح الناس كلّهم الحديد وسلا
حكم الأدعية والتوحيد فقصدتكم أنضي الرواحل وأطوي المراحل
هذا المقام
حتّى قمت فيكم ولا منّ لي عليكم إذ ما سعيت إلّا في حاجتي ولا تعبت
إلّا لراحتي ولستُ أبغي أعطيتكم بل أستدعي أدعيتكم ولا أسألكم

أموالكم بل أستنزل سؤالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب وإعدادي للمآب فإنّه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيّئات ثمّ أنشد شعرا

أستغفر الله من ذنوب أفرطت فيهنّ واعتديت

كم خضت بحر الضلال جهلاً ودست في الغيّ واغتديت

وكم أطعت الهوى اغترارا واغتلت وافتريت

وكم خلعت العذار ركضا إلى المعاصي وما ونيت

وكم تناهيت في التخطّي إلى الخطايا وما انتهيت

فليتني كنت قبل هذا نسيا ولم أجن ما جنيت

فالموت للمجرمين خير من المساعي التي سعيت

يا ربّ عفوا فأنت أهل للعفو عنّي وإن عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمدّه بالدعاء وهو يقلّب وجهه في السماء إلى أن دمعت أجفانه وبدت رجفانه فصاح الله أكبر بانت أمارة الاستجابة وانجابت غشاوة الاسترابة فجزيتم يا أهل البصرة جزاء من هدى

من الحيرة

من الحيرة فلم يبق في القوم إلّا من سُرّ بسروره ورضخ له بميسوره فقبل عفو برّهم وأقبل يهرف في شكرهم ثمّ انحدر من الصخرة يؤمّ شاطئ البصرة واعتقبته إلى حيث تخالينا وأمنّا التجسّس والتحسّس علينا فقلت له لقد أغربت في هذه السّاعة التوبة فما رأيك في التوبة فقال أقسم بعلّام الخفيّات وغفّار الخطيئات إنّ شأني لعجاب وإنّ دعاء قومك لمجاب فقلت زدني إيضاحا أراك الله صلاحا فقال وأبيك لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع ثمّ انقلبت بقلب المنيب الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم إليه وويل لمن باتوا يدعون عليه ثمّ ودّعني وانطلق وأودعني القلق فلم أزل أعاني الفكر والشوق إلى خبره ما ذكر وكلّما استنبثت خبره من الركبان وجوّابي البلدان كنت كمن حاول دهماء أو نادى صخرة صمّاء إلى أن

بَعدَ تَراخي الأَمَدِ وتَراخي الكَمَدِ رَكباً قافِلينَ مِن سَفَرٍ فَقُلتُ هَل مِن
مُغرِبَةِ خَبَرٍ فَقالوا إنَّ عِندَنا الخَبَرَ أَغرَبَ مِنَ العَنقاءِ وأَعجَبَ
مِن نَظَرِ الزَّرقاءِ فَسَأَلتُهُم إيضاحَ ما قالوا وأَن يَكيلوا لي ما اكتالوا
فَحَكَوا أَنَّهُم أَلَمّوا بِسَروجَ بَعدَ ما فارَقَها العُلوجُ فَرَأَوا أَبا زَيدٍ
المَعروفَ قَد لَبِسَ الصّوفَ وأَمَّ الصُّفوفَ وصارَ بِها الزّاهِدَ المَوصوفَ
فَقُلتُ أَتَعنونَ ذا المَقاماتِ قالوا إنَّهُ الآنَ ذو الكَراماتِ فَحَفَزَني
إلَيهِ النِّزاعُ فَرَأَيتُها فُرصَةً لا تُضاعُ فارتَحَلتُ رِحلَةَ المُغِذِّ وسِرتُ
نَحوَ سَروجَ بِالجِدِّ حَتّى حَلَلتُ في مَسجِدِهِ وقَرارَةِ مُتَعَبَّدِهِ فَإذا بِهِ قَد
نَبَذَ صُحبَةَ أَصحابِهِ وانتَصَبَ في مِحرابِهِ وهُوَ ذو عَباءَةٍ مَخلولَةٍ
وشَملَةٍ مَوصولَةٍ فَهِبتُهُ مَهابَةَ مَن وَلَجَ عَلى الأُسودِ وأَلفَيتُهُ
مِمَّن سيماهُم في وُجوهِهِم مِن أَثَرِ السُّجودِ ولَمّا فَرَغَ مِن سُبحَتِهِ حَيّاني
بِمُسَبِّحَتِهِ مِن غَيرِ أَن نَغَمَ بِحَديثٍ ولا استَخبَرَ عَن قَديمٍ ولا حَديثٍ ثُمَّ

أقبل

أَقبَلَ عَلى أَورادِهِ وتَرَكَني أَعجَبُ مِنِ اجتِهادِهِ وأَغبِطُ مَن يَهدي اللهُ
مِن عِبادِهِ ولَم يَزَل في قُنوتٍ وخُشوعٍ وسُجودٍ ورُكوعٍ وإخباتٍ و
خُضوعٍ إلى أَن أَكمَلَ إقامَةَ الخَمسِ وصارَ اليَومُ أَمسِ فَحينَئِذٍ انكَفَأَ
إلى بَيتِهِ وأَسهَمَني مِن قُرصِهِ وزَيتِهِ ثُمَّ نَهَضَ إلى مُصَلّاهُ وتَخَلّى
بِمُناجاةِ مَولاهُ حَتّى إذا التَمَعَ الفَجرُ وحَقَّ لِلمُتَهَجِّدِ الأَجرُ عَقَّبَ تَهَجُّدَهُ بِالتَّسبيحِ
ثُمَّ اضطَجَعَ ضِجعَةَ المُستَريحِ وجَعَلَ يُرَجِّعُ بِصَوتٍ فَصيحٍ

خَلِّ ادِّكارَ الأَربُعِ والمَعهَدِ المُرتَبَعِ والظّاعِنِ المُوَدِّعِ وعَدِّ عَنهُ ودَعِ
واندُبْ زَماناً سَلَفا سَوَّدتَ فيهِ الصُّحُفا ولَم تَزَل مُعتَكِفاً عَلى القَبيحِ
الشَّنِعِ كَم لَيلَةٍ أَودَعتَها مَآثِماً أَبدَعتَها لِشَهوَةٍ أَطَعتَها في مَرقَدٍ
ومَضجَعِ وكَم خُطًى حَثَثتَها في خِزيَةٍ أَحدَثتَها وتَوبَةٍ نَكَثتَها
لِمَلعَبٍ ومَرتَعِ وكَم تَجَرَّأتَ عَلى رَبِّ السَّماواتِ العُلى ولَم تُراقِبهُ ولا
صَدَقتَ فيما ادَّعى وكَم غَمَطتَ بِرَّهُ وكَم أَمِنتَ مَكرَهُ وكَم نَبَذتَ أَمرَهُ

يبذّ الجدّ المرتع وكم ركضت في اللعب وفهت عمدا بالكذب ولم تراع ما يجب
من عهده المتبع فالبدار البدار يا النديم واسكب شآبيب الدم قبل زوال القدم
وقبل سوء المصرع واخضع خضوع المعترف ولذ ملاذ المقترف
واعص هواك وانحرف عنه انحراف المقلع الى م تسهو وتني ومعظم العمر فني
فيما يضر المقتني ولست بالمرتدع اما ترى الشيب وخط وخط في الراس خطط
ومن يلح وخط الشمط بفوده فقد نعي ويحك يا نفس احرصي على ارتياد
المخلص وطاوعي واخلصي واستمعي النصح وعي واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى
واخشي مفاجاة القضا وحاذري ان تخدعي وانتهجي سبل الهدى وادكري وشك الردى
وان مثواك غدا في قعر لحد بلقع اها له بيت البلى والمنزل القفر الخلا
ومورد السفر الالى واللاحق المتبع بيت يرى من اودعه قد ضمه واستودعه
بعد الفضاء والسعة قيد ثلاث اذرع لا فرق ان يحله داهية او ابله
او ابله او معسر او من له ملك كملك تبع وبعده العرض الذي

يحوي الحيي والبذي والمبتدي والمحتذي ومن رعى ومن رعي فيا مفاز
المتقي وربح عبد قد وقي سوء العذاب الموبق وهول يوم الفزع ويا
خسار من بغى ومن تعدى وطغى وشب نيران الوغى لمطعم او مطمع
يا من عليه المتكل قد زاد ما بي من وجل لما اجترحت من زلل
في عمري المضيع فاغفر لعبد مجترم وارحم بكاه المنسجم فانت اولى من رحم
وخير مدعو دعي قال فلم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها بزفير
وشهيق حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من قبل ابكي عليه ثم برز
الى المسجد بوضوء المتهجد فانطلقت في اثره وصليت مع من صلى خلفه
فلما انفض من حضر وتفرقوا شغر بغر اخذ يهينم بدرسه ويبكي
يومه في تالي امسه وفي ضمن ذلك يبين ابان الرقوب ويبكي
ولا بكاء يعقوب حتى استبنت انه قد التحق بالافراد واشرب قلبه
هوى الانفراد فاخطرت بقلبي عزمة الارتحال وتخليته والتخلي بتلك

الحال فكأنه تفرّس ما نويت او كوشف بما اخفيت فزفر زفير الأوّاه ثم قرأ فاذا عزمت فتوكل على الله فاستجلت عند ذلك بصدق المحدّثين وايقنت ان في الامة محدَّثين فامسكت عن نجواه حتى فرغ من ورد ضحاه ثم دنوت اليه كما يدنو الناصح فقلت اوصني ايها العبد الصالح فقال اجعل الموت نصب عينك وهذا فراق بيني وبينك فودعته وعبراتي يتحدرن من المآقي وزفراتي يتصعدن من التراقي وكانت هذه خاتمة التلاقي قال الشيخ الامام ابو محمد القاسم علي بن محمد الحريري هذا آخر المقامات التي انشأتها بالاغترار وامليتها بلسان الاضطرار وقد الجأت الى ان ارصدها للاستعراض وناديت عليها في سوق الاعراض هذا مع اني عرفت بالها من سقط المتاع ومما يستوجب ان يباع ولا يبتاع ولو غشيني نور التوفيق ونظرت لنفسي نظر الشفيق لسترت عواري الذي لم يزل مستورا ولكن

كان

كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله تعالى مما اودعتها من اباطيل اللغو واضاليل اللهو واسترشده الى ما يعصم من السهو ويحظي بالعفو انه هو اهل التقوى واهل المغفرة وولي الخيرات في الدنيا وولي الخيرات في الدنيا والآخرة والحمد لله تعالى حمدا يضاهي فضله ويشاكل نعمته والصلوة على نبيه المصطفى وآله اجمعين الطيبين الطاهرين تمت الكتاب المقامات

من مصنفات ابو محمد القاسم

علي ابن محمد عثمان الحريري البصري

بعون الملك المنان يوم

الجمعة سنة ۱۲۰۳

سال ۱۳۴۸ خورشیدی
[illegible] شد

کتابخانه آستان قدس
موزه خطی

بازبینی شد
۱۳۷۱ش

بازبینی شد
۱۳۶۲

سال ۱۳۴۸ خورشیدی
بازیافت شد